



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
بُؤَيْيْفِ الْقِزْبَاوِيِّ

المجلد الواحد والتسعون





حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

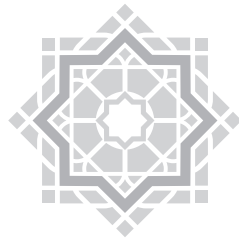
الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م



للطباعة والنشر والتوزيع

مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
بُؤَيْفِ الْقِرَظَاوِيِّ



الْجُورُ الْخَادِي عَشْر

خُطَبُ الْجَمْعَةِ

- ١٧ خطب الشيخ القرضاوي ١٨٠
١٨ خطب الشيخ القرضاوي ١٨١



مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
يُوسُفَ الْقُرْظَاوِيِّ

المحور الحادي عشر

خطب الجمعة

١٨٠

خطب الشيخ القرضاوي

١٧

إعداد

المكتب العلمي للشيخ



من الدستور الإلهي للبشرية

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا ۖ قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ۖ﴾ [الإسراء: ٩٤ - ٩٥].

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ يَوْمَذِ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ۖ﴾ [النور: ٢٤ - ٢٥].

﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۖ﴾ [الروم: ٢٧].



من مشكاة النبوة الخاتمة

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «تُحْشَرُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا». قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟! فقال: «الأمْر أشد من أن يُهَمَّهُمْ ذاك». متفق عليه.

عن عائشة رضي الله عنها، أَنَّ رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ جلس بين يديه فقال: يا رسول الله، إِنَّ لي مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني، وأضربهم وأسبهم، فكيف أنا منهم؟ فقال له رسول الله ﷺ: «يُحْسَبُ ما خانوك وعصوك ويكذبونك وعقابك إياهم. فإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم، كان فضلاً لك عليهم. وإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم، كان كفافاً، لا لك ولا عليك. وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم، اقتص لهم منك الفضل الذي بقي قبلك». فجعل الرجل يبكي بين يدي رسول الله ﷺ ويهتف، فقال رسول الله ﷺ: «ما له؟ ما يقرأ كتاب الله: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]؟». فقال الرجل: يا رسول الله، ما أجد شيئاً خيراً من فراق هؤلاء - يعني عبده - إني أشهدك أنهم أحرار كلهم. رواه أحمد والترمذي.





حقيقة وجود الله وتوحيده

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا فعل إلا بفاعل:

من طبيعة الطفل في طفولته، ومن غير تعليم ولا تلقين ولا اكتساب، إذا أعطيته شيئاً، ووضعه في مكان، ثم غاب عنه وجاء فلم يجده، فإنه يتلفت يمنة ويسرة، يبحث عنه، فإذا لم يجده بكى، وصرخ محتجاً، موقناً أن هناك يداً أخذته، إنه يعتقد أنه لم يختف وحده، لا فعل إلا بفاعل، وهذا هو منطق الفطرة، وهذا هو الذي يقوله القرآن الكريم: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿ [الطور: ٣٥، ٣٦].

يحتج القرآن على هؤلاء المشركين الجاحدين، من الذي خلقهم؟ أم خلقوا من غير شيء؟ أم هناك خلق من غير خالق؟ لا يمكن أن يوجد خلق من غير خالق، ولا صنعة من غير صانع، قانون السببية، قانون العلوية، المركوز في الفطر عند المتعلمين والأميين، عند الكبار والأطفال، يقول: إنه لا بد من خالق، ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ *

الخالق هو الله:

هل هم الذين خلقوا أنفسهم؟ وكيف يخلق الإنسان نفسه؟ كيف يُنشئ العدم الوجود؟!

الإنسان لم يكن شيئاً مذكوراً، فكيف يخلق نفسه؟ ليسوا إذن هم الذين خلقوا أنفسهم، ﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ هل هم الذين خلقوا العالم من قبلهم؟ الأرض من تحتهم، والسموات من فوقهم، هل هم صانعوا هذا العالم علويّه وسفليّه؟

لا، لم يدعوا ذلك، ما ادّعى ذلك أمثال نمرود، وأمثال فرعون، الذين زعموا أنّهم آلهة في الأرض، فرعون الذي قال للناس: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، ونمرود الذي قال: ﴿أَنَا أَحْيَى وَأَمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] لم يدعوا أنّهم خلقوا هذا الكون، كل ما قاله نمرود حينما حاجّه إبراهيم عليه السلام: مَنْ رَبُّكَ؟ قال ربي الذي يحيي ويميت. قال نمرود الطاغية، أنا أحيي وأميت، وها أنا ذا أريك. جاء باثنين من عرض الطريق، وقال: حكمت عليهما بالإعدام، بالموت. ثمّ قال: عفوت عن هذا. ثمّ قال للسياّف: اضرب عنق هذا. قال: رأيت؟ ها أنا قد أمتّ هذا، وأحييت ذاك، أنا أحيي وأميت! فلم يجادله إبراهيم في معنى الإحياء ومعنى الإماتة، ولكن أراد أن ينتقل إلى أمر أوضح، فقال إبراهيم: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨] إذا كنت إلهاً وقادراً على الإحياء والإماتة، فأرنا قدرتك في تغيير نواويس الكون: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

لم يدع نمرود ولا فرعون ولا الطواغيت ولا المتألهون في الأرض،

أَنَّهُمْ خَلَقُوا هَذَا الْكَوْنَ، وَكَيْفَ يَدْعُونَ ذَلِكَ وَالْكَوْنَ كَانَ قَبْلَهُمْ؟ قَبْلَ أَنْ يَوْجَدَ نَمْرُودُ، وَقَبْلَ أَنْ يَوْجَدَ فِرْعَوْنُ! كَانَتِ السَّمَاوَاتُ مَرْفُوعَةً، وَكَانَتِ الْأَرْضُ مَوْجُودَةً، وَكَانَتِ الْجِبَالُ مَنْصُوبَةً، فَكَيْفَ يَدْعُونَ أَنَّهُمْ خَلَقُوا هَذِهِ الْأَكْوَانَ وَالْأَجْرَامَ؟ ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿[الطور: ٣٥، ٣٦]

لَمْ يُخْلَقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ، وَلَمْ يَخْلُقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَلَمْ يَخْلُقُوا أَنْفُسَهُمْ، وَلَمْ يَخْلُقُوا شَبْرًا وَلَا ذِرَاعًا، وَلَا مِثْرًا وَلَا فِئْرًا، وَلَا ذَرَّةً وَلَا خَرْدَلَةً مِنْ حَوْلِهِمْ، مِنْ فَوْقٍ أَوْ مِنْ تَحْتٍ، فَمَنْ الْخَالِقُ إِذَنْ؟ الْخَالِقُ هُوَ اللَّهُ، هَذَا مَا تَقُولُهُ الْفِطْرَةُ، وَهَذَا مَا يَنْطِقُ بِهِ الْعَقْلُ.

الفطرة تنطق بوجود الله عند الشدة:

وَإِذَا جَحَدَ الْإِنْسَانُ ذَلِكَ فِي سَاعَاتِ الرِّخَاءِ وَالْعَافِيَةِ، فَسِرْعَانِ مَا يَعْتَرِفُ بِذَلِكَ وَقْتُ الشَّدَةِ، حِينَمَا تَدْلُهُمْ مِنْ حَوْلِهِ الْخُطُوبُ، وَتَشْتَدُّ بِهِ الْكُرُوبُ، وَلَا يَجِدُ يَدًا تَمْتُدُّ لَهُ بِالْمُسَاعَدَةِ، وَيَيْئَسُ مِنَ النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِ، هُنَاكَ يَرْفَعُ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَقُولُ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، هَذِهِ هِيَ الْفِطْرَةُ تَنْطِقُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ، وَهَذَا مَا حَكَاهُ لَنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ وَهُوَ يَخَاطِبُ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْعَرَبِ: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِحِمْلِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢].

حِينَ يَرُونَ الْمَوْتَ بِأَعْيُنِهِمْ، حِينَ يَحِيطُ بِهِمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ، حِينَ تَعْصِفُ بِهِمُ الرِّيحُ، وَتَلْعَبُ بِهِمُ الْأَمْوَاجُ، هُنَاكَ لَا يَدْعُونَ هَبْلًا وَلَا مَنَاةً، وَلَا اللَّاتَ وَلَا الْعَزَّى، وَلَا فَلَانًا وَلَا عَلَانًا، وَإِنَّمَا يَدْعُونَ اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ، إِنَّمَا كَانُوا مُخْلِصِينَ فِي هَذِهِ الْفِتْرَةِ، وَفِي هَذِهِ الْحَالَةِ؛ لِأَنَّهُمْ رَجَعُوا

إلى الفطرة! ذهب الطلاء الكاذب الذي كان يُغشّي فطرهم، ورجعوا إلى الحقيقة الأصلية: أنه لا منقذ إلا الله، ولا مُنجي إلا الله، ولا دافع للضرر إلا الله، هنالك يدعون الله مخلصين له الدين، يكونون في هذه الحالة موحدين، يُطرح الشرك الزائف، ويُنادى الله وحده؛ ولهذا يستجيب الله لهم، صحيح أنهم حين تعود لهم العافية والرخاء، يعودون إلى ما كانوا عليه من قبل، ينسون ما حدث في ساعة الشدة، وهذا هو طبع الإنسان.

دلالة العقل على وجود الله:

الفطرة تقول لك: إن الله هو خالقك وباريك ومُصَوِّرُكَ، العقل يقول ذلك، انظر إلى الكون من حولك، كل ما فيه يدل على أن الكون لم يأت صدفة، لا يمكن، هذا الإبداع في كل ناحية من نواحيه، هذا التنظيم الدقيق، جسم الإنسان نفسه، لو نظرت أي عضو من الأعضاء كيف رُكب؟ وكيف رُتب؟ وكيف هُيئ لأداء وظيفته، شيء يطول شرحه، لا يحتاج إلى أن نسمع من مشرح أو طبيب وظائف هذا الجسم.

انظر أنت بفطرتك السليمة، بعقلك العادي: تر أن الله خلقك فسوّاك فعدلك، في أي صورة ما شاء ركبك.

انظر إلى الكون من حولك: كل شيء فيه يدل على الله عَجَبًا، ورحم الله أبا العتاهية حين قال:

فَيَا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الْإِلَهَ	أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُ الْجَا حِدُ؟
وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَخْرِيكَةٍ	وَفِي كُلِّ تَسْكِينَةٍ شَاهِدُ
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ	تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الْوَاحِدُ ^(١) !

(١) انظر: ديوان أبي العتاهية ص ١٢٢، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٦م.

كل ما في الكون يدل على الله، على وجود الله، وعلى وحدانيّة الله، الوحدة بين الكائنات من الذرة إلى المجرة، تدل على أنّ الصانع واحد، الصانع واحد، ولذلك تناسقت صنعته، فليس فيها اختلاف، وليس فيها تناقض: ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوُّتٍ فَأَرْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣].

العلم الحديث يدلنا على الله:

آيات الله مبثوثة في النفس والآفاق، والعلم الحديث يكشف لنا الآن عن عجائب تدلنا على الله وَجَلَّ، كما قال الله سبحانه: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]. حتّى إن بعض العلماء كان في مختبره، ينظر ويحلل، ويرى ترتيب الأمور وإبداعها، وتنظيمها ودقتها، فخرج من مختبره يقول: يا قوم لقد رأيتم الله، كيف رآه؟ إنّه رآه في خلقه، في آثاره.

من أسماء الله الظاهر:

الله سُبْحَانَهُ موجود وظاهر، من أسمائه الظاهر، الظاهر في كل شيء، كل شيء يدل عليه، حتّى إن من أصحاب الفطر السليمة، من أصحاب القلوب المستقيمة، من رفض أن يستدل على وجود الله بدليل، ولمّا قيل لبعض الصالحين: إنّ فلاناً من العلماء أقام ألف دليل على وجود الله. قال: لعل في نفسه ألف شبهة، فأقام عليها ألف دليل. الأمر لا يحتاج إلى هذا: وليس يصحّ في الأذهان شيءٌ إذا احتاج النهار إلى دليل^(١)!

يقول ابن عطاء مناجياً ربّه: إلهي؛ كيف يُستدلُّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، حتّى يكون

(١) ديوان المتنبي ص ٣٤٣، نشر دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٨٣م.

هو المظهر لك، متى غبتَ حتى تحتاج إلى دليل يدلُّ عليك؟ ومتى بعدتَ حتى تكون الآثار هي التي تُوصِّل إليك^(١)؟!

الأنبياء لم يدعوا إلى وجود الله:

هذا هو إحساس أهل الإيمان، أنَّ الله تعالى ليس في حاجة إلى أن يُقام عليه الدليل، ولولا الإلحاد الذي ظهر في عصرنا، ما احتاج النَّاس أن يقيموا دليلاً على وجود الله، ليس هناك حاجة أن نقيم أدلة على وجود الله، وما بُعث الأنبياء خلال مواكب التاريخ ليقيموا الدليل على وجود الله، بل بُعثوا ليدعوا إلى عبادة الله وحده، إلى التوحيد؛ ولذلك كان نداء كل رسول لقومه: ﴿يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩].

لم يدعوههم ليؤمنوا بوجود الله، فقد كانوا يؤمنون بوجود الله، وجود الله ليس فيه مشكلة، المشكلة هو هذا الانحراف عن التوحيد وعن الصراط الصحيح، قال أحد المؤرخين المؤرخ الإغريقي القديم بلو تارك: لقد وُجدتْ في التاريخ مدنٌ بلا حصون، ووجدتْ مدنٌ بلا مدارس، ووجدتْ مدنٌ بلا قصور، ولكن لم توجد أبداً مدن بلا معابد^(٢)!

كانت المعابد موجودة في المدن دائماً، في كل عصر، وفي كل قطر، ولكن المهم: مَنْ المعبود في تلك المعابد؟! كثيراً ما انحرف النَّاس عن الطريق الصحيح، فعبدوا غير الله، عبدوا آلهة شتَّى، عبدوا الشمس والقمر، عبدوا الجن والبشر، عبدوا الوثن والحجر، عبدوا النبات والشجر،

(١) حكم ابن عطاء الله السكندري بشرح الشيخ زروق ص ٥٠٦، تحقيق د. عبد الحليم محمود ود. محمود بن الشريف، نشر دار الشعب، القاهرة.

(٢) انظر: الله والإنسان لمصطفى محمود ص ١١٦، نشر دار الجمهورية، القاهرة، سلسلة كتب للجميع، العدد (١١٣).

عبدوا الكلاب والبقر، عبدوا آلهة شتى من الحيوان، ومن النبات، ومن الأفلاك، ومن الجمادات، فجاء الأنبياء من جديد ليشدوا الناس إلى عبادة الله الواحد، أن يعبدوا الله ما لهم من إله غيره: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، هذا هو المهم.

الملحدون على مدار التاريخ قلة:

كان هناك ملحدون يقولون: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ ولكنهم على مدار التاريخ قلة لا وزن لها ولا قيمة، الأكثرية تعترف بوجود الله، ولكن تنحرف عنه، وتعبد معه آلهة أخرى، حتى كان هذا العصر الذي كثر فيه الإلحاد نتيجة المسيحية المحرّفة، ونتيجة سلوك رجالها، نتيجة سلوك الكنيسة مع الناس، المسيحية التي تقول: الثلاثة واحد، والواحد ثلاثة، حتى قال الإمام ابن حزم: لم توجد مقولة في الدنيا أشد فسادًا وبطلانًا من مقولة النصارى: الثلاثة واحد والواحد ثلاثة «الآب والابن والروح القدس، هم ثلاثة ولكنهم واحد، الواحد هو ثلاثة»! يقول ابن حزم: ولو لم نر هؤلاء الناس بأعيننا، ونجادلهم بآلسنتنا، ونسمعهم بآذنا، ما صدقنا أن في الوجود من يقول هذا^(١).

اصطدام الكنيسة بالحياة:

ثم بعد ذلك اصطدمت بالعقل، واصطدمت بالعلم، واصطدمت بالعدالة الاجتماعية، واصطدمت بالحرية السياسية والاقتصادية، فوقفت مع الجهل ضد العلم، الكنيسة في الغرب وقفت مع الجهل ضد العلم، ومع التخلف ضد التطور، ومع الاستبداد ضد الحرية، ومع الملوك

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (٤٩/١)، نشر مكتبة الخانجي، القاهرة.

الظلمة ضد الشعوب، فكانت النتيجة أن ثار الثائرون عليها، وانتصر موكب العلم والفكر الحر، هذا ما حدث.

انصراف النَّاس عن الدين بسبب الكنيسة:

كانت النتيجة: أَنَّ النَّاس حينما انتصروا على الكنيسة ظَنُّوا أَنَّهُم انتصروا على الدين، وَأَنَّ الكنيسة تمثل الدين، فلذلك كفروا بالدين كله! والواقع أَنَّ كفر هؤلاء لم يكن بالدين الصحيح، إِنَّمَا هو كفر بالكنيسة، وكفر بتعاليمها، وكفر برجالها! وكثير من النَّاس الَّذِينَ أعلنوا عن إلحادهم، ترى أَن إلحادهم ليس إلحادًا حقيقيًّا، إِنَّه ليس جحودًا للخالق، إِنَّمَا هو جحود بهذا الإله الَّذي يصوره هؤلاء القوم.

إلحاد اليوم ليس إلحاد فكر؛ وَإِنَّمَا إلحاد منفعة:

كثير من النَّاس الَّذِينَ يزعمون الإلحاد ليسوا ملحدين، وَإِنَّمَا هم منتفعون من وراء الإلحاد، خوفًا أو طمعًا، الَّذِينَ يدَّعون الإلحاد من الشيوعيين وغيرهم، كثير من هؤلاء ليسوا ملحدين، إِنَّمَا هم مرتزقة منتفعون، يقبضون من وراء ذلك، وآخرون ليسوا ملحدين إلحادًا فكريًّا، وَإِنَّمَا هو؛ كما قال بعض المفكرين: إن إلحاد هؤلاء ليس إلحاد عقل وفكر، إِنَّه إلحاد بطن وفرج، أي إن هؤلاء انحلوا، وسقطوا في حمأة الشهوات، فأرادوا أن يبرروا سلوكهم الهابط، فقالوا: لا إله، ولا حساب ولا عقاب، ولا آخرة، تبريرًا لما هم فيه! قليل من النَّاس هم الملحدون عن فكر واقتناع، فالإلحاد يظل ظاهرة شاذة، والفطرة هي الأغلب، وإن أصابها الانحراف.

أساس الإيمان هو توحيد الله وَحْدَهُ :

نحن المسلمون والحمد لله في غنى عن هذه الأمراض الوافدة، إذا فهمنا الإسلام حق الفهم، إذا عدنا إليه حق العودة، ورجعنا إلى ينباع

الصافية من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ؛ هناك نجد الإيمان، ونبع الإيمان النقي، هناك نجد أن أساس هذا الإيمان هو توحيد الله ﷻ: أَلَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، وَلَا تَسْتَعِينُ إِلَّا بِاللَّهِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] أن تفرد الله تعالى بالعبادة والاستعانة، وهذا هو أساس الحرية الحقة، الحرية الحقة ألا تكون عبدًا إلا لله، وهذا هو أساس التحرر الحقيقي! إذا كنت عبدًا لله وحده، فلن تكون عبدًا لمخلوق سواه، ومن هنا كانت رسائل النبي ﷺ إلى قيصر، والنجاشي، والمقوقس، وملوك الأرض، وأهل الكتاب: ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤]، لا يتخذ بعضنا بعضًا أربابًا من دون الله.

التوحيد إبطال لكل الربوبيات الزائفة:

لقد أبطل الإسلام بالتوحيد كل الربوبيات الزائفة، سواء كانت ربوبية رجال الدنيا، من الملوك والفراعنة، والقيصرة والكياسرة، والجبابة، أم كانت ربوبية رجال الدين، من الرهبان والأحبار، الذين تحكّموا في ضمائر الناس، فأحلوا لهم وحرّموا عليهم، واستلبوا سلطة التشريع من الله، وأصبحوا هم المُشرّعين المُحرّمين المُحلّلين، وهذا ما أنكره القرآن الكريم، ودمغه بالشرك في قوله تعالى: ﴿اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]. وقد قال عدي بن حاتم؛ وقد دخل على النبي ﷺ وهو يقرأ هذه الآية - وكان قد تنصّر في الجاهلية - فقال:

«يا عدي اطرح عنك هذا الوثن». قال: أمّا إنهم لم يكونوا يعبدونهم، ولكنهم كانوا إذا أحلّوا لهم شيئاً استحلّوه، وإذا حرّموا عليهم شيئاً حرّموه^(١)، ما دمتم أعطيتموهم حق الله في التشريع، والتحليل والتحريم، والطاعة المطلقة، فقد جعلتموهم أرباباً من دون الله، وقد عبدتموهم من دون الله.

التوحيد أساس الحرية والمساواة:

جاء الإسلام ليحرر النَّاس من هذا كله؛ فالتوحيد الإسلامي هو أساس الحرية، والتوحيد الإسلامي، هو أساس المساواة، فما دمنا جميعاً عبيداً لله، فلست أفضل مني ولست أفضل منك، أنا وأنت عباد لله، فلماذا تستعبدني؟ لماذا تنظر إليّ نظرة احتقار، وتنظر إلى نفسك نظرة استعلاء واستكبار؟ كلنا عباد الله، التوحيد هو أساس المساواة بين الناس.

التوحيد هو أساس الإخاء:

التوحيد هو أساس الإخاء بين النَّاس، النَّاس جميعاً إخوة، ما داموا جميعاً اشتهروا في العبوديّة لله، بجوار النبوة لآدم ﷺ؛ كما جاء في الحديث: «إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب لا فضل لعربي على عجمي، ولا لأبيض على أسود، إلّا بالتقوى»^(٢). ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]

(١) رواه الترمذي في تفسير القرآن (٣٠٩٥)، وقال: هذا حديث غريب. وحسنه الألباني في الصحيحة (٣٢٩٣).

(٢) رواه أحمد (٢٣٤٨٩)، وقال مخرّجه: إسناده صحيح. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥٦٢٢): رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح. عمن سمع خطبة النبي ﷺ.

كان النبي ﷺ كما روى عنه زيد بن أرقم يقول في دبر كل صلاة: «اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه، أنا شهيد أنك الرب وحدك لا شريك لك، اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه، أنا شهيد أن محمداً عبدك ورسولك، اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه، أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة»^(١).

انظروا: جعل ﷺ الإخاء بين الناس في المرتبة التالية لتوحيد الله وللشهادة لرسول الله ﷺ بالرسالة.

أنا شهيد أن العباد كلهم إخوة: الأخوة الإنسانية أصلها التوحيد، التوحيد أساس الحرية، أساس الإخاء، أساس المساواة، التي يتغنى بها بعض الناس، ويظنون أنها وافدة من الغرب، وأنها بضاعة مستوردة، وهي بضاعة إسلامية أصيلة، نابعة من قرآننا وسنتنا، وتراثنا وتاريخنا.

إن أصل الأصول في الإسلام هو الإيمان بالله، وأصل الأصول في الإيمان بالله هو توحيد الله تبارك وتعالى، توحيد الله حق توحيده، هذا ما أراد الإسلام أن يربي عليه المسلم، منذ يولد وإلى أن يموت، فمنذ يولد يؤذن في أذنه بالأذان: أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، الله أكبر، الله أكبر، وحينما يُحتضر، حينما يكون على فراش الموت، يُلقن كلمة التوحيد، يلحقن لا إله إلا الله؛ ليكون أول ما يطرق سمعه حين يستقبل الحياة، لا إله إلا الله، وآخر ما يطرق سمعه حينما يستدبر الدنيا، لا إله إلا الله، فبالتوحيد يستقبل الحياة، وبالتوحيد يودع الحياة، وبين الحياة والموت، يعيش للتوحيد لعبادة الله وحده لا شريك له، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]!

(١) رواه أحمد (١٩٢٩٣)، وقال مخرجه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الصلاة (١٥٠٨)، والطبراني (٢١٠/٥)، وضعفه الألباني في ضعيف أبي داود (٣٢٥).

التوحيد أساس العزة:

جاء الإسلام ليرسي دعائم التوحيد في الأنفس والحياة، وليعلن ذلك في الناس، وليبطل الأرباب الزائفة، وليعلي الجباه حتى لا تنخفض إلا لله، ويرتفع بالرؤوس فلا تطأطئ إلا لله! جاء الإسلام بهذا فاعتزت به النفوس، وارتفعت به الرؤوس: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨].

أصل الأصول هو التوحيد، شأن المسلم ألا يذل لأحد، لا حي ولا ميت، من الشرك أن تذل لمخلوق غير الله، وأن تستغيث بغير الله، وأن تسأل غير الله، سواء كان هؤلاء أحياء أو أمواتاً، هناك من يسألون الأموات، من يستغيثون بالأموات، من يقفون عند الأضرحة ومقامات الأولياء، يسألونهم ما لا يسأل إلا من الله تعالى الله وُجَّهَكَ، من الذي يجعلك تسأل مخلوقاً لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، إذا كان الله تعالى قال لرسوله: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَاسْتَكْرَثْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨].

إذا كان هذا شأن رسول الله ﷺ فمن يدعي أن غيره يملك الضر أو النفع، أو يعرف من أمور الغيب وحياة الناس وحاجاتهم؟ إن هذا شرك دخل على المسلمين من الملل المنحرفة، والأمم الملوثة بالوثنية، ينبغي أن يتنزه عنه المسلمون؛ «إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله»^(١). الباب بينك وبين الله مفتوح، ليس على بابك حاجز ولا بواب، إذا قلت: يا رب. قال: لَبَّيْكَ عبدي وسعديك. لم يمنع أحداً أن يناديه أو يناجيه.

(١) رواه أحمد (٢٦٦٩)، وقال مخرجه: إسناده قوي. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٣٠٢). عن ابن عباس.

لما جاء بعض الأعراب يسأل النبي ﷺ: يا رسول الله، أقرب ربنا فنناجيّه أم بعيد فنناديه؟ فنزل القرآن يجيب عن هذا السؤال بهذه الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]^(١).

لا وساطة بين الله وبين خلقه:

الله أقرب إليك من حبل الوريد، هذا العرق الذي في عنقك! هو أقرب إليك من نفسك، الله أقرب إليك من نفسك، فلماذا توسط بينك وبينه؟

أتظن أن الله مثل الملوك الجبارين، والحكام المستبدين، لا تستطيع أن تصل إليهم إلا بواسطة، وبواسطة للواسطة؟ لا، ليس بينك وبين الله حجاب، قل يا رب متى شئت، حتّى العصاة فتح الله لهم بابه، وناداهم إلى حضرته، وقال لرسوله: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]!

يا عبادي، انظروا كيف أضافهم إلى نفسه العلية، إلى ذاته المقدسة، تكريما وتحبيبا، وتأليفا وإيناسا، قل يا عبادي، أي أنتم عبادي، مهما صنعتهم فلسستم غرباء عني ولا أجنب مني، أنتم عبادي: ﴿قُلْ يَعْبادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ بالمعاصي والكبائر، واقتراف المحرمات، وترك الفرائض، ومخالفة النواهي، وتضييع الفرائض، ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾!

لماذا توسط إذن بينك وبين الله وسائل ووسائط والباب مفتوح بينك

(١) رواه الطبري في تفسيره (٤٨٠/٣)، تحقيق محمود وأحمد شاكر، نشر دار التربية والترات، مكة المكرمة.

وبينه؟ لقد رأينا المشركين حينما أحاط بهم الموج، وتضرعوا إلى الله مخلصين له الدين استجاب لهم، فهل أنت أيُّها المسلم العاصي أقل من المشركين الذين نادوا الله مباشرة فاستجاب لهم؟ إن إبليس نفسه قال: ﴿رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فقال الله: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿[الحجر: ٣٦ - ٣٨].

ليس بينك وبين الله حجاب، لا تشرك بالله، ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يونس: ١٠٦]، ودعك من التأويل والمؤولين، الأمر واضح صريح، ارجع إلى الباب الذي لا يُسد، باب الذي لا تخفى عليه خافية، ولا يغيب عنه سر ولا علانية! لا تتبرك بشجر ولا حجر، ولا قبر ولا وثن، أصلح عقيدتك، صن توحيدك من كل ما يلوته، هذا هو شأن المؤمن، المؤمن الذي يتبع عقيدة رسول الله ﷺ وعقيدة أصحابه، لا تشرك بالله شيئاً كما أوصى لقمان ابنه: ﴿يَبْنَى لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]!

لا تشرك بالله، لا أصحاب القبور ولا أصحاب القصور، هناك من ينكرون عبادة أصحاب القبور، ولا ينكرون عبادة أصحاب القصور! شرك الأموات مرفوض، وشرك الأحياء مرفوض أيضاً!

شرك العوام اتجاهه إلى الأموات، وشرك الخواص للأسف اتجاهه إلى الأحياء، يحنون، لهم ويرجونهم من دون الله، ويوطئون ظهورهم لهم، ويتعبدون لهم، ويظنون أن الأرزاق والآجال بأيديهم، والأرزاق والآجال بيد الله، لا يستطيع أحد أن ينقص من رزقك لقمة، لا يستطيع أحد أن يؤخر أجلك يوماً أو ساعة أو دقيقة أو ثانية أو لحظة من زمن، الله وحده هو الذي يملك أجلك، ويملك رزقك، ويملك حياتك وموتك،

فلا داعي أن تُذل نفسك لغير الله، لا داعي أبداً أن توطئ ظهرك، أو تُطأطئ عنقك لغير الله وَعَلَيْكَ، ارتفع بنفسك أيها المؤمن إذا كنت من أهل التوحيد، والله لو صدقنا الله فعبدناه وحده، واتجهنا إليه وحده، نرجوه وحده، ونخافه وحده، ونستعين به وحده، ونتوكل عليه وحده، ونعتصم به وحده، وندعوه وحده في الشدة والرخاء، والنعماء والبأساء، والله لو صدق توحيدنا لقدنا الدنيا، وانتصرنا على أعدائنا، وتغير حالنا، ولكننا للأسف؛ ونحن أمة التوحيد، نشوب توحيدنا بملوثات كثيرة! علينا أن نرجع إلى حقيقة التوحيد؛ لنعيش لله وحده، نعيش لله وحده مخلصين له الدين، لا نعبد إلا الله، ولا نرجو إلا الله، ولا نخاف إلا الله، ولا نعتصم إلا بحبل الله: ﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدَرًا ﴿[الطلاق: ٣].

أقول قولي هذا، واستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ:

فقد ورد أن في يوم الجمعة ساعة إجابة^(١)، ولعلها تكون هذه الساعة.
اللهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فِي دِينِنَا وَدُنْيَانَا، وَأَهْلِينَا
وَأَمْوَالِنَا، اللَّهُمَّ اسْتِرْ عَوْرَاتِنَا، وَآمِنْ رَوْعَاتِنَا، واحفظنا من بين أيدينا
ومن خلفنا، وعن أيمننا، وعن شمائلنا، ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك
أن نغتال من تحتنا.

اللهمَّ اجمع كلمتنا على الهدى، وقلوبنا على التقى، وأنفسنا على
الحبِّ فيك، وعزائمننا على عمل الخير وخير العمل.
اللهمَّ لا تجعل للشيطان على أنفسنا سبيلاً.

اللهمَّ أعِنَّا على شهوات أنفسنا، وأصلح فساد قلوبنا، وتب علينا
توبة نصوحاً.

اللهمَّ اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا،
وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب
الآخرة.

اللهمَّ لا تهلكنا بما فعل السفهاء منا، ولا تسلط علينا بذنوبنا من
لا يخافك فينا ولا يرحمنا، وارفع مقتك وغضبك عنا، وآمناً في أوطاننا،
ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقلّ من ذلك.

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢)، كلاهما في الجمعة.

اللهم اجعل هذا البلد آمنا مطمئنا، سحاء رخاء، وسائر بلاد المسلمين.
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ
الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

اللهم انصر إخواننا في فلسطين، وانصر إخواننا في البوسنة
والهرسك، وانصر إخواننا في جامو وكشمير، وانصر إخواننا في كل
مكان يقاتلون فيه، وانصر إخواننا المضطهدين المعذبين.

اللهم فكِّ بقوتك أسرهم، واجبر برحمتك كسرهم، وتول بعنايتك أمرهم.
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا
لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله
وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].



الإيمان قوة

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

الإيمان أساس التربية الصحيحة:

أحوج ما تحتاج إليه أمتنا عامّة، وشباب أمتنا خاصّة هو التربية، حُسن التربية والتوجيه، ولا قيمة لأيّ تربية تُوضع لها المناهج، وتطوّر لها الأساليب، وتُستخدم فيها وسائل السمع والبصر إذا لم يكن هدفها واضحًا، وإذا لم يكن أساسها سليمًا.

لا بدّ أن يكون أساس التربية في أيّ مجتمع إسلاميّ هو الإيمان، ولا بدّ أن يكون هدفها هو الإنسان، الإنسان المؤمن، إنسان سورة العصر، الإنسان الناجي من خسران الدُّنيا والآخرة، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ١ - ٣].

التربية الصحيحة، والتربية الناجعة، والتربية التي يمكن أن تؤتي أكلها في مجتمعاتنا المسلمة هي التي تعتمد العقيدة أساسًا لها، هي التي

تقوم على التوحيد، هي التي تقوم على الإيمان بالله تعالى، وبالدار الآخرة، وبالقدر، وبالحق.

إذا لم نغرس هذه المعاني غرسًا، وما لم نزرعها في العقول والقلوب زرعًا - تقوم بذلك المدرسة، وتقوم بذلك الجامعة، ويقوم بذلك المسجد، وتقوم بذلك الإذاعة، ويقوم بذلك التلفاز، وتقوم بذلك الأسرة، ويتعاون على ذلك كل جهاز مؤثر في الدولة - إذا لم تقم التربية ولم يَقم التوجيه على هذا الأساس؛ فإننا لا نُنشئ إلا أجيالاً من الضعفاء المهازيل، والعاثين أو المنحرفين، الذين لا تصلح بهم أمة، ولا تنهض بهم رسالة، ولا ينتصر بهم دين، ولا ترتقي بهم دنيا.

الإيمان مصدر كل خير:

لا بدّ لنا أن نقوم تربيتنا وتوجيهنا على العقيدة، على التوحيد، على الإيمان، فالإيمان هو مصدر كل خير في الدنيا وفي الآخرة، إذا أردنا السعادة في الآخرة، إذا أردنا الجنة، إذا أردنا رضواناً من الله أكبر، إذا أردنا النظر إلى وجه الله الكريم فلا سبيل إلى ذلك إلا بالإيمان.

وإذا أردنا أن نسعد في الدنيا، إذا أردنا أن نقوى، إذا أردنا أن نرتقي، إذا أردنا أن نتحرّر، إذا أردنا أن نتوحّد؛ فلا سبيل إلى ذلك إلا بالإيمان، والإيمان وحده، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]. فثمار الإيمان كثيرة وعظيمة، وهو مصدر كل خير.

الإيمان قوّة:

أحدثكم اليوم عن ثمرة من ثمار الإيمان، عن القوّة، فالإيمان هو الذي يصنع الأقوياء، هو مصنع الرجال الأشداء، وهو الذي صنع أصحاب

رسول الله ﷺ، هو الذي جعل مثل بلال بن رباح - العبد الأسود - يواجه سيده في الجاهلية أمية بن خلف، ويقارع أبا جهل بن هشام، ولا يبالي بالجبابرة الطغاة، لأنه استقرّ في نفسه معنى أنه مؤمن، وأنّ المؤمن لا يبالي بشيء في سبيل الله، فالإيمان مصدر القوة.

الإيمان بالله:

إذا أردنا أجيالاً قويّة فلنربّها على الإيمان، فلنبنِ إرشادها وتوجيهها وتعليمها وتربيتها على الإيمان، لنغرس فيها منذ نعومة أظفارها أنّ هناك إلهاً واحداً قهاراً، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، إليه يرجع الأمر، وإليه يُردُّ كل شيء، هو المُعطي المانع، والضارُّ النافع، والخافضُ الرافع، والأزليُّ الأبديُّ الباقي، ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، فالإيمان بالله قوّة.

الإيمان بالآخرة:

وإذا أردنا أجيالاً قويّة فلنربّها على الإيمان بالخلود، بالأبد، بالآخرة، أنّ هذه الدنيا ليست دارَ مقرٍّ، وإنّما هي ممرٌّ، هي قنطرة إلى دار أخرى، أنّ هناك بعد هذه الدار داراً، عِشْ ما شئت فإنّك ميّت، وامكُثْ بعد ذلك في القبر فإنّك مبعوث، وبعد البعث حساب، وبعد الحساب ثواب أو عقاب، جنّة أو نار، فالإيمان بالآخرة قوّة.

الإيمان بالقدر:

وإذا أردنا أجيالاً قويّة فلنربّها على الإيمان بالقدر، أن يؤمن الإنسان بأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، وأنّ الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيء لن ينفعوه إلّا بشيء قد كتبه الله له، ولو اجتمعت على أن يضروه بشيء لن يضروه إلّا بشيء قد كتبه الله عليه،

جَفَّتِ الأَقْلَامُ وَطُوِيَ الصَّحَفُ، لَا بَدَّ أَنْ يُؤْمِنَ بِأَنَّ الرِّزْقَ مَقْسُومٌ،
وَالْأَجَلَ مُحْتَمٌ، وَأَنَّ أَحَدًا لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَزِيدَ فِي رِزْقِهِ أَوْ يَنْقُصَ مِنْهُ،
وَلَا أَنْ يَقْدَمَ فِي أَجَلِهِ أَوْ يُؤَخَّرَ مِنْهُ، فَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ قُوَّةٌ لَا يُقَدَّرُ قَدْرُهَا.
ولذلك كان عليٌّ رضي الله عنه يقول:

أَيُّ يَوْمِي مِنَ الْمَوْتِ أَفَرَّ يَوْمٌ لَا يُقَدَّرُ أَمْ يَوْمٌ قُدِّرَ؟
يَوْمٌ لَا يُقَدَّرُ لَا أَحْذَرُهُ ومن المقدور لا يَنْجُو الْحَذَرُ^(١)
فَمِمَّ أَخَافُ؟

إذا كان بعض النَّاسِ يعتبر الإيمان بالقدر نقطة ضعف؛ كما يشيع
بعض الأفاكين عن الإسلام، فقد كان الإيمان بالقدر مصدر قُوَّةٍ
للمسلمين طَوَالَ عهودهم، إنهم لم يبالوا بشيء، كما قال إقبال رحمه الله:
المؤمن الضعيف يحتجُّ بقضاء الله وقدره، أَنَّ الله قضى عليه، والمؤمن
القوي يعتقد أَنَّهُ قضاء الله الَّذي لَا يُرَدُّ، وقدره الَّذي لَا يُهْرَبُ مِنْهُ.

وقد روي أن بعض الصحابة في زمن الفتوح الإسلامية سأله أحد
قَوَادِ الفرس مَنْ أَنْتُمْ؟ قال: نحن قَدَرُ الله، ابتلاكُم الله بنا، كما ابتلانا
بكم، فلو كنتم في سحابة لارتفعنا إليكم، أو لهبطتم إلينا^(٢). لن تنجوا
مِنَّا، نحن قدر الله، هكذا كان اعتقادهم! ففي الإيمان بالقدر قُوَّةٌ.

الإيمان بالحق:

وإذا أردنا أجيالاً قويّةً فلنربّها على الإيمان بالحق الَّذي جاء من عند
الله، أن يوقن المسلم أَنَّهُ صاحبُ حقٍّ، أَنَّهُ وحده صاحب الدين، الَّذي

(١) انظر: العقد الفريد لابن عبد ربه (١٢٤/٦)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤٠٤هـ.

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٦٠١/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط ٢، ١٣٨٧هـ.

لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أَنَّ لديه الوثيقة السماوية الوحيدة التي لم يعترها تحريف ولا تبديل: القرآن الكريم، ﴿كَتَبُ أَحْكَمَتْ ءَايَتُهُ، ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، أَنَّهُ صاحب الرسالة العامة الخالدة، هذا كله يعطيه قوّة لا يمكن أن تقاوم.

الاستعلاء على الدنيا وشهواتها:

وهذا ما رأيناه على امتداد عصور الإسلام، كان أصحاب الإيمان هم أقوى الناس، رأينا هذا الإيمان في الاستهانة بزخارف الدنيا: بالقصور والأموال، والذهب والفضة، لأنّ الدنيا لا تزن عند الله جناح بعوضة، فماذا تزن القصور والأموال، والذهب والفضة من جناح البعوضة؟! لم يبالوا بشيء، كانوا ينظرون إلى الدنيا كما ينظر الإنسان من فوق قمة شاهقة، أرأيت إلى راكب الطائرة؛ كلّما ارتفع رأى الناس كالنمل، ورأى العمارات الشاهقة كأنها عُلب صغيرة، حتّى إذا ارتقى وارتقى لم يعد يرى منها شيئاً، هكذا شأن المؤمن، إنّه ينظر إلى الدنيا من عل، من فوق، لا يبالي بما يبالي به الناس.

جاء الخليفة الأمويّ سليمان بن عبد الملك إلى المدينة المنورة فسأل عن علمائها، وقال: ألا يوجد أحد منهم ممّن رأى أصحاب رسول الله ﷺ؟ قالوا: أبو حازم. قال: اتتوني به. فجاء أبو حازم وسلّم عليه، فقال له الخليفة: ما لك يا أبا حازم، ألم تعلم أنا هنا فتأتي لتزورنا؟ قال: يا أمير المؤمنين، لم يسبق أن رأيتني ولا أن رأيتك، ولا حدث بيننا تعارف من قبل. فنظر إلى الإمام الزهري وقال: صدق الشيخ.

وقال له سليمان: يا أبا حازم، ما لنا نكره الموت؟ قال: لأنكم عمّرتُم الدنيا وخرّبتُم الآخرة، والإنسان يكره أن ينتقل من العمران إلى الخراب.

قال: يا أبا حازم، كيف القدوم على الله تعالى؟ قال: أمّا المحسن فكالغائب يقدم على أهله فرحاً مسروراً، وأمّا المسيء فكالعبد الأبق يرجع به قسراً إلى مولاه.

قال: يا أبا حازم، وما لنا عند الله؟ قال: اعرض نفسك على كتاب الله. قال: وماذا أجد في كتاب الله؟ قال: تجد قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصَلُّونَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الانفطار: ١٣ - ١٥]. قال: وما المخرج يا أبا حازم؟ قال: تأخذ المال من حِلِّه، وتضعه في محله، ولا تبخل به عن حقه. قال: ومن يقدر على ذلك؟ قال: من يرجو الجنة ويخاف النار.

ثم عرض عليه أن يصحبه فأبى، فأرسل إليه يقول: أليس لك حاجة؟ قال: بلى، حاجة واحدة، ليس لي حاجة غيرها؟ قال: وما هي؟ قال: أن تُزحزحني عن النار، وأن تدخلني الجنة. قال: هذه ليست لي. قال: وما لي حاجة غيرها. ثم ذهب الرجل فأرسل إليه بمائة دينار، وقال له: كلما احتجت أرسل إليّ. فردّها له، وقال: والله ما أرضاها لك فكيف أرضاها لنفسك؟^(١) الاستهانة بالدنيا وبزخارفها وبكل ما فيها، هذه من قوّة الإيمان.

الإيمان يصنع العجائب، الاستعلاء على الشهوات من قوّة الإيمان، حينما تُيسّر للإنسان أسباب الشهوات الحرام، وليس هناك من رقيب، وليس هناك من رادع إلا ذلك الشيء الداخلي في نفسك، هنا تجد قوّة الإيمان هي الوازع الوحيد، الذي يجعل المؤمن يركل الشهوات بقدميه، ويقول ما قال يوسف عليه السلام: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣]. إنّه يأبى أن يقترب الحرام، ويأبى أن يأكل الحرام، يرفضه كله؛ لأنّه يخاف الله رب العالمين، إنّه قوّة الاستعلاء على الشهوات.

(١) القصة دارت بين سليمان بن عبد الملك وأبي حازم. رواها الدارمي في مقدمة سننه (٦٧٣).

الاستهانة بالجابرة الطغاة:

وكذلك من قوّة الإيمان الاستهانة بالجابرة الطغاة، فالإيمان يُعطي صاحبه قوّة لا يمكن أن تُقاوم مهما كان ضعيفاً، إذا كان ضعيفاً؛ فإنه يستند إلى قوّة الله، وإذا كان قليل العدد؛ فإنه يستكثر بالملائكة، ﴿كَمْ مِّنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، رأينا ذلك في قوم طالوت الصادقين، ورأينا ذلك مع سحرة فرعون.

سحرة فرعون:

رأينا سحرة فرعون حينما خالطت قلوبهم بشاشة الإيمان، حينما رأوا الحق سافراً فسجدوا لله، وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾ [طه: ٧٠]. لم يبالوا بوعيد فرعون وتهديده: ﴿ءَامَنَ لَّهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَأَقْطَعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خَلْفٍ وَلَأَصْلَبَنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ وَلَنَعْلَمَنَّ أَيُّنَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧١]. أنا أم إله موسى الذي يزعمه؟ ماذا كان ردُّ هؤلاء؟ قالوا: ﴿لَنُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِن بَيِّنَاتٍ وَالَّذِي فَطَرَنَا﴾ [طه: ٧٢].

منذ لحظات كانوا يقولون: ﴿بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤]. فأصبحوا الآن يقولون: ﴿وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ [طه: ٧٢]. ماذا تستطيع أن تفعل؟ كل ما تستطيع أن تفعله هو في هذه الأيام المعدودة، ﴿إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾.

ثم انقلبوا من أتباع أذلاء لفرعون يرجون زلفاه، ويرجون ماله: إلى دُعاة الله مُبَشِّرِينَ به، يقولون: ﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾ [طه: ٧٣-٧٥]. ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَٰئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَىٰ﴾ [طه: ٧٣-٧٥].

ما هذه البلاغة؟! ما هذا الفيض؟! ما الذي فجر ينابيع الحكمة في قلوبهم ففاضت على ألسنتهم؟ إنه الإيمان جعل منهم دُعاة صامدين في وجه الطاغوت المُتأله، الذي يقول للناس: ﴿أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى﴾ [النازعات: ٢٤]. هكذا نرى الإيمان يعطي صاحبه قوّة لا يمكن أن تُقاوم، ورأينا ذلك في معارك الإسلام، كما رأينا ذلك في العصر الحديث.

عمر المختار:

رأينا رجلاً بلغ به الكبر مبلغاً، شاب رأسه، ولكن لم تشب نفسه ولا عزمته، عمر المختار قائد الجهاد الإسلامي في ليبيا ضدّ الطليان، قاتلهم بالعدد القليل والسلاح الضئيل، ولمّا قالوا له: إِنَّ سَيْفَكَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقِفَ أَمَامَ الْمَدْفَعِ. قال: لئن كسر المدفع سيفي، لن يكسر الباطل حقّي. أصابته الحُمى يوماً فقال له أصحابه وجنوده: استرح هذا اليوم. قال: لا، لا بدّ أن أكون معكم. كان يرتعد من الحُمى، وقال لهم: شُدُّوني على الحصان، واربطوني بالحبال حتّى لا أتخلّف عن الجهاد معكم. ولما ساومه الطليان على أن يعفوا عنه، أن يطلب العفو ويدعوه، فقال لهم: لو أطلقتكم سراحاً لعدتُ إلى مقاتلتكم من جديد. هذه هي قوّة الإيمان.

أبو بكر الصديق:

وكلما كان الإنسان أشدّ إيماناً كان أشدّ قوّة، فعلى قدر الإيمان تكون القوّة، انظروا إلى ذلك الرجل اللين الخاشع، الرقيق البكّاء: عبد الله بن أبي قحافة، أبي بكر الصديق، الذي كان يُضرب به المثل في رِقته ولينه وبكائه، هذا الرجل الرقيق كالنسيم، الناعم كالحرير، في مواقف الشدّة يهدر كالبحر، ويزار كالليث، ويثبت كالجبل حينما يهتز الآخرون.

حينما مات النبي ﷺ، ولم يُصدق كثيرٌ من الصحابة، وقف أبو بكر يقول في قوّة المؤمن، وإيمان القوي البصير: أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ. ثُمَّ تلا عليهم الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. قال الصحابة: كأنّا لم نسمع هذه الآية^(١). وقد نزلت عليهم وقرؤوها، وسمعوها من قبل.

وحينما ارتدّ المرتدون، وتنبأ المتنّبون الكذّابون، وتبعهم مَنْ تبعهم من قبائلهم عصبية جاهليّة، ومنع مَنْ منع منهم الزكاة، وقالوا: نصلي ولا نزكي. وقال بعض الصحابة: يا خليفة رسول الله، لا طاقة لك بحرب العرب جميعاً، الزم بيتك، وأغلق بابك، واعبد ربك حتّى يأتيك اليقين. حتّى عمر القوي كان مع هؤلاء الصحابة، وقال له أبو بكر فيما قال: أجبارٌ في الجاهلية خوّار في الإسلام، يا ابن الخطاب؟! والله لو منعوني عقلاً كان يؤدّونه لرسول الله؛ لقاتلتهم عليه ما استمسك السيف بيدي^(٢).

الإخلاص قوّة:

هذا هو الإيمان، هو الذي يصنع هذه القوّة، أعطني إيماناً أعطك قوّة تهد الجبال، الإخلاص لله، التوجّه الصادق إليه، رفض الغايات الدنيويّة، وتجريد النفس لله تعالى: يجعل من الإنسان قوّة أيّ قوّة.

(١) رواه البخاري في أصحاب النبي (٣٦٦٧، ٣٦٦٨)، عن عائشة.

(٢) عزاه المتقي الهندي في كنز العمال (١٦٨٣٨) للإسماعيلي. والحديث متفق عليه: بغير هذا اللفظ. رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٨٤)، ومسلم في الإيمان (٢٠)، عن أبي هريرة.

وفي هذا المعنى جاء الحديث الَّذِي صَوَّرَ هذا المعنى، قوَّة الإنسان المؤمن المخلص، قال: «لَمَّا خَلَقَ اللهُ الأَرْضَ، جعلت تَمِيدُ وتَكْفَأُ، فأرساها بالجبال فاستقرَّتْ، فعجبت الملائكة من شدة الجبال، فقالت: يَا رَبَّنَا هَلْ خَلَقْتَ خَلْقًا أَشَدَّ مِنَ الْجِبَالِ؟ قَالَ: نعم، الحديد الَّذِي يقطع الجبال. قَالُوا: فَهَلْ خَلَقْتَ خَلْقًا أَشَدَّ مِنَ الْحَدِيدِ؟ قَالَ: النَّارُ الَّتِي تُذِيبُ الحديد. قَالُوا: فَهَلْ خَلَقْتَ خَلْقًا أَشَدَّ مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: الْمَاءُ الَّذِي يُطْفِئُ النار. قَالُوا: فَهَلْ خَلَقْتَ خَلْقًا أَشَدَّ مِنَ الْمَاءِ؟ قَالَ: الرِّيحُ الَّتِي تَسُوقُ المياه. قَالُوا: فَهَلْ خَلَقْتَ خَلْقًا أَشَدَّ مِنَ الرِّيحِ؟ قَالَ: قلب ابنِ آدَمَ إِذَا تصدَّقَ بِصَدَقَةٍ فيخفيها؛ فلا تعلم شِمَالُهُ ما أنفقت يَمِينُهُ»^(١). هذا أَشَدُّ مِنَ الجبال، وَأَشَدُّ مِنَ الحديد، وَأَشَدُّ مِنَ النار، وَأَشَدُّ مِنَ المياه، وَأَشَدُّ مِنَ الرياح العواصف، القوَّة المعنوية لا تعدلها قوَّة: قوَّة الإيمان.

الإيمان قوَّةٌ ضدَّ الخوف والحرص:

الإيمان هو الَّذِي يُحرِّرُ الإنسان من الخوف والحرص، وقديماً قال الشاعر:

تَعَالَى اللهُ يَا سَلَمَ بْنَ عَمْرٍو أَذَلَّ الْحِرْصُ أَغْنَاكَ الرَّجَالَ^(٢)
الحرص على الدنيا، حب الدنيا هو سرُّ الوهن كما قال النبي ﷺ،
حينما وصف الأمة في وقت من الأوقات أَنَّهَا ستصبح كثرة، ولكنها

(١) رواه أحمد (١٢٥٣)، وقال مخرَّجوه: إسناده ضعيف. والترمذي في التفسير (٣٣٦٩)، وقال: حديث غريب. وأبو يعلى (٤٣١٠)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (٤٧٧٠)، عن أنس.

(٢) ديوان أبي العتاهية ص ٣٣٧.

كُغْثَاءِ السَّيْلِ، أُمَّةُ الْغَثَاءِ، وَسِرُّ ذَلِكَ كَمَا قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»^(١). هذا هو سرُّ الوهن والضعف، إِنَّهُ ضَعْفُ نَفْسِي، ضَعْفُ إِيْمَانِي، ضَعْفُ أَخْلَاقِي، حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ، وَالْإِيْمَانُ هُوَ الَّذِي يُحَرِّرُ الْإِنْسَانَ مِنْ هَذَا الْحَرَصِ، وَمِنْ هَذَا الْخَوْفِ، فَلَا يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، لَا يَخَافُ إِلَّا مِنْ ذَنْبِهِ، وَلَا يَخْشَى إِلَّا مِنْ رَبِّهِ، أَمَّا النَّاسُ فَهُمْ عبيد مثله، ولهذا وصف الله أصحاب الرسالات بقوله: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩]. التَّحَرُّرُ مِنَ الْخَوْفِ، الْمُؤْمِنُ سَدَّ أَبْوَابَ الْخَوْفِ جَمِيعًا، فَلَمْ يَعْذُ يَخَافُ مِنْ أَحَدٍ؛ إِلَّا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَحْدَهُ، فَهَذَا الْإِيْمَانُ مَصْدَرُ قُوَّةٍ لِلْإِنْسَانِ أَيْ قُوَّةٌ.

التربية على الإيمان الحق:

الإيمان هو أعظم مصدر من مصادر القوة، إذا أردنا أن ننشئ جيلاً من الأقوياء، أقوياء العزائم، أقوياء الهمم، أقوياء الإرادة، أقوياء القلوب فلننشئه على الإيمان، والإيمان المقصود هو إيمان الإسلام، إيمان التوحيد، إيمان القرآن والسُّنَّة، إيمان الصحابة والتابعين، وليس الإيمان الخرافي، وليس الإيمان النظري الذي يُعَلِّمُ لَدَى كَثِيرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ: أَنْ تَحْفَظَ الْعَقَائِدَ، وَتَعْرِفَ صِفَاتَ اللَّهِ ﷻ وَأَسْمَاءَهُ الْحَسَنَى، وَتَعُدَّهَا وَاحِدَةً وَاحِدَةً!

الإيمان شيء ينبعث من الداخل، قُوَّةٌ دَاخِلِيَّةٌ، نَوْرٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ، الْإِيْمَانُ مَا وَقَرَّ فِي الْقَلْبِ وَصَدَّقَهُ الْعَمَلُ، لَيْسَ الْإِيْمَانُ الْمَقْصُودُ هُوَ الْإِيْمَانُ اللَّفْظِي، وَلَيْسَ هُوَ الْإِيْمَانُ الْجُغْرَافِي: أَنَّ صَاحِبَهُ وُلِدَ فِي أَرْضِ الْإِسْلَامِ وَفِي بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ! وَلَيْسَ الْإِيْمَانُ الْوَرَاثِي الَّذِي وَرَثَهُ

(١) رواه أحمد (٢٢٣٩٧)، وقال مخرَّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الملاحم (٤٢٩٧)، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (٩٥٨)، عن ثوبان.

صاحبه عن أبويه، كما تُورث الدور والعقارات! وليس الإيمان المُخَدَّر النائم، وإنما الإيمان الَّذي نريده هو الإيمان الحي المتحرّك المُحرّك، الَّذي يُنير العقل، وَالَّذي يوقظ الشعور، وَالَّذي يُحرّك الإرادة، وَالَّذي يُحيي الضمير، وَالَّذي يوجّه الخُلُق، وَالَّذي يُميّز السلوك، وَالَّذي يصبغ الحياة كُلّها بأمر الله تعالى ونهيه، هذا هو الإيمان الَّذي نريده.

نريد أن نربّي أُمَّتَنَا على هذا الإيمان، نريد أن نربّي شبابنا وأجيالنا الصاعدة على هذا الإيمان، إذا ربّيناهم على هذا الإيمان كانوا أقوياء: أقوياء في المخبر، وأقوياء في المظهر أيضًا، فالإسلام يُحب قوّة المخبر، وقوّة المظهر، لا يريد الإنسان المتماوت المتهالك، الَّذي يزعم أن التّخشّع المُتكلّف هو دليل الإيمان، لا.

كان عمر رضي الله عنه يقول: اللهمّ إنّي أعوذ بك من خشوع النفاق. قيل له: وما خشوع النفاق يا أمير المؤمنين؟ قال: أن يُرى البدن خاشعًا، والقلب ليس بخاشع^(١). ورأى عمر يومًا رجلًا مُطأطأ رقبته، مُتماوتًا في مشيته؛ قال له: يا هذا، لا تُمت علينا ديننا، ارفع رأسك؛ فإنّ الخشوع في القلوب، وليس الخشوع في الرقاب^(٢). المهم أن يخشع قلبك، لا أن يخشع رأسك.

ورأت الشفاء بنت عبد الله - من نساء الصحابة - بعض الشباب يمشون على الأرض متماوتين فسألت: مَنْ هؤلاء؟ قالوا لها: هؤلاء

(١) مدارج السالكين (٣٦٥/١)، تحقيق محمد المعتمد بالله البغدادي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٣، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(٢) انظر: الكامل للمبرد (١٢٢/٢)، نشر دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، والفائق في غريب الحديث للزمخشري (٢٨٠/١)، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار المعرفة، لبنان، ط ٢.

نَسَّاكَ، عُبَاد دراويش. فقالت: كان عمر رضي الله عنه إذا مشى أسرع، وإذا تكلم أسمع، وإذا ضرب أوجع، وكان هو الناسك حقاً^(١). فليس الخشوع أن تتماوت، ولكن الخشوع أن ترى قوياً، فهذا هو شأن المؤمن، قوي في مخبره، قوي في مظهره.

نحن نريد جيلاً من الأقوياء، ولن يكون لنا جيل من الأقوياء إلا بالإيمان يُنشأ عليه، ونحمي هذا الإيمان من كل الأوبئة التي تؤثر عليه، كما نحمي البيئة من التلوث، ينبغي أن تُحمى العقائد، ينبغي أن يُحمى الإيمان، ينبغي أن تُحمى أخلاق الإيمان من تلوث أشد خطراً، وأبعد أثراً، إنه التلوث الفكري، إنه التلوث العقائدي، إنه التلوث السلوكي الذي يأتي إلينا من الشرق، ومن الغرب!

فيا شباب الإسلام، عودوا إلى ما كان عليه أسلافكم، ارجعوا إلى ما كان عليه أولئك الغر الميامين من آبائكم وأجدادكم، ويا أيها الآباء، ويا أيها المعلمون، ويا أيها الأساتذة، ويا من يملك التوجيه والتأثير في كل وسيلة إعلامية، وجّهوا الشباب، وجّهوا الأجيال، وجّهوا الأمة جميعاً - رجالاً ونساءً، أبناء وبنات - إلى هذا الإيمان، ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٢٨٨/٤٤)، تحقيق عمرو بن غرامة العمروي، نشر دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.



أهداف الإسلام

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

تكوين شخصية المسلم المتكاملة:

يسعى الإسلام إلى أهداف كبيرة، أهداف تتعلق بالفرد، وأهداف تتعلق بالأسرة، وأهداف تتعلق بالمجتمع، وأهداف تتعلق بالأمّة، وأهداف تتعلق بالإنسانيّة كلّها.

أَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِالْفَرْدِ، فَيَسْعَى الْإِسْلَامُ بِتَشْرِيعَاتِهِ وَتَوْجِيهَاتِهِ، بِأَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، بِقَوَانِينِهِ التَّشْرِيعِيَّةِ وَبُوصَايَاهُ الْأَخْلَاقِيَّةِ، يَسْعَى إِلَى تَكْوِينِ شَخْصِيَّةِ الْإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ، وَشَخْصِيَّةِ الْإِنْسَانِ الْمُسْلِمِ شَخْصِيَّةً مُتَكَامِلَةً، وَشَخْصِيَّةً مُتَوَازِنَةً.

ما معنى التكامل في شخصية الإنسان المسلم؟

الإنسان المسلم متكامل الشخصية، تتكون شخصيته جسميًا وروحانيًا، وعقليًا وخلقياً، وعاطفيًا واجتماعيًا، واقتصاديًا وسياسيًا، تتكون شخصيته من هذه النواحي كلّها.

عناية الإسلام بالجسم:

يُعْنَى الإسلام بالجسم، الجسم الإنساني، على حين هناك ديانات، وهناك فلسفات تقاوم الجسم، هناك ديانات تتقرب إلى الله بإشقاء الجسم! كلَّما عُدَّ الجسم ارتقت الروح، يظهر هذا في البوذية الوثنيَّة، ويظهر هذا في المانويَّة الفارسيَّة، ويظهر هذا في الرهبانيَّة النصرانيَّة، ويظهر هذا في الفلسفة الرواقية اليونانيَّة، ويظهر هذا في ديانات وفلسفات شتى.

أَتعب الجسم، عُدَّ الجسم؛ لتصفو الروح، وترتقي إلى العالم الملائكي، أو عالم الملائكة الأعلى.

الإسلام لا يقرُّ هذا، ويرى أنَّ الجسم جزء من الكيان الإنساني، حينما خلق الله آدم أبا البشر، خلقه من طين، أو من تراب، أو من صلصالٍ من حمأ مسنون، أي: خلق جزءاً منه أرضيًّا، وهو هذا الجسم.

الجسم بمثابة الغلاف لكيان الإنسان الحقيقي، ولكن هذا الجسم جزءٌ من كيان الإنسان، ليختلف عن الملائكة.

الملائكة روحٌ خالصة، ليس فيهم عقل ولا غريزة ولا تكليف ولا هذه الأشياء، لهم عقل، ولكنه ليس العقل العملي المتصل بعمارة الأرض، ولهذا علم الله آدم الأسماء كلها، فلما عرضهم على الملائكة وقال لهم: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ٣١ - ٣٣].

تكوين آدم غير تكوين الملائكة، خلقه الله كياناً مزدوجاً، فيه من طين الأرض، وفيه من روح الله، لهذا كان الجسم الإنساني يمثل هذا الطين الذي خلق الله منه ابن آدم.

ومن هنا عُنِيَ الإسلام بالجسم، عُنِيَ بنظافة الجسم، عُنِيَ بصحة الجسم، عُنِيَ بقوة الجسم، عُنِيَ بريضة الجسم، وسمع الناس في الأمر الديني لأول مرة: «إِنَّ لَبَدَنكَ عَلَيْكَ حَقًّا»^(١).

ومن حقّ البدن عليك: أن تطعمه إذا جاع، وأن ترويه إذا ظمئ، وأن تريحه إذا تعب، وأن تقوّيه إذا ضعف، وأن تداويه إذا مرض؛ فإنّ الذي أنزل الداء أنزل الدواء، «ما أنزل الله داء إلا جعل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله»^(٢)، ولذلك شرع الإسلام الطب والتداوي من أجل العناية بالأجسام.

النبي ﷺ كان من أقوى الناس جسمًا، وأصحابه من حوله كانوا من أقوى الناس أبدانًا، وكانوا يمارسون الرياضات التي يعرفها الناس في ذلك الزمن: السباحة، والرماية، وركوب الخيل، وألعاب الفروسية، وكل ما أمكنهم يمارسونه.

الإسلام لا يتبرّم من الرياضة:

ولذلك نجد الإسلام لا يتبرّم بالرياضة، أو يضيق بالرياضات، بل بالعكس الإسلام يُشجّع على الرياضات المختلفة، إلا ما اصطدم بتعاليمه، ربّما يتوقّف في بعض الرياضات، مثل الملاكمة بلا حدود، مثل الأشياء التي فيها كشف للعورات أمام الآخرين.

الإسلام لا يضيق بالرياضة النساء، لا مانع أن تتعلّم المرأة السباحة، تسبح ما تشاء، ولكن بحيث لا يراها الرجال، تلعب ألعاب ما يُسمّونه:

(١) متفق عليه: رواه البخاري (١٩٧٥)، ومسلم (١١٥٩)، كلاهما في الصيام، عن عبد الله بن عمرو.

(٢) رواه أحمد (٣٥٧٨)، وقال مخرجه: صحيح لغيره. والحاكم في الطب (٣٩٩/٤)، وصحّحه، ووافقه الذهبي.

«الجمباز» وغيرها من الرياضات، ولكن المشكلة في تصوير هذا ونقله إلى الرجال.

الإسلام يُرَحَّب بالرياضات كُلِّها، لا يحبُّ الأجساد العليلة، لا يحبُّ الأجسام المُتَرَهِّلَة.

من الأوصاف التي وصف بها النبي ﷺ قرون الأمة إذا ساء حالها: أن يظهر فيهم السَّمَن؛ السَّمَن وترهّل الأجسام.

عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم». قال عمران: لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة. ثم قال رضي الله عنه: «إنَّ بعدكم قومًا يخونون ولا يؤتمنون، ويشهدون ولا يُستشهدون، وينذرون ولا يُفنون، ويظهر فيهم السَّمَن»^(١).

الإسلام يريد أمة قَوِيَّة:

الإسلام يريد أمة قَوِيَّة، والأمة القَوِيَّة تبدأ بالفرد القوي؛ «والمؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف»^(٢).

كان في العرب رجل مصارع معروف اسمه رُكانة، فجاء إلى النبي ﷺ وطلب منه أن يصارعه، فإذا صرعه النبي ﷺ أسلم، وإذا لم يصرعه فليس على حقٍّ، فصارعه النبي ﷺ وصرعه، وكان الرهان على شاةٍ من الغنم، ولكن النبي ﷺ لم يأخذ منه الشاة وقال له: «لا نجمع عليك أن نصرعَكَ ونغرَمَكَ خذْ غَنَمَكَ»^(٣).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الشهادات (٢٦٥١)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٥٣٥).

(٢) رواه مسلم في القدر (٢٦٦٤)، وأحمد (٨٧٩١)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه عبد الرزاق في جامع معمر (٢٠٩٠٩)، عن عبد الله بن الحارث.

الإسلام يريد القوة، الشخصية الإسلامية لا بد أن تكون شخصية قوية في كل شيء، وبداية القوة الجسم.

المسلم مطلوب منه عبادات، هذه العبادات تتطلب الصحة والقوة.

مطلوب منه السعي على المعيشة، وهذه تتطلب القوة.

مطلوب منه الجهاد في سبيل الله، وهذه تتطلب القوة.

ولذلك يسعى الإسلام إلى تكوين الجسم الصحيح السليم القوي.

ولكن هذا ليس كافيًا؛ ليس المهم أن تكون عندنا أجساد قوية وليس وراءها نفوس قوية، كما قال الشاعر العربي أبو الفتح البستي:

يا خادِمَ الجِسمِ كم تسعى لخدمته أطلبُ الربحَ فيما فيه خُسرانُ
أقبلُ على النَّفسِ واستكملُ فضائلها فأنت بالنَّفسِ لا بالجِسمِ إنسانُ^(١)

الإنسان ليس بجسمه فقط، الله تعالى قال عن المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: ٤].

وقال العرب:

تَرَى الْفَثِيَّانَ كَالنَّخْلِ وما يُذْرِيكَ مَا الدَّخْلُ^(٢)

طويل مثل النخلة، ولكنه فارغ من الداخل، خاويًا لا روح فيه ولا إيمان فيه، ما قيمة هذه الأجسام؟

(١) انظر: قصيدة عنوان الحكم ص ٣٦، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، نشر مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.

(٢) انظر: الأمثال لأبي عبيد القاسم بن سلام ص ١٣٠، تحقيق د. عبد المجيد قطامش، نشر دار المأمون للتراث، ط ١، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، والمستقصى في أمثال العرب للزمخشري (٢/٢٦)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ط ٢، ١٩٨٧م.

النبي ﷺ كان يوماً مع أصحابه، وصعد عبد الله بن مسعود، قارئ القرآن وعالم الصحابة ومن السابقين الأولين؛ صعد على شجرة فبدت ساقاه، نحيفتان نحيلتان، فضحك الصحابة من حموشة ساقيه، من دقة ساقيه، كأنها عصا، فقال النبي ﷺ: «أتضحكون من دقة ساقيه؟ والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان عند الله من جبل أحد»^(١)!

المسألة ليست بالأجسام الضخمة، الساقان النحيلتان النحيفتان أثقل عند الله في الميزان من جبل أحد.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة»، وقال: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]»^(٢).

طويل عريض ضخم، ولكن لا يزن عند الله تعالى جناح بعوضة، لا يُقام لهم وزن عند الله ﷻ، إنما يُوزن الرجال بشيء أعظم من الأجسام ومن الجثث، ماذا في هذا الجسم؟ ماذا في هذا الجسم من رأس يعقل، ماذا في هذا الجسم من قلب يؤمن؟

أساس تقويم الشخصية التي يريدها الإسلام:

ولذلك كان الأساس والمدار في تقويم الشخصية الإنسانية التي يريدها الإسلام ويحرص عليها الإسلام أمران أساسيان:

(١) رواه أحمد (٣٩٩١)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره، وأبو داود الطيالسي في مسنده (٣٥٣)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٣١٩٢)، عن ابن مسعود.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٧٢٩)، ومسلم في صفة القيامة (٢٧٨٥)، عن أبي هريرة.

الأول: العقل، هو الذي يخاطب به الإنسان، الله تعالى حينما يأمر وينهى ويخاطبنا، إنما يخاطب فينا العقول التي تفهم، المجنون لا يخاطب، والصبي الذي لا يميز لا يخاطب، إنما يخاطب الإنسان العاقل، العقل هو أساس التكليف.

ومن هنا حرص الإسلام على تكوين الشخصية المسلمة التي ترفض التقليد الأعمى، إنما أضل الناس طوال القرون، أنهم اتبعوا آباءهم وأجدادهم: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]، ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]، حتى لو كانوا ضالين جاهلين تتبعونهم.

هذا هو التقليد الأعمى.

هناك من اتبع الآباء والأجداد، وهناك من اتبع السادة والكبراء، ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٧]، مشوا وراء سادتهم وملوكهم، كما قيل: الناس على دين ملوكهم.

ومن الناس من ألغى عقله، ومشى وراء العوام والجماهير، كما جاء في الحديث: «لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسناً، وإن ظلموا ظلمنا، ولكن وطنوا أنفسكم؛ إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أسأؤوا فلا تظلموا»^(١).

(١) رواه الترمذي في البر والصلة (٢٠٠٧)، وقال: حسن غريب. والبخاري (٢٨٠٢)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٦٢٧١)، عن حذيفة بن اليمان. ولكنه يتماشى مع القواعد العامة والمبادئ الكلية في الإسلام.

الإسلام يُربي العقلية غير المُقلّدة:

هكذا يربي الإسلام الإنسان على استقلال الشخصية، لا يكون تبعاً لغيره، لا يفكر برأس غيره، لا يُفكر برؤوس الأموات، لا يفكر برؤوس الماضين، لا يفكر برؤوس الآخرين، يفكر بعقله هو.

الله سيسأله هو يوم القيامة عن حياته، وعن دينه، وعن أموره كُلّها، فلا بدّ أن يتخذ قراره بنفسه، بعقله، بملء إرادته وحرّيته.

يربي الإسلام الإنسان على هذه العقلية غير المُقلّدة، التي تنظر وتتفكر: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ..﴾ [يونس: ١٠١].

﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ..﴾ [الأعراف: ١٨٥].

﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢٠، ٢١].

ينظرون في الأنفس والآفاق، وفي كلّ شيء، في التاريخ، في الماضي، في الحاضر، في السماوات، في الأرض، على الإنسان أن يعمل عقله، وكما قال بعض السلف: تفكر ساعة خيرٌ من قيام ليلة^(١)، وكما قال الأستاذ عبّاس العقّاد: التفكير فريضة إسلاميّة، له كتاب بهذا العنوان، وهو عنوان صحيح.

لماذا كان التفكير فريضة إسلاميّة؟

لأنّ الله أمر بالتفكير، وأمر بالنظر، وأمر بالتدبّر، وما دام هذا أمر من الله وَجَلَّ فَهُوَ فريضة إذن.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بَوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَى وَفَرْدَى ثُمَّ نَنْفَكُوا..﴾ [سبأ: ٤٦]، ﴿مَشْنَى وَفَرْدَى﴾ (مشنى) يعني: أنت وصاحب أو قريب لك

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٧٢٨)، عن أبي الدرداء موقوفاً.

تتفكران معاً، و(فرادى) أنت ونفسك، ثم تتفكرون، ﴿أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ﴾،
يعني: مُخلصين في طلب الحقيقة، هذا ما يأمر به الإسلام.

الإسلام يرفض الظنون في مقام تكوين العقائد والحقائق، ﴿وَمَا يَنْبَغُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس: ٣٦]، ويعيب على المشركين والنصارى وغيرهم اتباع الظن، لا يريد اتباع الظنون في مقام طلب الحقيقة، إنما يجب أن نطلب اليقين بأدواته، اليقين يطلب بأدواته بمقدمات يقينية توصل إلى اليقين، هذا ما يريده الإسلام، لا يريد عقائد تُبنى على الظنون، على مُجرّد الوجدان، على مُجرّد التقليد، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ...﴾ [البقرة: ١١١].

أول دين يُطالب الناس بالبرهان في قضايا العقيدة هو الإسلام، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ...﴾، ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٨]، ﴿نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣].

هذا ما يريده الإسلام، يريد تكوين العقلية العلمية.

القرآن ينشئ العقلية العلمية:

وأعظم كتاب يُنشئ هذه العقلية هو القرآن الكريم؛ القرآن الكريم يُنشئ العقلية العلمية، ليس العقلية العامية الخرافية التي تُصدّق كل شيء، وتقبل كل ما يُقال لها، ولا تمتحن ما يقال لها، لا تطلب البرهان. الإسلام يريد ألا تقبل شيئاً إلا ببرهان، إلا بدليل يقيني، سواء كان دليلاً عقلياً، أو دليلاً حسياً كما يقول القرآن: ﴿أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ﴾ [الزخرف: ١٩]، هل رأيتم هذا بأعينكم؟

أو دليلاً تاريخياً: ﴿أَتُؤْنِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤].

يريد الإسلام تكوين العقل، ولو أن المسلمين ظلُّوا قرآنيين ما حدث لهم ما حدث، وتخلَّفوا عن ركب العالم، وأصبحوا في ذيل القافلة البشرية، وكانوا في مأخذ الزمام منها قرونًا وقرونًا، كانوا معلمي العالم وأساتذة البشرية، ورؤاد الحضارة، حينما كانوا في رحاب القرآن، كانوا يعيشون في رحاب هذا الكتاب العظيم.

من سمات الشخصية المسلمة الروح القويّة:

يسعى الإسلام إلى تكوين الشخصية المسلمة، الجسم القوي، والعقل القوي، والروح القويّة.

الإنسان ليس مُجَرَّد عقل، ولا مُجَرَّد جسم، ولكن لا بدّ من روح؛ الإنسان روح شفاف، كما أن الإنسان قد يهوي بغريزته ليصبح في حضيض الأنعام، أو أضلّ سبيلاً، قد يرقى بالكائن الروحي بسرّ قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩].

يرقى إلى أن يكون في أفق الملائكة، وقد يربو على الملائكة.

الإنسان فيه قابليّة للهبوط، وقابليّة للارتقاء؛ فالإنسان بروحه إذا آمن إيماناً صحيحاً، فعرف نفسه، وعرف ربّه، وعرف الحقائق الكبرى، وآمن بالغيب.

ليس معنى العقلية التي يُربّيها الإسلام أن ترفض الغيب.

لا، بل يؤمن بالغيب إذا قامت الأدلّة القطعيّة عليه، ومن هنا يؤمن الإنسان المسلم بالله ﷻ؛ لأن الأدلّة في نفسه، وفي الكون من حوله،

وفي فطرته، وفي التاريخ، كلها قامت على وجود الله وعلى وحدانيّة الله: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴿[الطور: ٣٥، ٣٦].

الإيمان بالله ﷻ، والإيمان بالنبوّات، أنّ الله بحكمته ورحمته لم يدع النَّاسَ سُدىً، لم يتركهم هملاً، كيف وهو أبرُّ بهم من أنفسهم، وأرحم بهم من آبائهم وأُمَّهاتهم، كيف لا يرسل إليهم رسلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ، ﴿لئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، يرسل إليهم رسلاً يدلُّهم عليه، ويهدونهم إليه، ويُعَرِّفُونَهُ بِمَا يُحِبُّهُ وَمَا يُبْغِضُهُ، وما يرضاه وما يُسْخِطُهُ، ويبينون لهم الحقَّ فيما يختلفون فيه، ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

الناس تختلف في أمور كبرى كثيرة، ويأتي الوحي ليحسم الأمر، ويقيم العدل، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد: ٢٥].

العقل بدون هداية الوحي يضل الطريق:

لم يترك العقل وحده؛ لأن العقل كم سار وحده وضلَّ الطريق! ورأينا من كبار العقول من يستبيح الحرمات، ويرتكب العظائم باسم العقل.

العقل سؤل للناس في بلادٍ شتى أن تقتل الأطفال الصغار الضعاف.

سؤل للناس أن ترتكب العظائم، أن يفاضلوا بين النَّاسِ بعضهم وبعض، أن يجعلوا هناك إنساناً ذهبياً وإنساناً فضيًّا، وإنساناً حديديًّا، وطبقاتٍ أخرى.

كما كان عند اليونان، وكما كان عند الهنود، وكما كان عند الرومان،
كل هذا بالعقل الإنساني.

العرب بعقولهم وأدوا البنات، وشربوا الخمر، واستباحوا الزنى،
وحرّموا المرأة من الميراث، وحرّموا الصغار من الميراث، وجعلوا
المرأة تورث كما يورث المتاع، يرث الرجل دوابّ أبيه وعقار أبيه
ويرث امرأة أبيه!

كلّ هذا سوّلته العقول الإنسانيّة، ونحن نرى عقول الأوربيين الآن
الذين وصلوا إلى القمر، وأرادوا أن يغزوا الكواكب الأبعد من القمر،
واخترعوا الكمبيوتر، واخترعوا الإنسان الآلي، هؤلاء هم الذين يبيحون
الشدوذ الجنسي، ويبيحون الزواج المثلي، ويبيحون العُري، ويبيحون
الزنى، ويبيحون كلّ شيء باسم العقول!

العقول وحدها لا تكفي، لا بدّ من مُعين للعقل، هذا المُعين هو
النبيّ، هو الوحي الإلهي الذي يُسدّد العقل إذا أخطأ.

هدايات الله للإنسان:

هناك هدايات متدرّجة: هناك هداية الحواسّ، السمع والبصر والأذن
والأنف، وهذه قد تخطئ؛ قد يرى الإنسان الظل ساكناً بعينه، وبعد
مدة يجده يتحرك، إذن لم يكن ساكناً، إذن عينه لم تكن مصيبة حينما
ظنت هذا.

قد يرى الكوكب كأنه كرة صغيرة وهو أضعاف أضعاف الأرض
والشمس.

قد يرى السراب يظنه ماء، فإذا جاء عنده لم يجده شيئاً.

أقوى الحواسِّ البصرُ، ومع هذا تخدع الإنسان، لهذا كان هناك فوق الحواسِّ العقل، والعقل - أيضًا - قد يخدع الإنسان في كثيرٍ من الأمور، فكان هناك شيء فوق العقل هو النبوة ووحى الله، فكان هذا نورًا على نور، العقل نور ولكنه احتاج إلى نورٍ آخر يسدده إذا ضلَّ الطريق، ويرشده إذا أخطأ الهدف، هو النبوة والإيمان.

لا بدّ - لكي تصفو الروح وترقى - من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويأتي هذا عن طريق العقل، كما يقول الإمام الغزالي: «العقل هو الذي يهدينا إلى الإيمان بالنبوة، فإذا قطع العقل بصحة نبيٍّ من الأنبياء، هنالك يعزل العقل نفسه ليتلقى من الوحي»^(١).

العقل نفسه الذي وصل إلى أن هذا نبي يتكلم من عند الله، يعزل نفسه ويتلقى من الوحي، فإذا جاءه أمرٌ من الله قال: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

لا بدّ من الرقي بالروح عن طريق الإيمان بالله و﴿عَلَّكَ﴾، وعن طريق العبادة، عبادة الله و﴿عَلَّكَ﴾، الفرائض: الصلاة والصيام والزكاة والحج، والنوافل المختلفة.

«وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته، كنتُ سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه»^(٢).

الفرائض تصل بالإنسان إلى مرتبة القرب، والنوافل تصل به إلى مرتبة الحب، «حتى أحبه».

(١) المنقذ من الضلال للغزالي ص ١٩٩، تحقيق عبد الحليم محمود، نشر دار الكتب الحديثة، مصر.

(٢) رواه البخاري في الرقاق (٦٥٠٢)، عن أبي هريرة.

الحُبُّ من الله تعالى لعبده، الإنسان يتقَرَّب في المجال الرُّوحي إلى الله بما لا حدود له، قد يصل إلى مرتبة الملائكة، وإلى ما هو أعظم من الملائكة، الباب مفتوح أمامه للترقي، كلٌّ حسب قدرته، وكلٌّ حسب إرادته.

هناك أناس عندهم قدرات، ولكن ليس عندهم إرادة، المهمُّ أن تريد الله، أن تريد ما عند الله، أن تُؤثِّر ما عند الله على ما عندك، ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]، ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: ١٩].

التكوين الرُّوحي أساس تماسك الأمة:

التكوين الرُّوحي بعد التكوين الجسمي، والتكوين العقلي، هذا التكوين الرُّوحي هو الذي يجعل من الأمة أمة متماسكة بحكم الإيمان: «لا يؤمن أحدكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه»^(١).

ويجعل كل واحد منها كأنه الجبل الأشم، لا يتزعزع في شدة، ولا تستخفه نعمة، بل يظل ثابتًا، كما قال النبي ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن؛ إنَّ أمره كُلُّه خير، وليس ذاك لأحدٍ إلَّا للمؤمن؛ إنَّ أصابته سرَّاء شكر، فكان خيرًا له، وإنَّ أصابته ضرَّاء صبر، فكان خيرًا له»^(٢).

هذا الإيمان هو الذي أنشأ أمة الإسلام، هو الذي أنشأ خير أمة أخرجت للناس، هو الذي أنشأ الأمة الوسط، التي حملت كتاب ربِّها، وسُنَّة نبيها، وذهبت بها تنشرها في الآفاق.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري (١٣)، ومسلم (٤٥)، كلاهما في الإيمان، عن أنس.

(٢) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٧٦٩٢)، وأحمد (١٨٩٣٤)، عن صهيب.

هؤلاء الصحابة رضوان الله عليهم هم الذين فتحوا الفتوح، ونشروا العلم في الآفاق، ما الذي دفعهم إلى هذا؟

إنه الإيمان، ما كانوا يريدون فتح الأسواق، ما كانوا يريدون استغلال أمة أخرى، بل حرم عليهم الإسلام أن يجعلوا في جهادهم للدنيا أدنى نصيب.

جاء في الحديث عن أبي موسى رضي الله عنه، أن النبي ﷺ سئل: يا رسول الله، الرجل يُقاتل للمغنم، والرجل يُقاتل للذكر، والرجل يُقاتل ليرى مكانه، فمن في سبيل الله؟

قال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»^(١).

من يقاتل عصبية، أو يُقاتل ليحوز الغنيمة، أو يُقاتل ليرى من الناس، أو يقاتل ليذكر في الشُّجْعان، هذا ليس في سبيل الله.

علمهم الإسلام هذا، ولذلك انتشروا في الآفاق يحملون المصاحف، يحملون النور إلى الأمم، لا ييغون منهم جزاء ولا شكورًا، الإيمان هو الذي دفعهم إلى هذا، هؤلاء هم الذين رآهم الناس فقالوا: هيهات أن نتصر على هؤلاء؛ إنهم بالليل رهبان، وبالنهار فرسان.

هؤلاء هم الذين يراهم الناس فرسانًا مقاتلين في النهار، يرونهم بالليل خشعًا، ركعًا، سجدًا، يبيتون لربهم سجدًا وقيامًا، حتى في الميادين، بالليل رهبان، وبالنهار فرسان.

رأى أحد قواد الفرس المسلمين وقد تهيَّؤوا للصلاة، توضَّؤوا وجأؤوا فوقفوا خلف إمامهم صفوفًا مستقيمة لا عوج فيها ولا أمت، والرسول

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢٣)، ومسلم في الإمارة (١٩٠٤).

كان يأمرهم: «سَوُّوا صفوفكم؛ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ»^(١)
صفوفٌ مستقيمة.

فنظر هذا القائد الفارسي إلى هؤلاء الجنود وقال: أكل كِبدي عمر بن الخطاب؛ لقد علّم هؤلاء البدو مكارم الأخلاق^(٢).

أي: علّمهم الطاعة والنظام والاستقامة، وقد جهل هذا الفارسي أنّ
الَّذِي علّمهم وعلّم ابن الخطاب ومن معهم وقبلهم: هو الإسلام، هو
مُحَمَّدٌ ﷺ، الَّذِي بعثه الله لِيَتِمَّ مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ^(٣)، وقال له: ﴿وَإِنَّكَ
لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] فاقبَسُوا مِنْ خُلُقِهِ، وَأَخَذُوا مِنْ تَعَالِيمِهِ،
واهتدوا بهديه.

هذا هو الإيمان.

الإيمان هو الَّذِي يصنع هذه الأمة، الشخصية المسلمة المتكاملة،
لا بدّ أن تتكامل من الناحية الجسميّة، وتتكامل من الناحية العقلية،
وتتكامل من الناحية الرُّوحية، أو الإيمانية، أو الربّانية.

هذه الجوانب لا بدّ أن تتكامل في كلّ شخصيّة، في شخصيّة كلّ
مسلم: الرجل والمرأة، الشاب والشيخ، الغني والفقير، الحاكم والمحكوم.
كلّ هؤلاء لا بدّ أن تتكامل فيهم شخصيّة الإنسان المسلم.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٧٢٣)، ومسلم في الصّلاة (٤٣٣)، عن أنس.

(٢) تاريخ الطبري (٥٣٢/٣).

(٣) إشارة إلى حديث: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ». رواه أحمد (٨٩٥٢)، وقال مخرّجوه:

صحيح. والبخاري في الأدب المفرد، في حسن الخلق (٢٧٣)، والحاكم في تواريخ
المتقدمين (٦١٣/٢)، وصحّحه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصحّحه الألباني في
الصحيحة (٤٥)، عن أبي هريرة.



مجالات أخرى للتكامل:

وهناك أمور أخرى، هناك التكامل من الناحية الخُلُقِيَّة، التكامل في الناحية العاطفِيَّة والوجدانيَّة، التكامل في الناحية الاجتماعيَّة والسياسيَّة.

نسأل الله تعالى أن يُفَقِّهنا في دينه، وأن يُفَقِّهنا في كتابه، وأن يجعلنا من ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [الزمر: ١٨].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله العظيم لي ولكم، فاستغفروه؛ إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

الحمد لله، ﴿ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [غافر: ٣].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يُسَبِّحُ له ما في السماوات وما في الأرض، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

وأشهد أن سيدنا وإمامنا وأسوتنا وحبيبنا مُحَمَّدًا عبد الله ورسوله، البشير النذير والسراج المُنِير، صلوات الله وسلامه عليه، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوته، واهتدى بسُنَّته، وجاهد جهاده إلى يوم الدين. أمّا بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

قضايا الأمة ليست بيدها:

لا زلنا نعيش اليوم كما كنا نعيش بالأمس، وقبل الأمس بشهور وسنوات، لا زالت قضايانا الكبرى معلقة؛ لأنَّ قضايانا - للأسف - لم تصبح بأيدينا وحدنا؛ أصبحت قضايانا بأيدي غيرنا! هو الذي يتحكم في مصيرنا، هو الذي يمسك بالزمام، هو الذي إن شاء فتح الباب فتحه، وإن شاء أغلقه أغلقه، ولا زال الكثيرون منا يُقِرُّون له بهذا الحق، وما هو بالحق.

الحق أن أمر الأمة بيدها، ولا يجوز أن يكون أمر الأمة بيد غيرها.

هذه الأمة التي كرمها الله بالإسلام، وأعزها بالإيمان، وأنزل عليها القرآن، وبعث لها خاتم رسله ﷺ.

هذه الأمة أمة كريمة لا تهون، عزيزة لا تذلل، حيّة لا تموت، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، ﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ [الحج: ٣٨].

أمة الإيمان، أمة المؤمنين، كتب الله لها العزة، وكتب الله لها النصر، وكتب الله لها الحرية، وكتب عليه الدفاع عنها.

هذه الأمة لا يمكن أن تموت، ولا يمكن أن تذلل، وستظل هذه الأمة عزيزة، ستظل هذه الأمة كريمة على نفسها، ستظل هذه الأمة حيّة إلى أن تقوم الساعة، إن وُجد فيها مَنْ وُجد مَمَّن يطأطئ رأسه، أو يُذل نفسه، أو يحني ظهره لمن يركبه، سيظل في هذه الأمة من يقول: (لا) بملء فيه، يقول: لا، ولا يرضى أبدًا أن يُهين نفسه لغير الله عز وجل، أو يُذل نفسه إلا راکعًا أو ساجدًا لله، هذا هو شأن هذه الأمة العظيمة.

حفظ الله للأمة من الاستئصال:

ولذلك حفظ الله ﷺ هذه الأمة، حفظها أن يسيطر عليها عدو من غيرها، يستبيح بيضتها، ويستأصل شأفتها، لا يحدث هذا، إنما ترك الله أمرها فيما بينها للسنن الكونية، جعل بأسها بينها، أمّا أن يُسلط عليها عدو فيستأصلها لا؛ لأن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة أبدًا.

هذه الأمة قد يوجد فيها المبطلون، قد يوجد فيها الخونة، قد يوجد فيها من يبيع نفسه، من يبيع وطنه، من يبيع دينه، من يبيع ضميره، ولكن هؤلاء قلة وشذاذ، جمهور الأمة سيظل ثابتًا على دينه، وسيظل هناك

الحراس الأمناء لهذا الدين، ولهذه الأمة ولحرماتها ولكرامتها، يقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

هناك أناس موكلون من قبل الله للدفاع عن هذه الأمة، وعن رسالتها، وعن عرضها، وعن أرضها، وعن كرامتها، ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٩].

أمة ستظل تهدي بالحق، وتقضي بالحق، وتعديل بالحق، وكما قال سيّدنا عليّ رضي الله عنه: لا تخلو الأرض من قائم لله بالحجة^(١).

القائمون على الحق لا ينقطعون من الأمة:

وقد استفاضت الأحاديث الصحاح عن عدد من صحابة رسول الله ﷺ، بأنّ هناك طائفة تظل قائمة بالحق، داعية إلى الحق، مستمسكة بالحق، حتّى يأتي أمر الله وهم على ذلك، سمّاها العلماء: الطائفة المنصورة، هذه الطائفة تظل إلى يوم القيامة، يمكن أن يخنع من يخنع، وأن يخضع من يخضع، وأن يذل من يذل، وأن يفرط من يفرط، لكن هذه الطائفة تظل قائمة.

روى الإمام أحمد والطبراني، عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: «لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوّهم قاهرين، لا يضُرُّهم من خالفهم، إلّا ما أصابهم من لأواء - أي: من أذى - حتّى يأتي أمر الله وهم على ذلك».

قيل: يا رسول الله، وأين هم؟

(١) رواه أبو نعيم في الحلية (٧٩/١)، نشر دار السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، والخطيب في الفقيه والمتفقه (١٨٢/١)، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط ٢، ١٤٢١هـ.



قال: «بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس»^(١).

في بيت المقدس، وأكناف بيت المقدس، أرض النبوات، أرض المقدسات، أرض الإسراء والمعراج، أرض المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله. هذه الطائفة تظل منصورة بإذن الله.

نحن - أيها الإخوة، برغم ما ينزل بالأمة من مصائب، وما يحيط بها من محن، ومن شدائد تكسر الظهور، وتقصم الأضلاع، نجد أن هناك من إخواننا من يقف حارساً للحق، ذاباً عن الحرمات، مدافعاً عن الدين والدنيا، عن الأرض والعرض، نجد إخواننا في فلسطين، ونجد إخواننا في العراق، ونجد إخواننا في بلاد أخرى، يدافعون عن حقهم، يبذلون النفس والنفيس، والغالي والرخيص في سبيل أمتهم، في سبيل قضيتهم، في سبيل حريتهم، في سبيل دينهم، في سبيل الدفاع عن كرامتهم، لا يستغلون شيئاً في سبيل الله، يقدمون الأنفس رخيصة، يضعونها في أيديهم، المهج والأرواح يضعونها على أكفهم يبذلونها في سبيل الله، ولا يبالون أوقعوا على الموت أم وقع الموت عليهم.

هؤلاء الذين نراهم كل يوم يسقط منهم الشهداء تلو الشهداء في فلسطين وفي العراق.

في بيت حانون، حدثني الأخ المجاهد إسماعيل هنية أن بيتاً واحداً قدّم ستة عشر شهيداً من الرجال والنساء والصبيان، ستة عشر شهيداً!

(١) رواه عبد الله وجادة عن خط أبيه (٢٢٣٢٠)، وقال مخرّجوه: صحيح لغيره، دون قوله: قالوا: يا رسول الله، وأين هم. إلخ، وهذا إسناده ضعيف. وأطالوا في التخرّيج فلينظر. والطبراني (١٤٥/٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٢٢٤٨): رواه عبد الله وجادة عن خط أبيه، والطبراني، ورجاله ثقات. عن أبي أمامة الباهلي.

كم يبذل إخواننا من أرواحهم، هؤلاء هم الَّذِينَ يُشَرِّفُونَ الْأُمَّةَ، هؤلاء هم الَّذِينَ يدفعون العار عن الْأُمَّة.

ولكنّ بوش يعتبر هؤلاء من الْمُتَشَدِّدين! يقول: الصراع في فلسطين وفي العراق بين المعتدلين والمتطرفين، سيد المعتدلين هو «أولمرت»، الَّذِي قتل من قتل، ودمّر ما دمّر، وخرب ما خرب، واقتلع من المزارع ما اقتلع، وفعل ما فعل من الأفاعيل، ممّا لا تفعله الشياطين، رجل معتدل!

أمّا إسماعيل هنيّة وإخوانه فهؤلاء مُتَطَرِّفون!

المعتدل في فلسطين أو في العراق أو في أفغانستان أو في أيّ مكان هو من يحني رأسه للاحتلال الأمريكي، للجبروت الأمريكي، وللتأله الأمريكي، من يحني له رأسه، من إذا دعاه أجاب، من إذا أمره أطاع. هؤلاء هم المعتدلون.

أمّا الَّذِينَ يزودون عن أوطانهم، الَّذِينَ يزودون عن العرض والأرض والدين والكرامة، فهؤلاء مُتَطَرِّفون، هؤلاء غلاة.

هذا هو منطق الأمريكان، وهذا المنطق منطق أعوج، منطق أعرج، لا يُقام له وزن في مقاييس القيم والأخلاق، سيظل الحقُّ حقًّا، والباطل باطلاً، كل من يدافع الاحتلال في أي أرض كانت فمعه الحق، وكل محتل ينزل جنوده وعساكره في أرض يريد أن يغتصب إرادة أهلها، وحرية أهلها، وأن يفرض عليهم ما يريد، فهو الباطل.

نحن ضد الباطل أيا كان هذا الباطل، ونحن مع الحق أيا كان هذا الحق.

نحن مع الإخوة في فلسطين الَّذِينَ يدافعون عن دينهم وأرضهم وحرمااتهم.

ونحن مع الإخوة في العراق الذين يدافعون عن دينهم وأرضهم وحرمااتهم.

لسنا مع الذين يقتلون الأبرياء، ويريقون الدماء بلا نظر ولا حجة ولا منطق شرعي ولا عقلي ولا خلقي، نحن ضد هؤلاء السفاحين، لا نريد إلا مقاومة الاحتلال، من وقف مع الاحتلال فهو من وقف مع الباطل، ومن وقف ضد الاحتلال معاديا له، محاربا له، فقد وقف مع الحق.

إنَّ الله تعالى قد فرض علينا أن ندافع عن أنفسنا، وهذا أمر أجمع عليه فقهاء المسلمين في كل مكان: أن أي عدو يدخل أرضا إسلامية على أهلها أن يقاتلوه ويردُّوه، فإن عجزوا فعلى جيرانهم الأقرب معاونتهم، ثمَّ جيرانهم الأبعد فالأبعد، بعد ذلك، حتَّى يشمل المسلمين كافة.

وهذا هو الواقع في أرض فلسطين، لا يستطيع الفلسطينيون وحدهم أن يقاوموا إسرائيل بترساناتها النووية والعسكرية، ومن ورائها المال الأمريكي، والاقتصاد الأمريكي، والفيديو الأمريكي، وغير أمريكا - أيضا.

فعلى المسلمين كافة أن يقفوا مع الإخوة في فلسطين، عليهم أن يقفوا معهم في معركتهم العادلة، معركتهم المُقسِطة، معركتهم المُحقِّقة، التي لا يشوبها باطلٌ بأيِّ حالٍ من الأحوال.

على المسلمين أن يبذلوا، فقد بذل الإخوة أرواحهم ولا زالوا يبذلون، فماذا بذلت الأمة؟

على الأمة أن تبذل ما تستطيع من المال، بالمساعدات المالية، بالزكاة، بالوصايا للأموال، بالتبرُّعات العينية، بالصدقات التطوعية.

وعلينا أن نقاوم أعداء الأمة، نذكر دائماً بالمقاطعة، ثم علينا بعد ذلك أن ندعو الله تعالى لهم أن يؤيّدهم برُوحٍ من عنده، وأن يمدّهم بملا من جنده.

اللهم أيدّ إخوتنا المجاهدين في سبيلك في فلسطين، اللهم أيدّهم برُوح من عندك، واحرّسهم بعينك التي لا تنام، واكلاًهم في كنفك الذي لا يُضام، وانصرهم على عدوك وعدوهم، وانصر إخوتنا المجاهدين حيث ما كانوا من أرض الإسلام، في أفغانستان، وفي العراق، وفي كشمير، وفي كل مكان.

اللهم افتح لهم فتحاً مبيّناً، واهدهم صراطاً مستقيماً، وانصرهم نصراً عزيزاً، وأتم عليهم نعمتك، وأنزل في قلوبهم سكينتك، وانشر عليهم فضلك ورحمتك، وأنزل بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين على أعداء الإسلام.

اللهم انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام، اللهم رد عنا كيدهم، وقلّ حدهم، وأزل دولتهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين.

اللهم يا منزل الكتاب، ويا مجري السحاب، ويا سريع الحساب، ويا هازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم.

اللهم اجمع كلمة هذه الأمة على الهدى، وقلوبها على التّقى، ونفوسها على المحبّة، وعزائمها على خير العمل وعمل الخير، واجعل يومنا خيراً من أمسنا، وغدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، وأجرنا من خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة.

اللهم ارفع مقتك وغضبك عنا، واجعل هذا البلد آمناً مطمئناً، سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٧].

أيها الإخوة:

أريد أن أنبّه إلى أمرين:

الأول: الدرس الذي نلقيه مساء الجمعة بين المغرب والعشاء في مسجد الشيوخ، سوف يُوجَل إلى الغد؛ لانشغال الناس بافتتاح دورة الألعاب الآسيوية مساء اليوم.

الثاني: يسُرُّنا أن يكون معنا الأخ المجاهد الأستاذ إسماعيل هنية رئيس الحكومة الفلسطينية يُصَلِّي معنا الآن، وسنسعد بكلمة منه بعد الصلاة، إن شاء الله.

عباد الله، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم صلِّ وسلِّم وباركْ على نبيِّك وعبدك ورسولك مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

تكوين الإنسان المسلم: معرفة الله

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا يزال حديثنا موصولاً حول ما يجب على الفرد المسلم أن يعرفه، ويعمل له، ليكون لبنة صالحة في بنيان المجتمع المسلم المرجو، وبنيان الأمة المسلمة التي هي ﴿خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. يجب على الإنسان أن يعرف غايته، ويعرف طريقه، وأول ما يجب أن يعرفه: أن يعرف ربه الذي خلقه فسوّاه فعدله، الذي أخرجته من ظلمة العدم إلى نور الوجود، الذي جعله إنساناً بشراً سوياً، ولم يكن شيئاً مذكوراً.

اعرف نفسك تعرف ربك:

أَوَّلُ ما يجب على الإنسان أن يعرفه أن يعرف ربه، وذلك حين يعرف نفسه، فمن عرف نفسه معرفة حقيقية عرف ربه:

لأنّه يعلم نفسه أنّه لم يكن شيئاً ثمّ كان، لا بدّ من موجد أوجده، ولا بدّ من خالق خلقه!

يعرف نفسه عاجزاً، فلا بدّ أن هناك قادراً وهبه القدرة!

يعرف نفسه فقيرًا محتاجًا، فلا بدَّ أنَّ هناك غنيًّا يملك كلَّ شيءٍ،
وهب له ما وهب من مَلَكَاتِ السَّمْعِ والبَصَرِ والفؤاد، ومن قدرات مادِّيَّة
وروحِيَّة وعقليَّة!

إذا عرف الإنسان نفسه فقد بدأ يعرف ربَّه.

إنَّ الإنسان يعرف بعقله وفطرته أنَّ له ربًّا، وأنَّ هذا الربَّ لا بدَّ أن
يكون أعظم منه، ولا بدَّ أن يكون أقدر منه، ولا بدَّ أن يكون قادرًا على
أن يهبه ما يحتاج إليه، ولكنَّ النَّاسَ ضَلُّوا في مختلف العصور عن معرفة
الله. كلُّ النَّاسِ عرفوا نوعًا من التدوين، وأنَّ هناك قوَّة عليا تدبِّر هذا الكون
وتسيطر عليه، ولكنَّهم للأسف ضلَّت بهم السبل، أغوتهم شياطين الإنس
والجنِّ، فأشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانًا، عبدوا آلهة من دون الله:
عبدوا الحجر، وعبدوا البشر، وعبدوا الشجر، وعبدوا البقر، وعبدوا
أشياء في السماء، وأشياء في الأرض، عبدوا هذا كله حينما ضلَّ بهم
الطريق؛ لهذا كانوا في حاجة إلى نبوَّة، في حاجة إلى رسالة من عند الله،
تُصحِّح لهم المفاهيم، تهديهم إلى الطريق القويم، تُعرِّفهم ربَّهم على
الوجه الصحيح، وتُعرِّفهم الطريق المؤصِّل إلى مرضاته.

النبوَّة تأخذ بيد البشريَّة إلى الله:

ومن هنا بعث الله النبيين ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ
حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]. وتتابع موكب النبوَّة من عهد شيخ المرسلين
نوح إلى محمَّد ﷺ، بعث الله: ﴿فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ
وَأَجْتَنِبُوا الصَّغُورَ﴾ [النحل: ٣٦]، ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤].

جاء هؤلاء النُّذُر يُعلِّمون النَّاسَ ما يحتاجون إليه، فإنَّ العقل لو ترك

وحده قد يعرف أن له إلهًا، أو أن هناك ربًّا، ولكنه كثيرًا ما يشرك معه أشياء أو أشخاصًا أو قوى في عالم الأرض أو في عالم الفلك، وهذا ما كان. وكثيرًا ما يُتصوّر الله تعالى على غير حقيقته، حتّى كبار الفلاسفة ضلُّوا في معرفة الله تبارك وتعالى. هذه العقول الكبيرة العبقريّة ضلّت عن معرفة الألوهيّة.

وجدنا رجلًا مثل أرسطوطاليس الفيلسوف اليوناني الكبير يقول: إنّ الله لا يعرف شيئًا في هذا الكون. ولا يُسمّيه الله، يقول: المُحرّك الأوّل، أو العلّة الأولى. هذا المُحرّك الأوّل لا يعرف إلّا ذاته، ولا يعقل إلّا نفسه، أمّا هذا الكون، عالم الكون والفساد فلا يعرف فيه شيئًا، ولا يُدبّر فيه أمرًا، لأن هذا لا يليق بكماله: أن يعرف عالم النقص وما يجري فيه. بل جاء رجل فيلسوف آخر كان في الإسكندرية اسمه أفلوطين فقال: إنّ الإله لا يعرف حتّى نفسه. إذا كان إله أرسطو لا يعرف الكون، فإله أفلوطين لا يعرف نفسه، لا يعلم شيئًا عن ذاته. هذا ما وصل إليه الفلاسفة الكبار!

لهذا كان النَّاس في حاجة إلى النبوة، في حاجة إلى الرسالة ليعرفوا الله ﷻ، ومن هنا كان واجبنا نحن المسلمين - إذا أردنا أن نعرف الله تبارك وتعالى - أن نعرفه من وحيه الَّذي أنزله، من كتابه، من قرآنه، الَّذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]. ومما أوحى به إلى رسوله ﷺ.

معرفة الله بآلائه لا ذاته:

نحن نعرف الله، ما معنى نعرف الله؟ هل نعرف ذات الله؟ نعرف كنهه؟ نعرف حقيقة الذات؟ هيهات، إنّ الإنسان إلى الآن لا يعرف حقيقة

نفسه، لا يعرف كيف يعمل عقله، لا يعرف حقيقة الحياة، حياته وحياة الأحياء من حوله. علماء الحياة والبيولوجيا يقولون: نعرف الحياة بآثارها، أمّا حقيقة الحياة: ما هي؟ لا نعرف، نعرف أن من آثار الحياة النمو، والتنفس، إلى آخره. ولكن ما حقيقة الحياة؟ ما حقيقة المغناطيسيّة؟ ما حقيقة الكهرباء؟

الإنسان إلى الآن الذي استطاع أن يغزو الفضاء ويصل إلى القمر، لم يستطع أن يعرف حقائق الأشياء، فكيف يطمع الإنسان أن يعرف حقيقة الله ﷻ؟ هذا طمع في غير مَطْمَع، ولهذا ورد عن أبي بكر رضي الله عنه أنّه كان يقول: العجزُ عن دَرْكِ الإدراكِ إدراكٌ^(١). الإدراك بالنسبة لله أن تعجز عن معرفته. وجاء في الآثار: تفكروا في خلق الله، ولا تتفكروا في الله ﷻ، فإنكم لن تقدروا قدره^(٢).

تَفَكَّرُوا في خلق السماوات والأرض، ولا تتفكَّروا في ذات الله نفسها، إنّ هذا أكبر من طاقة الإنسان، كيف يحيط المحدود بغير المحدود، كيف يحيط الفاني بالباقي، كيف يحيط الحادث بالقديم، كيف يحيط هذا الإنسان الضعيف بخالق الإنسان، وبارئ الكون، وواهب الحياة؟ هيهات هيهات. ولهذا كان النبي ﷺ يناجي ربه ويقول:

(١) المقصد الأسنى للغزالي ص ٥٤، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، نشر الجفان والجابي، قبرص، ط ١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

(٢) رواه أبو الشيخ في العظمة (٢)، وابن بطة في الإبانة (١٠٨)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٦٦/٦)، عن ابن عباس. ورواه الطبراني في الأوسط (٦٣١٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (١١٩)، وقال عقبه: هذا إسناد فيه نظر. عن ابن عمر. وحسنه الألباني في الصحيحة بمجموع طرقه (١٧٨٨)، وفي صحيح الجامع الصغير (٢٩٧٥، ٢٩٧٦)، ومعنى الحديث صحيح بالإجماع.

«اللهم أعوذُ برضاكَ من سَخَطِكَ، وبمعافاتِكَ من عقوبتِكَ، وأعوذُ بك منك، سُبْحَانَكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ؛ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(١).
لا أحصي ثناء عليك، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ.

نصف الله بما وصف به نفسه:

ومن هنا إذا أردنا أن نعرف الله فلنعرفه بما وصف به نفسه، في كتابه، وعلى لسان رسوله! نثبت له ما أثبت، وننفي عنه ما نفى، لا نقتحم باباً لسنا أهلاً له، ولسنا قادرين عليه.

الألوهية شيء عظيم، حسبنا أن نعلم أن الله واحد لا شريك له، لا شريك له في ذاته، ولا شريك له في صفاته، ولا شريك له في أفعاله. دلّ على ذلك وحدة هذا الكون من الذرة إلى المجرة. كل ما في الكون يدلّ على أنّ يدًا واحدة هي التي هندست هذا الكون، وجعلت التناسق والتعاون بين ممالكه المتنوعة: النبات يأخذ من الحيوان، والحيوان يأخذ من النبات، والأرض متّصلة بالسماء. هناك تناسق وتناغم وتعاون وتوحد بين أجزاء هذا الكون، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. يقول المثل: إنّ المركب الذي فيه رئيسان تغرق. أي مركب فيه قائدان لا بدّ أن يغرق. فكيف بهذا الكون؟ إنّهُ ليس إلّا إله واحد، ولهذا يجب أن تتجه إليه القلوب، بالرجاء والخوف والعبادة، فلا يعبد إلّا الله: ﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَأَعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، لا تعبدوا إلها غيره.

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٨٦)، وأحمد (٢٥٦٥٥)، عن عائشة.



عناصر التوحيد الثلاثة:

التوحيد الحقيقي ينبع من ههنا، توحيد الإسلام بعناصره الثلاثة التي جاءت بها سورة الأنعام:

- ١ - أَلَا تَبْغِي غَيْرَ اللَّهِ رَبًّا: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].
- ٢ - وَأَلَا تَتَّخِذُ غَيْرَ اللَّهِ وَلِيًّا: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ اتَّخِذْ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤].

- ٣ - وَأَلَا تَبْتَغِي غَيْرَ اللَّهِ حَكَمًا: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤].

أول ما يجب أن تعرفه: أن تعرف الله الواحد، وتفرد به بالعبادة والاستعانة، «إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ»^(١). لا تعبد إلا الله، ولا تستعن إلا بالله، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

معرفة الله بأسماء الله وصفاته في القرآن والسنة:

أول ما يجب أن تعرفه: أن تعرف الله الواحد، أن تعرف بأسمائه وصفاته، كما جاء في القرآن الكريم، وكما جاء في السنة النبوية. الأسماء والصفات التي جاءت في القرآن، وهي كثيرة، كانوا يحفظونها ونحن صغار أن لله صفات عشرين، يلقونها إياها، دون أن نفهم لها معنى: كونه تعالى حيًا وسميعًا، وبصيرًا، إلى آخره. مع أن لله أسماء وصفات كثيرة، أكثر من العشرين، فيجب ألا نحد لها حدًا.

(١) سبق تخريجه ص ١٩.

الله حيٌّ، الله سميعٌ، الله بصيرٌ، الله قديرٌ، الله عليمٌ، الله حكيمٌ، الله رحيمٌ، الله غفورٌ، الله تَوَّابٌ. كل ما جاء في القرآن من هذه الأسماء والصفات يجب أن نؤمن به، دون تحريفٍ أو تعطيلٍ، ودون تكييفٍ ولا تمثيلٍ، لا نُعْطِلُ الأسماء والصفات من مدلولها، ولا نُشَبِّه ولا نُمَثِّل ولا نُكَيِّف. لا نقول: كيف؟ لا، الله لا يقال فيه كيف؟ لأنَّه كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤].

ليس كمثله شيء:

الله غير خلقه، لا نقيس الخالق على خلقه بحالٍ من الأحوال: فإننا إذا قلنا: إنَّ الله رحيمٌ؛ فرحمته ليست كرحمتنا، الرحمة فينا رقةٌ في القلب يترتب عليها إحسانٌ إلى الغير أو دفع أذى عنه، إلى آخره. ولكن رحمة الله ليست كذلك.

الله سميعٌ، ولكنَّه لا يسمع بأذنٍ مثل أذننا!

كذلك هو بصيرٌ، ولكنَّه لا يبصر بعينٍ وجارحةٍ مثل أعيننا هذه!

الله حيٌّ، ولكن حياته ليست كحياتنا.

حينما نثبت لله تعالى الأسماء والصفات التي جاءت في القرآن الكريم نُثَبِّتُهَا له دون تكييفٍ ولا تمثيلٍ، لا ننفيها، ولا نؤوِّل، وإنَّ أوَّل علماء كبار من علماء هذه الأمة، ولهم اجتهادهم وعذرهم، بل لهم أجرهم إن شاء الله. ولكن الطريق الأسلم والأحكم أن نبقي هذه النصوص كما كان السلف ييقونها؛ دون أن يتأولوها، ودون أن يحرفوها؛ فلعلنا إذا أولناها، أولناها بمعنى لم يكن هو المراد لله وَجَلَّ، فالأولى أن

تترك، وأن نقول كما قال الإمام مالك حينما سئل عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. كيف استوى؟ قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة^(١). أي إن إثارة هذه الموضوعات وجعلها موضع اختلاف وشقاق، من البدع التي لم تكن في سلف هذه الأمة! لم يبحث الصحابة هذه الأمور! نترك السؤال عن الكيف. هذا هو أفضل ما وصل إليه علماء الأمة الكبار، حتى كبار المتكلمين، كبار العلماء مثل الباقلاني وإمام الحرمين والفخر الرازي، انتهوا في نهاية حياتهم بعد أن حصلوا علوم المتقدمين والمتأخرين، وخاضوا في رحاب الفلسفات العقلية قرروا: إن أفضل الطرق هو ما جاء به القرآن! طريقة السلف. قال الفخر الرازي في كتابه (أقسام اللذات): «لقد تأملت المناهج الفلسفية، والطرق الكلامية، فلم أرها تشفي غليلاً، أو تنقح غليلاً. ورأيت خير الطرق طريقة القرآن: اقرأ في الإثبات: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]. واقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]. ومن جرب مثل تجربتي، عرف مثل معرفتي»^(٢). هذا بعد أن عاش عمراً طويلاً يؤوّل ويدافع عن التأويل.

استحضار صفات الله في القلوب والنفوس:

الأولى أن نصف الله تعالى بما وصف به نفسه، نثبت له ما أثبت، وننفي عنه ما نفى، المهم أن تكون هذه الأسماء حاضرة في قلوبنا، حية في نفوسنا، هذا هو المهم، إذا أخبرنا الله تعالى أنه سميع بصير،

(١) رواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد (٦٦٣).

(٢) جزء من وصيته لتلميذه إبراهيم بن أبي بكر الأصبهاني، ذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء (٥٠١/٢١)، تحقيق مجموعة بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

معناه أن حين تتكلم كلمة تخرج منك تكون مستحضراً أن الله تعالى يسمعك. الناس إذا كانوا خائفين وكلم بعضهم بعضاً التفتوا يميناً وشمالاً وقالوا: احذروا، إن للحيطان آذاناً. أي احذروا أن يسمعكم أحد من الخلق. تخافتوا وتكلموا بصوت لا يسمعه إلا القريب القريب، وما درى هؤلاء الناس أن الله تعالى يسمع السر وأخفى، إن الله يسمع ما تقول.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا آدَنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧].

كان المشركون يتحدثون عن النبي ﷺ في مجالسهم الخاصة، فإذا القرآن ينزل ويفضح أسرارهم، ويكشف أستارهم، فيقول بعضهم لبعض: تكلموا وأنتم خافتون، بصوت خافت حتى لا يسمعكم إله محمد. فنزل قوله تعالى: ﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمُ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٣، ١٤]. أسر بالقول، أو اجهر به؛ فإن الله يسمعك.

قالت عائشة رضي الله عنها: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، جاءت المرأة المجادلة تجادل النبي ﷺ في أمر زوجها، وأنا لا أكاد أسمعها، فإذا القرآن ينزل بقول الله: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١] (١).

(١) علقه البخاري بصيغة الجزم في التوحيد (١١٧/٩)، باب قول الله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾، ووصله أحمد (٢٤١٩٥)، وقال مخرجه: إسناده صحيح على شرط مسلم. والنسائي في الطلاق (٣٤٦٠)، وابن ماجه في المقدمة (١٨٨)، عن عائشة.

حفظ أسماء الله ليس هو المهم:

المهم أن تعلم أن الله سميع، ليس المهم أن تحفظ هذه الكلمة، وتقول لله تعالى صفة اسمها السمع، المهم أن تستحضر هذا في أعماقك، أن تحس به وأنت تعامل الناس، في بيتك، أو في الطريق، أو في العمل، لعلك أن الله تعالى يسمعك.

إذا عرفت من صفات الله تعالى أن الله بصير، فاعلم أنه يراك، «اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(١). يطلع عليك، يرقبك بعين لا تنام، الله سُبْحَانَهُ بصير بكل هذه الموجودات. يبصر النملة السوداء في الليلة الظلماء، ويسمع دبيبها. هذا هو البصر والسمع الإلهي، سميع بصير، ولهذا إذا أردت أن تغيب عن الناس لتصنع شيئاً بحيث لا يراك أحد، فاعلم أن هناك عينا تراك وترقبك وترصدك: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤]. هذا ما ينبغي أن يؤمن به الإنسان. الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته. لما راود أحد الناس جارية عن نفسها، قال لها: ما يمنعك ولا يرانا إلا الكواكب؟ قالت له: فأين مكوكبها^(٢)؟ أين مكوكبها؟ الإيمان بأن الله تعالى يراك، ويرقبك هذا هو معنى الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته.

استحضار موسى عَلَيْهِ السَّلَام لمعية الله تعالى:

لما بعث الله موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَام قال لهما: ﴿أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ ﴿قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَنْ يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ﴾ ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٣ - ٤٦]. ليس هناك

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٨٥٣).

شيء في هذا الكون غائب عن سمعي وبصري. هذا المعنى ملأ قلب موسى وأخيه هارون بالثقة المطلقة، باليقين الذي لا يعتريه تردد، فـالله معه يسمع ويرى، ولهذا رأينا موسى ﷺ حينما خرج مع قومه مهاجرين من مصر، تاركاً فرعون وجنوده، وأدركه فرعون بجيوشه وجنوده، بالآلاف المؤلفة، بالعدد والأسلحة، أدرك موسى ومعه حفنة من قومه، فماذا كان الأمر؟ قال أصحاب موسى لموسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]. سيدركنا القوم، البحر أمامنا، والعدو من خلفنا، ونحن قلة قليلة أمام هذه الجيوش الجرارة، إِنَّا لَمُدْرِكُونَ؛ فماذا قال موسى؟

لقد كان في ذهنه وقلبه وسويداء فؤاده تلك الكلمة الإلهية: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَصَمٌّ وَأَبْصَرٌ﴾. قال موسى لأصحابه: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]. لن يدركونا، هؤلاء يقولون: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾. وهو يقول: ﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾. يعلم أَنَّ الله معه. لم يضع هذا اليقين سدى، ولم تذهب هذه الكلمة أدراج الرياح، أوحى الله إلى موسى: ﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَأَنْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾ [الشعراء: ٦٣]. معنى الإيمان بسمع الله تعالى وبصره، ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَصَمٌّ وَأَبْصَرٌ﴾ هذا هو الإيمان الذي نريده.

إِنَّ اللَّهَ معنا:

النبي ﷺ حينما خرج مهاجراً، هو وصاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، أویا إلى الغار، وجاء المشركون حتّى وقفوا على باب الغار، وقال منهم من قال: لم يعد محمد هذا المكان، إمّا هبط إلى الأرض من هنا، أو صعد إلى السماء من هنا. فقال أبو بكر، وهو خائف حزين وجل مشفق على رسول الله ﷺ، فرسول الله هو الدعوة، لو هلك هلكت الدعوة

والرسالة، فقال: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا. فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما»^(١). ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]. هذا هو معنى الإيمان بأسماء الله تعالى وصفاته.

حفظ العقائد في النفوس قبل الألسنة:

ليس معنى العقائد أن نحفظها من كتاب، إنما نريد أن تكون لهذه العقائد آثار في أنفسنا وفي حياتنا، حينما نقرأ أن الله تعالى عليم حكيم، فمعنى هذا أن نطمئن إلى علم هذا الإله وحكمته، أنه خلق كل شيء بمقدار، ولم يخلق شيئاً عبثاً: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلاً سُبْحَانَكَ﴾ [آل عمران: ١٩١]. كذلك لم يشرع شيئاً عبثاً، فكل ما شرعه من الأحكام، وما أحله من الحلال وما حرم من الحرام، فهو لحكمة؛ علمها من علمها، وجهلها من جهلها. الله تعالى عليم حكيم. حينما نقرأ هذا نطمئن إلى علم الله تعالى وحكمته.

الرحمة من صفاته والعذاب من أفعاله:

الله رحمن رحيم، وليس كما يقول الْمُنْصَرُّونَ وَالْمُبَشِّرُونَ غيرهم من خصوم الإسلام: إِنَّ إِلَهَ الْمُسْلِمِينَ إِلَهٌ جَبْرُوتٌ وَنَقْمَةٌ، وهو إله جبار قهار، ليس عنده إلا النار، وليس عنده إلا العذاب، وإلا سوء العقاب! فهذا كذب، من قرأ القرآن عرف أن جانب الرحمة أغلب من جانب الغضب والنقمة، يكفي أن سور القرآن إلا سورة واحدة كلها تبدأ بـ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾. يكفي أن الفاتحة التي يقرأها المسلم على الأقل سبع عشرة مرة تقرأ فيها:

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١)، كلاهما في فضائل الصحابة، عن أبي بكر الصديق.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ * الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿[الفاتحة: ١ - ٣]﴾. أي أنه يكرر هذين الاسمين الكريمين: الرحمن الرحيم. في صلوات الفرض أربعاً وثلاثين مرّة: الرحمن الرحيم.

ويقول القرآن: ﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. فالرحمة عامّة والعذاب خاص، قيّد العذاب بمشيئته، وفتح باب الرحمة للجميع، كما جاء في القرآن على لسان الملائكة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً﴾ [غافر: ٧]. فعلم الله يسع كل شيء، ورحمة الله تسع كل شيء، ولذلك كثر في القرآن أسماء: الغفار، التّوّاب، العفو، البرّ، الكريم، الرحمن، الرحيم، إلى آخره.

كم مرّة ورد اسم الجبار والقهار في القرآن الكريم؟ اسم الجبار لم يرد إلا مرّة واحدة في آخر سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّمُنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]، والقهار ورد مرّات عديدة، ليخيف أعداءه الذين يكذبون رسله، والذين يقفون في سبيل الحق والخير، ليقول: إنّه فوق هذا الكون مسيطر عليه: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨]، ﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

حبُّوا الله إلى عباده:

أسماء الرحمة والجمال والعفو والبرّ هي الأسماء الغالبة، وقد جاء في الحديث القدسي الصحيح، يقول الله تبارك وتعالى: «إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي»^(١). ولهذا رأينا القرآن يفتح الباب على مصراعيه

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤٢٢)، ومسلم في التوبة (٢٧٥١)، عن أبي هريرة.

للعصاة، الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، وأسرفوا عليها، وهو يناديهم: ﴿قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]. ولهذا يخطئ كل الخطأ أولئك الوعاظ والدعاة الذين لا يذكرون إلا جانب البطش والنقمة، ويذكرون النار أكثر ممَّا يذكرون الجنة، ويذكرون العذاب أكثر ممَّا يذكرون الرحمة. لا، ينبغي أن نُغلب جانب الرجاء حتَّى نُحبِّب الله إلى خلقه، إلى عبادِهِ، فيعبُدوه بالحبِّ.

الله ﷻ وصف نفسه بالرحمة، حتَّى قال الإمام ابن القيم: لم يصحَّ في أسماء الله تعالى اسم المنتقم^(١). جاء في حديث عن الترمذي، لكنَّ الحديث ضعيف^(٢). كل ما ورد هو ما جاء في القرآن أَنَّهُ ﴿عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤]. وفرق بين أن يوصف بأنه ذو انتقام وبين أن يوصف بالمنتقم، هو ذو انتقام، أي الانتقام من أفعاله، وليس صفة لازمة من صفاته، ولا اسماً ثابتاً من أسمائه، وهذا ما يدل عليه قوله تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]. فجعل المغفرة والرحمة من أسمائه الثابتة له، وجعل العذاب من أفعاله، لم يقل: وأني أنا المُعَذِّب. كما قال: ﴿أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * لا، نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾، ليخيف أولئك الشاردين عن بابه، عن طريقه حتَّى يرجعوا إليه.

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (١/١٧٧)، تحقيق هشام عبد العزيز عطا وآخرين، نشر مكتبة نزار مصطفى الباز، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

(٢) رواه الترمذي في الدعوات (٣٥٧)، وقال: هذا حديث غريب. عن أبي هريرة.

الرحمن يناديكم أيها العصاة:

فيا أيها العصاة، يا أيها الظالمون لأنفسهم ولعباد الله، الله يدعوكم، الرحمن الرحيم يناديكم، العفو الغفور يقول لكم: عودوا إليّ، وتوبوا إليّ، فأنا الغفار، وأنا التواب: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢].

يجب أن نعرف الله تبارك وتعالى، وأن نعرفه بأسمائه وصفاته، كما علمنا في كتابه، وفي سنة رسوله ﷺ، ومن هذا الطريق وحده نستطيع أن نعرف الله كما يريد لنا أن نعرفه: ليس من طريق الفلسفات، وليس من طريق الجدل الكلامي، إنّما من طريق القرآن، الذي يقنع العقل، ويحرك القلب، ويحفز الإرادة، ويملأ الإنسان يقينا بأن الله ﷻ هو المتّصف بكلّ كمال، المنزّه عن كلّ نقص.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]. هو الأوّل فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، وهو الظاهر فليس فوقه شيء، وهو الباطن فليس دونه شيء، وهو بكلّ شيء عليم: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّهُ هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة:

دعم الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية:

تفضل سعادة وزير التربية والتعليم بدولة قطر، فأصدر قرار بجمع التبرعات لـ (الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية)، وواجب كل مسلم هنا وفي كل مكان أن يساند هذه الهيئة الإسلامية الخيرية العالمية. تعلمون الفكرة التي قامت من أجلها هذه الهيئة.

إنّ الإسلام مهدد في قلب دياره، في قلب أوطانه، هناك قوى شريرة ترصد السوء بهذا الدين، تريد أن تقتلعه من جذوره، وأن تهدمه من أساسه! إنّها تهدد الوجود الإسلامي. هناك حركات تنصير، وحركات شيوعية، والحركات الهدامة، والحركات المارقة والمنشقة عن المسلمين، بأسمائها وعناوينها المختلفة. هذه القوى والحركات تختلف فيما بينها، ولكنها تتفق على هدم مقومات الإسلام، وعلى حرب الأمة الإسلامية، ولهذا ينبغي أن نقوم في وجه هذه القوى الشريرة! إذا رصدت هذه القوى من أموالها لإخراج المسلمين عن دينهم، وإخراجهم عن هويّتهم التاريخية الإسلامية، إذا رصدوا لذلك مئات الملايين من الدولارات، فنحن المسلمين قادرون على أن نرصد مثلها، وأكثر منها، لو صحّت العزائم وصدقت النيات.

أنت على ثغرة من ثغور الإسلام:

المسلمون ليسوا بالقليل، وليسوا بالفقراء، ولكن نحتاج إلى عمل،



ونحتاج إلى تنظيم، ونحتاج إلى إعداد، نحتاج إلى أن يحمل كل مسلم همّ أمته، ولا يعيش لنفسه فقط، ويقول: أنا، وليخرب العالم. لا، أنت جزء من أمة، أنت لبنة في بناء، أنت فرد من مجتمع كبير. كل واحد منا عليه أن يبذل ما يستطيع، وكما قال عمر رضي الله عنه: أنت على ثغرة من ثغر الإسلام؛ فلا يؤتين من قبلك.

كل واحد منا حارس على ثغرة، إياك أن يتسلل العدو وينفذ من هذه الثغرة وأنت غافل، يجب أن نبذل، ونحضّ الآخرين على أن يبذلوا. الإسلام لم يكتف من المسلم أن يطعم المسكين، ولكنه أوجب عليه أن يحضّ على طعام المسكين، أي يحثّ غيره على إطعام المسكين، ويدعوه إلى إطعام المسكين، فهذا واجب الأمة الإسلامية، وإلا استحقوا ما أوعده الله به تعالى أهل الشمال، الذين قال فيهم: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ وَلَا يَحْضُرُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿[الحاقة: ٣٣، ٣٤].

اللهم هبّ لنا من أمرنا رشداً، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، اللهم افتح لنا فتحاً مبيناً، واهدنا صراطاً مستقيماً، وانصرنا نصرًا عزيزاً، وأتمّ علينا نعمتك، وأنزل في قلوبنا سكينتك، وانشر علينا فضلك ورحمتك.



تكوين الإنسان المسلم: الإيمان بالملائكة

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا يزال الحديث موصولاً حول الفرد لمسلم، الَّذِي هُوَ اللَّبَنَةُ
الْأَسَاسِيَّةُ لِبِنَاءِ الْمَجْتَمَعِ الْمُسْلِمِ، وَالَّذِي هُوَ مَحْوَرُ كُلِّ إِصْلَاحٍ، وَلَا يَتَأْتَى
إِصْلَاحٌ لِلأُمَّةِ فِي سَائِرِ أَحْوَالِهَا إِلَّا بِإِصْلَاحِهِ، وَالْإِصْلَاحُ إِنَّمَا يَبْدَأُ مِنْ
الْدَاخِلِ، مِنْ دَاخِلِ الْإِنْفُسِ، فَإِنَّمَا يَقَادُ الْإِنْسَانُ مِنْ بَاطِنِهِ لَا مِنْ ظَاهِرِهِ:
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وَأَوَّلُ مَا يَبْدَأُ بِهِ الْإِنْسَانُ إِصْلَاحَ نَفْسِهِ: أَنْ يَصْلِحَ عَقِيدَتَهُ، أَنْ يَعْرِفَ
الْغَايَةَ، وَيَعْرِفَ الطَّرِيقَ!

أَنْ يَعْرِفَ مَنْ خَلَقَهُ فَسَوَّاهُ، وَيَعْرِفَ لِمَاذَا خُلِقَ، يَعْرِفَ الْمَبْدَأَ، وَيَعْرِفَ
الْمُنْتَهَى، يَجِيبُ عَنْ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ الْخَالِدَةِ، الَّتِي عَاشَتْ مَعَ الْإِنْسَانِ مِنْذُ
فَكَرَّ إِلَى الْيَوْمِ وَمَا بَعْدَ الْيَوْمِ: مَنْ أَيْنَ، وَإِلَى أَيْنَ، وَلِمَ؟

لَا بَدَّ لِلْإِنْسَانِ أَنْ يَجِيبَ عَنْ هَذَا، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَجِيبَ عَنْ هَذِهِ الْأَسْئَلَةِ
إِلَّا بِالْعَقِيدَةِ الْإِلَهِيَّةِ السَّلِيمَةِ، الَّتِي لَمْ يَعْتَرِهَا تَحْرِيفٌ وَلَا تَبْدِيلٌ؛ وَلَيْسَ

ذلك إلا في عقيدة الإسلام، التي جاء بها قرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وبينها رسول لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى.

أول أركان العقيدة الإسلامية: الإيمان بالله تبارك وتعالى، الإيمان بالله خالق الكون، وواهب الحياة، وبارئ الإنسان. وهذا هو أصل الأصول كلها، وقد تحدثنا عن هذا الأصل، الإيمان بالله تعالى. وهذا هو الركن الأول والأساسي والذي تتعلق به الأركان الأخرى كلها.

الركن الثاني: الإيمان بالملائكة.

الإيمان بملائكة الله تبارك وتعالى، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، ﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]. وفي حديث جبريل المشهور، حينما سأل النبي ﷺ عن الإيمان قال: «الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر»^(١).

الإيمان بالملائكة ركن أساسي من أركان العقيدة الإسلامية، والمقصود بهذا الركن أن يرتقي الإنسان من دائرة المحسوسات إلى دائرة عوالم الغيب، ألا يعيش سجين حسّه، فلا يؤمن إلا بما يؤمن به أولئك الماديون المطموسون المحجوبون، لا يؤمنون إلا بما تدركه هذه الحواس، فما تراه العين، أو تسمعه الأذن، أو تشمه الأنف، أو تلمسه اليد، أو يحسّه الذوق، هو الذي يؤمنون به. وما عدا ذلك، فهو مرفوض. هؤلاء يعيشون في درجة الطفولة الإنسانية، الطفل هو الذي لا يؤمن إلا

(١) متفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩، ١٠)، كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

بما يراه، وما يحسه، لا يؤمن بالمعنويات إلا إذا ارتقى وميّز وأدرك. بل هؤلاء يعيشون في حضيض الحيوانية، فالحيوان هو الذي لا يعرف إلا ما يراه بعينه من المأكولات والمشروبات. هؤلاء: ﴿كَأَلَّا نَعْمَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].

إدراك الروح أعلى من الحواس:

هؤلاء هم الذين عطلوا الأجهزة التي أعطاهم الله إياها، وقد أعطى الله الإنسان أجهزة بجوار الحواس، عقلية وروحية، يعرفون بها أكثر ممّا تدركه هذه الحواس. إن هذا الكون الذي نعيش فيه ليس مقصوراً على هذه العوالم المشهودة، هناك عوالم مغيبة عنا، ليس معنى أننا لا نراها أنّها غير موجودة. كم من عوالم لم يكن يراها الإنسان من قبل، ثمّ هُيئ للإنسان وسائل فرآها: الجراثيم، الميكروبات، البكتيريا، هذه الكائنات التي أصبحت من المقطوع بها، يراها الناس بأجهزة، بالملايين ومئات الملايين وآلاف الملايين. النقطة الواحدة من الدم كم فيها الكائنات الحية، هذا ما يراه العلم، ويراه الناس بالمناظير والمجاهر، لم تكن معروفة من قبل.

الإيمان بالغيب:

أئذا لم ير الإنسان شيئاً أنكره؟ لا، هذا هو الحجاب، هذا هو الطمس، هذا هو العمى. نحن في عصرنا هذا، وبكل ما أوتينا من أجهزة ومراصد لا نعرف إلا القليل من هذا الكون، لا نرى منه إلا ثلاثة بالمائة (٣٪)، كما يقول علماء الفلك وغيرهم، يقولون: إنّ سبعة وتسعين بالمائة (٩٧٪) من هذا الكون المادي محجوب عنا، لا نراه. يُسمّونه (الأعماق السوداء). هذا بشأن الكون المادي، فما بالكم بما وراء الكون، ممّا

لا يرى ولا يحس. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿[الحاقة: ٣٨، ٣٩]. وما لا نبصره أكثر ممَّا نبصره، هناك عوالم مغيبة عنا، يجب أن نؤمن بها.

والإيمان بالغيب أحد الأمور المميزة للمتقين عن غيرهم، حينما وصف الله المتقين في مطلع سورة البقرة، كان أول صفاتهم أَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ بالغيب: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]. هذا هو مُفَرَّق ما بين المؤمنين والجاحدين.

الملائكة جنود الله:

هناك ملائكة لله تبارك وتعالى، هذه الملائكة عوالم نورانية، خلقت من النور، لا نعرف كيف خلقت، إلَّا أَنَّهُا خلقت من النور، وبثها الله في هذا الكون كله، وإن كان أصل مساكنهم السماء، فهم جنود لله تبارك وتعالى، يدير بهم هذا الكون، وإن كان غنيا عنهم، كما أَنَّهُ غني عن كلِّ الأسباب، ولكن جرت سنته في العالم أَنَّهُ يضع الأسباب للمسببات! أَنَّهُ أدار هذا الكون على سنن؛ فهؤلاء هم جنود الله تبارك وتعالى، جنود أخفاء، لا نراهم، ولكننا نؤمن بهم عن طريق الوحي.

الوحي طريق الإيمان:

والوحي هنا هو الطريق المأمون لمعرفة عوالم الغيب. إِنَّ هناك أسباباً للمعرفة: هناك الحواس السليمة، وهناك العقل، وهناك الوحي. ما لا يستطيع الإنسان أن يصل إليه بحواسه، ولا بعقله، فإن الوحي يستطيع أن يخبره به، فإذا جاءنا الوحي بخبر عن عوالم الغيب آمنا به وصدقنا. وقد ذكر لنا الوحي، أن لله ملائكة كثيرين، لهم وظائف شتى:



الملائكة الكتبة الحفظة:

بعضهم حفظة كاتبون: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كُنِينًا * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٠-١٢]. يسجلون لنا أو علينا، في صحف لا تضيع، ولا تهمل، ولا تتآكل، يسجلون علينا الكبير والصغير، ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]. رسلنا يكتبون، هذا الكتابة مسجلة في صحف ستعلق في أعناقنا يوم القيامة ونقرؤها جميعًا، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلَنَا مَا لَ هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. هناك الحفظة الكاتبون.

هناك الذين يتولون قبض أرواح المخلوقات، وقبض أرواح المكلفين عندما يحين الأجل، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرِطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١]، ﴿قُلْ يَتُوفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١]. هناك الحفظة، هناك أولئك الذين يتولون أمر الوفاة.

هناك خزان الجنة وخزان النار، هناك منكر ونكير، اللذان يسألان الإنسان في قبره عن ربه ودينه ونبيه.

ملائكة النصر:

هناك ملائكة مبثوثون لله تبارك وتعالى، يرسلهم لنصرة عباده المؤمنين، عندما تضيق بهم المسالك، وعندما تظلم الدنيا من حولهم، وتتقطع الأسباب، وتنغلق الأبواب، ولا يوجد إلا باب الله تبارك وتعالى، هناك ينزل الله ملائكته بالنصر والإمداد والتأييد، كما نزلت في غزوة بدر:

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]، ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

ملائكة الموت:

هناك الملائكة الذين ينزلون عند الموت لتبشير المؤمنين بما ينتظرهم عند الله تبارك وتعالى، فيحبوا لقاء الله كما يحب الله لقاءهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ * نَحْنُ أَوْلِيَائُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدْعُونَ * نَزَّلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

وفي مقابل هؤلاء، في مقابل ملائكة الرحمة ملائكة العذاب، الذين يتوفون الذين ظلموا أنفسهم: ﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٢٨].

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ * ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتِ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [الأنفال: ٥٠، ٥١]. الذين ظلموا أنفسهم تتوفاهم الملائكة، ولكن لا ليبشروهم، ولكن ليضربوا وجوههم وأدبارهم، ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

الملائكة مبثوثون في هذا الكون كله، يقومون بوظائف وكلهم الله تعالى بها، بعضهم في الأرض، وبعضهم في السماء.

حملة العرش:

بعضهم يحمل عرش الرحمن: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٧]. وهذه من أعمال الملائكة، أنهم في السماوات العلا يستغفرون للمؤمنين على ظهر الأرض. أنت مشغول بطاعة الله، وقد سخر الله ملائكته بالدعاء والاستغفار لك. ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ، وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧ - ٩]. الملائكة يدعون ويستغفرون لمن في الأرض، وللذين آمنوا خاصة.

بعض الملائكة في الأرض يقومون بوظائف، وبعضهم في السماء! بعضهم يقومون في حالة الحياة للإنسان، وعند الوفاة، وبعد الوفاة، في القبر، وفي سؤال القبر، وفي نعيم القبر، وفي عذاب القبر.

خزنة الجنة والنار:

بعضهم خزنة للجنة، على رأسهم رضوان خازن الجنان، وبعضهم خزنة النار، وعلى رأسهم مالك، الذي ذُكر شأنه حينما يناديه أهل النار: ﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾. ليقض علينا بموت يفينا، ﴿قَالَ إِنَّكُمْ مَعِكُمْ﴾ * لَقَدْ جِئْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧، ٧٨]. هؤلاء

خزنة النار، وهم كما وصفهم الله تعالى في سورة التحريم: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوًا أَنفُسُكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

الملائكة عباد لله:

هؤلاء هم الملائكة، يجب أن نؤمن بهم، هم خلق من خلق الله، عباد لله، ليسوا آلهة كما صورتهم بعض الديانات. هناك من آله الملائكة، أعطاهم صفات الألوهية، وهم ليسوا آلهة ولا أبناء آلهة. ليسوا بنات لله كما كان العرب يعتقدون، فقد جعلوا بينهم وبين الله وَجَلًا نَسَبًا، وقالوا: الملائكة بنات الله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧]، ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ * لَا يُسَبِّحُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهُ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٩]. يقصدون بالولد الملائكة.

هم عباد لله، ﴿لَن يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ [النساء: ١٧٢]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]. فإذا كانوا عبادًا مُسَبِّحِينَ ساجدين: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]؛ فكيف يُعبدون من دون الله؟ كيف يعبدهم الناس؟ وقد أكرم الله هذا الخلق، هذا النوع هذا الخلق، هذا النوع من الخليقة - بني آدم - بأن أمر الله الملائكة بالسجود لآدم، فلا يتصور أن يكون هؤلاء الملائكة في موضع الألوهية، في موضع يعبدهم بنو آدم ويسجدون لهم. الذين فعلوا ذلك ضلوا، ضلوا عن سواء السبيل.

الملائكة عباد لله، ليسوا آلهة، ولا بنات لله، ولا يملكون عند الله شيئاً: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. ولا يشفعون إلا بإذن الله، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. هذا هو شأن الملائكة.

ليسوا ذكورا ولا إناثا:

الملائكة من خلق الله المغيب عنا، لا يوصفون بذكورة ولا أنوثة؛ لأنهم لا يتناسلون كما يتناسل البشر، ليس لهم أجهزة تناسلية مثلنا، فلا يوصفون بذكورة ولا أنوثة، ومن وصفهم بذكورة فقد فسق، ومن وصفهم بأنوثة فقد كفر؛ لأنه عارض صريح القرآن: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنثًا أَشْهَدُوا خَلَقَهُمْ سَتُكُنَّبُ شَهَدَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩]. من أين عرفوا أنهم إناث، أشهدوا خلقهم؟! ما دمت لم تشهدوا خلقهم، والإنسان لا يشهد إلا بما علم وما رأى، «على مثل الشمس فاشهد»^(١). فهل أتاكم نبأ من وحي السماء أخبركم أنهم إناث؟! فمن وصفهم بأنوثة فقد كفر.

مفطورون على الطاعة:

الملائكة عباد لله تبارك وتعالى، يجب أن يؤمن بهم كل مؤمن. ركن من أركان الإيمان أن تؤمن بأن الله تعالى ملائكة، لا يحصيهم إلا الله تبارك وتعالى، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]. حسبك أن تعلم أنهم موكلون بأمور في هذا الكون من قبل الله تبارك وتعالى، وأنهم مفطورون على الطاعة، لا يرتكبون معصية. وتتعبّد الملائكة لله تبارك وتعالى، فهم مفطورون على العبادة، على التسبيح، وعلى الذكر.

(١) رواه الحاكم في الأحكام (٩٨/٤)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الذهبي: واه. والبيهقي في الشهادات (٢٦٣/١٠)، وقال: لم يرو من وجه يعتمد عليه. عن ابن عباس.

عالم الجن:

وإذا عرفنا الملائكة، وجب أن نعرف نوعاً آخر من عوالم الغيب، هو الجن. الجن من عوالم الغيب التي ذكرها الله تعالى في القرآن الكريم، حتى إن هناك سورة تعرف بسورة الجن، والجن من (جَنّ)، في لغة العرب جَنّ الشيء، أي استتر، وهؤلاء لأنهم مستترون سموا جنّا، لأنهم يروننا ولا نراهم: ﴿إِنَّهُ يَرِنُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧]. هذه مخلوقات مغيبة عنا أيضاً، هذه المخلوقات خلقت قبل الإنسان، كما أن الملائكة كانت قبل الإنسان، حينما أراد الله أن يخلق آدم قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر: ٢٧].

«خلقت الملائكة من نور، وخلق الجن من نار، وخلق آدم ممّا وصف لكم»^(١). كما جاء في حديث مسلم، عن عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم. أي خلق من طين، ومن صلصال من حمأ مسنون، وخلقت الجن من نار.

الجن خلق مكلفون:

هؤلاء الجن مكلفون، وليسوا كالملائكة، وليسوا مفطورين على الطاعة، بل منهم المؤمن ومنهم الكافر، ومنهم المطيع ومنهم العاصي، ومنهم أهل الجنة ومنهم أهل النار. هذا ما ورد في سورة الجن: ﴿وَأَنَا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا * وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن: ١٤، ١٥]. هؤلاء الجن مكلفون، لهم رسل كما يقال لهم يوم القيامة: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ [الأنعام: ١٣٠]. بل إن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم للإنس

(١) رواه مسلم في الزهد (٢٩٩٦)، وأحمد (٢٥١٩٤).

والجن، وقد آمن به الجن، كما نزل في السورة الكريمة: ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢].

تشكل الجن:

هؤلاء الجن يمكن أن يتشكلوا، كما أن الملائكة يمكن أن يتشكلوا، أن يتصوروا بصورة ما، كما بعث الله ملائكة إلى إبراهيم في صورة ضيوف، وهرع ﴿فَجَاءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ﴾ ﴿فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ ﴿فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [الذاريات: ٢٦ - ٢٨]. حتى عرف أنهم ملائكة مرسلون إلى قوم لوط، ولما رآهم لوط: ﴿سَيِّئَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧]، ﴿قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١].

الملائكة يمكن أن يتشكلوا، والجن يمكن أن يتشكلوا، ولكن الصورة لا تحكم على الملائكة، لا تستطيع أن تمسك الملك وهو في صورة الإنسي، كما نزل جبريل في صورة أعرابي، وسأل النبي ﷺ الأسئلة المعروفة، عن الإسلام والإيمان والإحسان والساعة^(١). أمّا الجن فالصورة تحكم عليه، لو تشكل في صورة كلب وقتلته فإنه يقتل، والملائكة لا تتصور إلا في الصور الحسنة، ولكن الجن قد تتصور في صورة كلب أو قط أو حية إلخ.

الاعتقاد في الجن بين الإفراط والتفريط:

هؤلاء الجن من خلق الله المغيب عنا، وللناس فيهم اعتقادات وتصورات تميل ما بين الإفراط والتفريط، من قديم ومن حديث، أهل

(١) إشارة إلى الحديث المتفق عليه: رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩) كلاهما في الإيمان، عن أبي هريرة.

الجاهلية قديما كانوا يعتقدون أنَّ الجن يستطيعون أن يفعلوا أي شيء، ولهم قدرة على كل شيء، وكانوا إذا نزلوا واديا يقولون: نستعيز بك يا سيّد هذا الوادي. يعتقدون أنَّ الجن قد اقتسموا الكون، وكل واحد منهم له واد، أو له قطعة من الأرض يحكم فيها، وكما قال القرآن: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦].

وكانوا يعتقدون أنَّهم يعلمون الغيب، وأنَّهم يوحون إلى شياطينهم من الإنس من الكهنة والعرافين بما يعلمون، فيكشفون أستار الغيوب، ويتنبؤون بالمستقبل، ويعرفون ما لا يعرف سائر النَّاس، ولكن جاء القرآن فصّح هذه العقائد، صحّح هذه العقائد، وأخبر أنَّ الجن هم من خلق الله تعالى أيضًا، وأنَّهم ليس في استطاعتهم أن يُعيدوا أحدًا من الشر، بل ربما زادوا من استعاذ بهم رَهَقًا وتعبًا، ولذلك قال: ﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾. وبين أنَّهم لا يعلمون الغيب: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهَبًا * وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعَدًا لِلْسَّمْعِ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَحْدُ لَهُ، شَهَابًا رَّصَدًا * وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ٨ - ١٠].

استخدام الإنس للجن:

وبين لنا القرآن أنَّ الجن يمكن أن يستخدمهم الإنسان بقوة من الله تبارك وتعالى، كما استخدمهم سليمان عليه السلام، فليسوا آلهة، وليس لهم شيء من ذلك. صحيح أن سليمان أوتي ذلك على سبيل المعجزة: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ * فَسَخَرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ * وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَتَاءٍ وَعَوَاصٍ * وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَإِنَّ لَهُ، عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَّكَابٍ﴾ [ص: ٣٥ - ٤٠]. وكان هؤلاء الجن يعملون بين يديه بإذن ربه، ولا يعلمون الغيب، ولما

مات سليمان لم يعرفوا أنه مات، حتّى خرّ ووقع: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤]. هذا هو شأن الجن.

اعتقادات خاطئة:

هناك أناس يبالغون في أمر الجن، حتّى يخيل إليه أنّ الحياة كلها عفاريت، وأنّ العفاريت معك في كل مكان، وأنّ الإنسان إذا مرض بمرض عصبي فقد ركبه عفريت من العفاريت، وأن، وأن. هؤلاء من ناحية.

وأناس آخرون ينكرون أن هناك جنّا، وأنّ هناك شيئاً من هذه العوالم. والحقائق الكبيرة تفسدها المبالغات دائماً. الجن موجودون، ولكن يجب أن نقف بهم عند ما جاء به القرآن، لا نزيد، ولا نبالغ، ولا نتخطى النصوص إلى ما لم تدل عليه. إذا قال القرآن إنّ الجن يمكن أن يمَسَّ الإنسان، حتّى لو أخذنا هذا دون تأويل، وأخذناه بالمس المادي لا المعنوي، فإن هذا المس لا يعني أنّ الجن يتحكم في الإنسان، ويتلبس به، وينطق بلسانه. بحيث يفقد الناس المسؤولية. يمكن أن يعمل الإنسان عملاً ويقول: جني فعل ذلك. يمكن أن تزني المرأة وتقول: جني فعل بي ذلك.

لا إفراط ولا تفريط:

لا ينبغي أن نبالغ في الحقائق، ولكن نؤمن بها، بحيث لا نزيد، ولا نفرط ونفرط، الدين بين الغلو والتفريط. إن على الإنسان المؤمن أن يعلم أن هناك عوالم للغيب، غير هذا العالم الذي نعيش فيه. كان الإنسان



يعتقد قديماً أنّه هو كل شيء في هذا الوجود، ثمّ بين لنا العلم كما بين الدين أننا نعيش على كرة صغيرة صغيرة، هي جزء من مجموعة كبيرة اسمها المجموعة الشمسية، وأن هذه المجموعة الشمسية جزء صغير، من ملايين أخرى من المجموعات ضمن شيء يسمونه المجرة، وأن هذه المجرة جزء من ملايين المجرات التي يبنى عليها هذا الكون، ولا عجب أن كان النبي ﷺ يقول: «اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض، وملء ما شئت من شيء بعد»^(١).

نسأل الله تبارك وتعالى أن يفقهنا في ديننا، وأن يعلمنا ما ينفعنا، وأن ينفعنا بما علمنا إنّه سميع قريب.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم.

(١) رواه مسلم في الصلاة (٤٧٦)، وأحمد (١٩١٣٧)، عن ابن أبي أوفى.



الخطبة الثانية

أيها الإخوة:

في الأسبوع الماضي نبهت على (الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية) التي نرتجئها للوقوف في وجه التيارات المعادية، التي تريد أن تقتلع الإسلام من جذوره، وأن تقضي على هذه الأمة المسلمة، وتحولها إلى ديانات أخرى باطلة. وقد سألني بعض الإخوة: أين نتبرع لهذه الهيئة؟ وللهيئة أكثر من حساب في (مصرف قطر الإسلامي)، وحسابها الأساسي هو حساب (٧٠١٧)، والأصل في هذه الهيئة أن المقصود بها أن نجمع مبلغًا كبيرًا نقدره بألف مليون دولار، كما رصد المبشرون ألف مليون دولار لتنصير المسلمين. القصد من ذلك أن نجمع هذا المبلغ من أمة الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، لنستثمره في الحلال ونصرف من عائده، نصرف من عائده لا من أصل المال، حتى لا نظل محتاجين إلى أماد لا تنتهي. هذا هو المقصود.

فيا أيها الإخوة، ساعدوا هذه الهيئة بأنفسكم، وحضوا على المساعدة فيها، فهي مسؤولية كل مسلم في هذا العصر، نسأل الله ﷻ أن يؤيدنا بروح من لدنه.

اللهم انصرنا نصرًا عزيزًا، وافتح لنا فتحًا مبيّنًا، واهدنا صراطًا مستقيمًا، وانشر علينا رحمتك، وأنزل في قلوبنا سكينتك، وهيئ لنا من أمرنا رشدًا.





تكوين الإنسان المسلم: الإيمان بالكتب

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

ما زال الحديث متّصلاً حول الإنسان المسلم، الفرد المسلم، الذي هو أساس لكل مجتمع صالح، الذي هو محور كل نهضة خيرة، الذي لا تقوم حياة اجتماعية ولا اقتصادية ولا سياسية سليمة إلاّ به، هذا الفرد لا بدّ أن نبدأ ببناءه وتكوينه من الأساس، وأساس البناء هو العقيدة السليمة، أن يعرف الإنسان ربه، ويعرف نفسه، أن يعرف مبدأه ويعرف مصيره. أوّل شيء هو الإيمان بالله تبارك وتعالى.

الركن الثاني من أركان الإيمان والعقيدة: هو الإيمان بملائكة الله وَجَلَّ، وهم أولئك المسخّرون بأمر الله وَجَلَّ، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]. هم ﴿عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦، ٢٧]. هؤلاء الملائكة الإيمان بهم جزء من عقيدة المسلم.

والركن الثالث من أركان الإيمان والعقيدة: الإيمان بكتب الله تبارك وتعالى، الإيمان بما أنزل الله من كتاب، الله تبارك وتعالى لم يدع الخلق

هملا، ولم يتركهم سدى، وإنَّما أنزل عليهم بين الحين والحين كتباً إلهية، نصوصاً سماوية، يرجع إليها النَّاس إذا اختلفوا، ويستقيمون عندها إذا انحرفوا، هذه النصوص الإلهية هي الكتب السماوية، هي البلاغات الإلهية من الخالق للخلق، هي البيانات الرسمية من السماء إلى الأرض. هذه النصوص الإلهية كتبت، ولذلك يعبر عنها أحياناً بالصُّحف أو الكتب؛ لأنَّها مكتوبة حتَّى يعرفها النَّاس معرفة دقيقة، أنزل الله كتباً تمثل النصَّ الإلهي المعصوم.

حاجة البشر للهداية إلى الحق:

فالبشر مهما أوتوا من عقل وحكمة كثيراً ما يعجزون عن أمور لا يستطيعون أن يصلوا فيها إلى الحقِّ الصراح.

بحث البشر عن الألوهية، وشرَّق الفلاسفة وغرَّبوا، ولكنَّهم جاءونا بكلام غثٍّ عن الإله، وصفات الإله، لأنَّ الإنسان عجز أن يعرف نفسه، إلى اليوم يسمون الإنسان ذلك المجهول، الإنسان جهل نفسه، فكيف يحيط معرفة بخالقه الذي خلقه فسوَّاه؟!

لهذا كان النَّاس في حاجة إلى أن يعرفوا الله معرفة صحيحة عن طريق النصِّ الإلهي، ثمَّ ماذا يُرضي الله وماذا يسخطه، لا يعرف النَّاس ذلك إلَّا عن طريق وحي من الله عَزَّ وَجَلَّ.

إنَّ النَّاس لجأوا إلى عقولهم في بعض الأزمنة وفي بعض الأمكنة، ففعلوا أفاعيل، لا يمكن أن يقرَّ بها عقل سليم، ولكن عقول البشر أقرَّتْها!

قسموا النَّاس إلى طبقات عُليا ودنيا، كما في الهند: بعضها خلق من فم الإله، وبعضها خلق من ذراع الإله، وبعضها خلق من ساق الإله،

وبعضها خلق من تحت قدمه، وكل جماعة في طبقتها لا تستطيع أن تعلموا مهما تعلمت، ومهما سلكت، ومهما تخلّقت.

هذا ما وصل إليه البشر، في كثير من العصور تعبد الأقوياء الضعفاء، وجار الأغنياء على الفقراء، وعَبَثَ الحكام بحقوق المحكومين، وقسى الرجل على المرأة. هكذا رأينا!

كان النَّاسُ في حاجة إذن إلى شيء فوقهم، سلطة أعلى منهم، وأعلم منهم، تعلّمهم ما جهلوا، وتهديهم فيما ضلّوا عنه، وثقّومهم وقد اعوجوا، السلطة الإلهية المالكة لهذا الكون، الحاكمة بأمرها، أرسلت للناس رسلاً، وأنزلت عليهم كتباً.

هذه الكتب هي النصوص الإلهية التي أنزلها الله على رسله لتحكم بين النَّاسِ فيما اختلفوا فيه، لتقيم القسط والعدل بين الخلائق، ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣]، ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]. ليقوم النَّاسُ بالعدل.

فهذا الكتاب ليس من وضع الحاكم حتّى يجور على المحكومين، ولا من وضع الأقوياء حتّى يجوروا على الضعفاء، ولا من وضع الأغنياء حتّى يقسوا على الفقراء، ولا من وضع الرّجال حتّى يظلموا النساء، ولكنه من وضع ربّ النَّاسِ، ملك النَّاسِ، إله النَّاسِ، شرع ذلك للنَّاسِ، وأنزل هذا الكتاب للنَّاسِ، على مدار التاريخ.

أنزل الله كتباً، طلب إلينا نحن المسلمين أن نؤمن بها، أن نؤمن بكل كتاب أنزله الله: ﴿وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ﴾ [الشورى: ١٥] كل الكتب.

لقد وصف الله المتقين في مطلع سورة البقرة بقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ * وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ * [البقرة: ٣، ٤] لا بدَّ من هذا الإيمان، ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ﴾ * [البقرة: ٢٨٥] هذا هو إيمان الإسلام، حلقات في سلسلة مستمرة، هدايات الله تعالى للبشر، إنه إيمان بفضل الله ورحمته وحكمته، وأنه لم يدع خلقه أبدًا، كما أرسل إليهم الرسل، أنزل إليهم هذه النصوص الإلهية: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ * [البقرة: ١٣٦] قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى الأنبياء السابقين جميعًا.

هذا ما يجب أن يكون عليه المسلم، الإيمان بأن الله أنزل كتبًا منها ما عرفناه، ومنها ما لم نعرفه، نؤمن بالإجمال أن الله أنزل كتبًا في عصور شتى على رسله، ونؤمن بما ذكره القرآن منها، مثل التوراة أنزلها على موسى، والإنجيل أنزله على عيسى، والزبور آتاه داود، والقرآن المهيمن على هذه الكتب كلها، وهو المصحح لها لأنه كلمة الله الأخيرة للبشر، نؤمن بالقرآن الكريم، بل نحن ما آمنّا بهذه الكتب إلا عن طريق هذا القرآن العظيم، إيماننا لا يتم إلا بالإيمان بكتب الله، وخاتمة هذه الكتب وهو القرآن العظيم، هذا القرآن هو آخر كتب الله تبارك وتعالى، إلى آخر رسله محمد ﷺ.

تحريف الكتب السابقة:

الكتب السابقة لم يحفظها الله تعالى من التغير والتحريف والتبديل؛ لأنها كانت كتبًا مرحلية، لقوم مخصوصين، في زمن معين، تعالج قضايا

معينة، فهي آنية في الزمان، وهي محدودة في المكان، وهي مخصوصة بأقوام، ومن هنا استحفظها الله أهلها، ولم يتولَّ هو حفظها، استحفظ التوراة أهل التوراة، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤] أي: طلب إليهم حفظها، ولكنهم فرطوا وأضاعوا وبدّلوا هذه الكتب وحرّفوها تحريفًا لفظيًا بالزيادة والنقصان، وتحريفًا معنويًا بسوء التفسير والتأويل.

وإذا قرأت كتابًا كالتوراة - أسفار العهد القديم المعروفة الخمسة، وملحقاتها - تجد العجب العجاب، تجد كتابًا يتحدث عن الله؛ وكأنه مخلوق مثلنا! إله يجهل، إله يحسد، إله يغار ويحقد، إله يعجز ويغلب، إله يصارع ويضرع، هذا ما تراه في توراتهم!

إذا تحدث هذا الكتاب عن الأنبياء وجدت رجالًا يصنعون الموبقات، يشربون الخمر ويسكرون، يزنون حتّى مع بناتهم! أهؤلاء الأنبياء القدوة؟! أهؤلاء الذين تؤخذ عنهم التعاليم؟! لا.

إذا قرأت التوراة لا تكاد ترى ذكرًا للقيامة ولا للحساب، ولا للثواب والعقاب، ولا للجنة والنار! فلماذا كان الدين إذن؟! هذه هي توراتهم، حرّفت وبدّلت، مرّت عليها عصور كتبت غير مرّة، ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

الإنجيل الإلهي الذي أنزله الله على عيسى عليه السلام لا يوجد، إنّما توجد أناجيل، جملة أناجيل بلغت نحو سبعين أو أكثر حرّق معظمها، ولم يبق إلا أناجيل أربعة، تنسب إلى متى، ولوقا، ومرقص، ويوحنا، لا توجد النسخ

الأصلية، التي كتب بها هؤلاء الكتاب أو المؤلفون سيرة المسيح ﷺ، هذه السير الكثيرة اشتملت على بعض أقوال المسيح ومواعظه، هذه الأقوال والمواعظ لا تبلغ مرتبة الأحاديث الضعيفة عندنا، لا أقول: الأحاديث الصحيحة فضلاً عن القرآن. دع القرآن الذي وصل إلينا بطريق التواتر اليقيني. لا تبلغ مرتبة الأحاديث الضعيفة؛ لأنهم ليس عندهم سند متصل.

من المعلوم ما قاله علماء الإسلام: أن الأمة الإسلامية هي التي اختصت وحدها بالإسناد^(١)، أي: حدثنا فلان، عن فلان، عن فلان، عن رسول الله ﷺ، هذا في الأحاديث العادية، أمّا القرآن فلا يكفي فيه حدثنا، وإنما ينقل بالتواتر جيلاً بعد جيل، هذه هي الأناجيل التي يتحدثون عنها، حُرِّفَت التَّوراة، وحُرِّفَت الأناجيل، حُذِفَ من الأناجيل البشارة الصريحة بمُحَمَّد ﷺ، وإن كان لا يزال في هذه وتلك: في التوراة، وفي الإنجيل دلائل إلى اليوم يعرفها الدارسون، تشير إلى نبوة مُحَمَّد ﷺ.

حفظ القرآن من كل تحريف وتبديل:

الكتاب الوحيد الذي بقي من كتب الله تعالى سالمًا من كل تحريف وتبديل هو كتابنا نحن المسلمين، هو القرآن المجيد الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿كَتَبَ أُحْكِمَتْ أَيْنَهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١].

تولَّى الله تعالى حفظه وتكفل به بنفسه، لم يكل ذلك إلينا، بل قال بصيغة التوكيد والتوثيق: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. بهذه المؤكّدات: إِنَّا نحن نزلنا الذكر، وَإِنَّا له لحافظون، وقد حفظ هذا

(١) علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٧، تحقيق نور الدين عتر، نشر دار الفكر، سوريا، ودار الفكر المعاصر، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

الكتاب بعد أربعة عشر قرناً أو يزيد، منذ نزوله إلى اليوم، لم تتغير فيه سورة، أو آية، أو كلمة من آية.

هناك مائة وثلاث عشرة سورة بُدئت بالبسملة، وسورة واحدة لم تبدأ بالبسملة: سورة التوبة، هل تجرأ أحد أن يقول: لنلحق هذه السورة بالسور الأخرى، ويضع فيها بسملة لتساوي السور؟ لا.

المحافظة على الرسم العثماني:

حتى كتابة هذا المصحف، منذ كُتب في عهد عثمان رضي الله عنه : بقي برسمه إلى اليوم، زيد فيه النُّقْطُ والشكل، ولكنَّ طريقة الرسم، وطريقة الكتابة بقيت كما هي، الصلاة تكتب: (الصلوة) الربا تكتب (الربوا)، وهكذا نقبلها كما هي، ولا يزال المسلمون متمسكين بهذا الرسم؛ رغم تغير طرق الإملاء، حتَّى لا يعبث عابث، أو يجترئ مجترئ، من القرب والمساس بهذا المصحف المقدس.

القرآن حفظه الله مكتوباً كما رأينا، مسموعاً.. حتَّى طريقة السماع كيف نقرأه؟ كيف نرتله ترتيلاً؟ كيف نمد؟ كيف نغن؟ كيف تنطق النون إذا كانت ساكنة؟ كيف تقرأ إذا كانت مشددة، كيف... كيف... إلى آخره، هكذا يقرأ القرآن بغنّه ومدّه، لا يستطيع أحد أن يغيّر أو يبدّل في شيء من ذلك.

القرآن في قراءته يتلقاه واحد عن واحد، وجيلاً عن جيل من القراء، حتَّى يصلوا إلى أصحاب رسول الله ﷺ ، إلى رسول الله ﷺ ، إلى جبريل الروح الأمين، إلى ربِّ العزة جلّ جلاله رب العالمين.

هذا قرآننا كما أنّه محفوظٌ في السطور، لا يزال محفوظاً أيضاً في الصدور، القرآن الكريم يحفظه الآلاف، بل مئات الآلاف من المسلمين،

حتّى الصبيان، صبيان المسلمين في الكتاتيب يحفظون هذا القرآن، هاتوا لي أعظم الكرادلة والقسس مَنْ منهم يحفظ الكتاب المقدس عندهم؟ بل من منهم يحفظ إنجيلًا واحدًا؟! ولكن صبياننا يحفظون القرآن الكريم.

حتى من غير العرب، رأينا والله من غير العرب وامتحنت بنفسي أناسًا في مسابقة القرآن هنا في قطر، امتحنت أناسًا أسألهم في دقائق القرآن وأوسطه، وفي (الحواميم) و(الطواسيم)؛ فلا يخرم أحدهم حرفًا، لا يخطئ في كلمة، كأنه مسجل.. استوعب القرآن كله! وقد سألت أحدهم: ما اسمك؟ لم يفهم عني، لم يفهم العربيّة، إنّه لم يعرف شيئًا في العربيّة، ومع ذلك حفظ القرآن فقط! رأيناهم في باكستان، وفي الهند، وفي بنجلادش، وفي تركيا، وفي أفريقيا، وفي كثير من البلدان بالألوف يحفظون القرآن الكريم.

وجدت صبيًا في مدينة دكا في بنجلادش - ابن تسع سنوات - يحفظ القرآن كما أنزل، اختبرته في المتشابهات في القرآن؛ فلم يخطئ مرّة واحدة، وهو يتعلم القرآن في مدرسة يجلسون فيها على التراب، ليس على البلاط ولا على الخشب! هذا هو القرآن الكريم.

من مزايا القرآن أنّه كتاب محفوظ، كتاب الخلود، إنّه لم يأتِ لمرحلة زمنية يأتي بعده كتاب آخر ينسخه؛ بل هو نسخ كلّ الكتب، وهيمن على كلّ الكتب، فهو كلمات الله الخاتمة، ولهذا تولى الله حفظه، لأنّه لو بُدِّل هذا الكتاب وغيّر؛ فمن يهدي النّاس بعد ذلك؟!

من مزايا القرآن وخصائصه: أنّه كتاب محفوظ لم يتبدّل يومًا، ولن يتبدّل يومًا أبدًا.

كتاب الهداية الكامل:

ومن مزايا هذا القرآن: أنه كتاب الهداية الكامل، بين الله فيه كل الأصول التي يحتاج إليها البشر، كل الأصول التي يحتاج إليها البشر ليسعدوا في دنياهم وآخرتهم، فهو تبيان لكل شيء، من رب كل شيء؛ كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]. كل ما يحتاج إليه الناس ليسعدوا يدل عليه القرآن ويرشد إليه ويهديهم إلى طريقه.

ليس معنى هذا أن القرآن يذكر التفصيلات، لا، كتب الله هي دساتير إلهية، تحوي المبادئ والأصول الكلية، والأسس التي لا بد منها، تحمل المفاتيح التي تفتح بها المغلقات، تحمل المصابيح التي تهدي الناس في دياجير الظلمات، القرآن هو هذا الكتاب الهادي، كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: لو ضاع مني عقل بعير؛ لوجدته في كتاب الله ^(١).

إن كتاب الله يرشد إلى كل شيء، يرشد أهل الذكر وأهل الاختصاص في كل مسألة ﴿فَسْأَلْ بِهِ خَيْرًا﴾ [الفرقان: ٥٩]، ﴿وَلَا يَنْبُئُكَ مِثْلُ خَيْرٍ﴾ [فاطر: ١٤]، ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

كتاب مُيسَّر:

من خصائص هذا القرآن: أنه كتاب مُيسَّر، مُيسَّر للذكر وللهم، ليس ألغازًا ولا أحاجي كألغاز الفلاسفة، يقرأه المتعلم والأمي، يقرأه من كان قمة في الثقافة فيمتلئ به عقله وقلبه، ويقرأه الإنسان العادي فيأخذ منه

(١) الإتيان في علوم القرآن (٣١، ٣٠/٤)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

بقدر ما يسع واديه ﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا ﴾ [الرعد: ١٧]، كلُّ مُيسَّرٍ للأخذ من هذا المنهل العظيم، ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ [القمر: ١٧]، ﴿ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [الدخان: ٥٨].

فهو كتاب مبين: مبين في نفسه، مبين لغيره؛ ولذلك سمّاه الله نوراً: ﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَنٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ [النساء: ١٧٤]. لذلك كان كتاب هداية للناس أجمعين: ﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ [إبراهيم: ١]، ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

كتاب معجز:

من خصائص هذا القرآن أنه كتاب معجز؛ لأنه هو الآية الكبرى، والمعجزة العظمى لمحمد ﷺ، أيّد الله موسى بالعصا يلقيها فتقلب حية تسعى، وباليد يدخلها في جيبه فتخرج بيضاء من غير سوء، وأيّد عيسى بإبراء الأكمه والأبرص، وإحياء الموتى بإذن الله، ولكن معجزة محمد ﷺ كانت غير هذه الآيات، هذه الآيات الحسّية لا يؤمن بها إلا من شهداها، أمّا من عاش بعدها فكيف يعرفها وكيف يؤمن بها؟!

ولكن القرآن كان آية عقلية أدبية معنوية، باقية إلى يوم الدين، ولهذا كان معجزة مستمرة، يتحدّى الناس إلى اليوم بما فيه من هداية، وما فيه من إصلاح، وما فيه من تذكير وما فيه من بيان، وما فيه من إشارات علمية، وما فيه، وما فيه؛ فهو كتاب الله المعجز، الذي أعجز العرب أن

يأتوا بمثله، أو بعشر سور مثله، أو بسورة من مثله، وصدقت كلمة الله: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]. ولا زال التحدي به مستمرًا، ولا زال إعجازه باقيا، ولا زالت العقول المؤمنة إلى اليوم: تكتشف فيه جوانب جديدة للإعجاز تظهر للبشر.

إنه كلمة الخالق للخلق، كلمة الله إلى الناس، القرآن العظيم الذي يهدي للتي هي أقوم، ويبشر المؤمنين.

وجوب الإيمان بجميع الكتب:

علينا أيها الأخوة أن نؤمن بكتب الله تعالى جميعًا، ونؤمن بالكتاب الخاتم المهيمن: القرآن العظيم؛ بل نحن ما آمنّا بتلك الكتب؛ إلا لأن القرآن ذكرها، نؤمن بأصلها السماوي، ولكن لا نتبعها بعد أن حُرِّفَتْ وبُذِّلَتْ، فالقرآن حوى ما في هذه الكتب، وزاد عليها وصحَّحها وتممها؛ لأنّه - كما قلت - يمثل الهداية الأخيرة، يمثل كلمات الله إلى البشرية بعد أن بلغت رشدًا، ووصلت إلى ما وصلت إليه.

لا يصح إيماننا إلا بالإيمان بكتب الله جميعًا، وعلى رأسها القرآن الكريم، لا بدّ أن نؤمن بالقرآن كله، لو أنّ إنسانًا جحد سورة من قصار السور: سورة الإخلاص، أو المعوذتين، أو إحداهما، أو الكوثر، لكان كافرًا؛ بل لو أنكر آية واحدة من القرآن بأنها ليست من عند الله، لكان كافرًا بإجماع المسلمين.

لو قال: إنّ هذا القرآن محرّف أو أنّ محمدًا ﷺ أضاع شيئًا منه، لكان كافرًا لأنّه بلغ ما أنزل إليه من ربه، ولم يكتم شيئًا فيه أبدًا، ما كتم ﷺ

شيئاً ممّا أوحاه الله إليه. تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: من زعم أنّ النبي صلى الله عليه وسلم كتم شيئاً ممّا أوحاه الله إليه فقد أعظم الفرية، ولو كان كاتماً شيئاً لكتم هذه الآيات: ﴿وَنُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ ^(١) [الأحزاب: ٣٧]، ﴿يَتَأْتِيَ النَّبِيَّ لِمَ تَحْرُمَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْلَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التحریم: ١]، ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذْنَتْ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَذِبِينَ﴾ [التوبة: ٤٣]، ﴿عَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ [عبس: ١، ٢] إلى آخر هذه الآيات، التي تعاتب محمداً صلى الله عليه وسلم، لم يكتم منها شيئاً، وهذا من أبرز الدلائل على أن هذا الكلام ليس من صنع محمد، إنّه يُخاطَبُ خطاب العبد المأمور المنهي، الذي يُلام ويُعاتب ممّن هو أعلى منه؛ لأنّ الذي يخاطبه هو ربه ومولاه.

نحن وحدنا عندنا الكتاب الذي لا يضلُّ ولا يتغيّر ولا يتبدّل، عندنا منهاج الهداية الإلهية، عندنا هذا المنهاج الشامل الذي لم تعرف البشرية مثله في كتاب دين أو كتاب دنيا، إنّه القرآن الكريم، إنّه كتاب الله الذي أحكمت آياته، ثمّ فصّلت من لدن حكيم خبير، فمن اتّبع هذا الكتاب وآمن به، كانت له السعادة في الدنيا والآخرة، ومن أعرض عنه فإن له عذاب الدنيا وعذاب الآخرة؛ كما قال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى * قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى * وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٧].

(١) رواه مسلم في الإيمان (١٧٧)، وأحمد (٢٦٠٤١).



نسأل الله تبارك وتعالى أن يفقّهنّا في ديننا، وأن ينير بصائرنا، وأن يجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وذهاب همومنا وأحزاننا، وأن يجعله شفيعاً لنا يوم العرض عليه، اللهم آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *





تكوين الإنسان المسلم: الإيمان بالرُّسُل

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْأَخُوَّةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زال حديثنا موصولاً حول تكوين الإنسان المسلم، الفرد الصَّالح الذي هو أساس المجتمع الصالح، وإنَّما ينشأ هذا الفرد ويتكوَّن هذا الإنسان؛ بداية بتكوين العقيدة السليمة، أن يكون تصوُّره صحيحاً عن هذا الكون، عن هذا الوجود الذي نعيش فيه، لا بدَّ أن يكون إيمانه صحيحاً، لا بدَّ أن تتكوَّن عنده عقيدة ربَّانية سليمة، هذه العقيدة كما صَوَّرَهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ، وصورتها السنة الصحيحة هي: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقدر: خيره، وشره.

تحدَّثنا عن الإيمان بالله تبارك وتعالى، وهو أصلُ الأصول، وتحدَّثنا عن الإيمان بالملائكة، وهم نَقْلَةُ وَحْيِ اللَّهِ تَعَالَى، والقائمون بأمر الله في هذا الكون، والموكَّلون بما وكلهم الله تعالى به من وظائف تتعلق بهذا الخلق: علويه، وسفليه.

وتحدَّثنا عن الكتب التي أنزلها الله تعالى على من شاء من أنبيائه، ليَهْدِيَ بِهَا مِنَ الضَّلَالِ، ويخرج بها النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ،

ولتكون النصوص الإلهية المعصومة، التي يرجع إليها الناس إذا اختلفوا، ويستقيمون عندها إذا انحرفوا، وتحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، ﴿وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اَخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [البقرة: ٢١٣].

واليوم نتحدث عن ركن آخر من أركان العقيدة، متمم للركن السابق، هو: الإيمان برسلك الله تبارك وتعالى.

كما علينا أن نؤمن بالله وعجل خلق الكون، وبارئ الإنسان، وواهب الحياة، وعلينا أن نؤمن كذلك بهؤلاء الجنود المبعوثين في هذا الكون، وهم ملائكة الله، وكما علينا أن نؤمن بكتب الله تعالى المنزلة على رسله، علينا بعد ذلك أن نؤمن برسلك الله تعالى وأنبيائه.

من هم الرسل والأنبياء؟

إنهم بشر من الناس، ليسوا ملائكة، فلم يكن من الحكمة أن يبعث الله إلى الناس قومًا من غير جنسهم، لا بد أن يكونوا من جنس البشر، حتى يأمنوا بهم، ويستطيعوا أن يفهموا عنهم، ويأخذوا منهم، ويقتدوا بهم، فهم يأكلون كما يأكل الناس، ويشربون كما يشربون، ويعيشون كما يعيشون، فمن هنا يمكن التلقي والأخذ والاقتداء. أرسل الله الرسل بشرًا ولم يجعلهم ملائكة، كما أراد بعض الناس، وكما تصور بعض الناس أن ينزل الله عليهم ملائكة، ﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبْعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا﴾ ﴿قُلْ لَوْ كُنَّا فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا﴾ [الإسراء: ٩٤، ٩٥]. ولكن ما دام في الأرض بشر؛ فلا بد أن ينزل عليهم رسل من جنسهم من أنفسهم.



الرسل رجال:

هكذا بعث الله الرُّسل بشرًا، وبعثهم رجالًا، بعثهم من الرجال حتَّى يتحمَّلوا المشاق، لم يبعث الله الأنبياء من النساء، وليس ذلك لنقص عنصر المرأة عن عنصر الرجل، ولكن لأنَّ مهمَّة الأنبياء مهمَّة شاقَّة، مهمَّة لا يتحمَّلها إلَّا أصحاب العزائم، مهمَّة تقتضي مكابدة ومعاناة، وتقتضي الصبر على الإيذاء، والصبر على العذاب، لهذا اختار الله الأنبياء والرسل بشرًا رجالًا.

الرسل أفضل النَّاس وأزكاهم نفسا:

اختارهم الله تعالى من خيرة خلقه، اصطفاهم من أفضل النَّاس عنصرًا، من أصفاهم معدنًا، من أزكاهم نفسًا، من أرفعهم نسبًا، من أكرمهم أخلاقًا، حتَّى يكونوا موضع القدوة، وحتى يمكن أن يأتسي النَّاس بهم، وحتى لا يتجرأ عليهم مجترئ، فيتهمهم بأنهم كانوا كذا وكذا في شبابهم أو في صباهم!

أنواع الهدايات:

هؤلاء الرسل اختارهم الله تعالى لينزل عليهم وحيًا، لا بدَّ من وحي إلهي للنَّاس، لا بدَّ من كلمة سماويَّة، لا بدَّ من هداية ربانيَّة.

إنَّ الله تعالى أعطى النَّاس هدايات شتى متدرجة ومرتبة.

هناك هداية الغريزة، الغريزة التي تهدي الحيوان، وتهدي الطير، وتهدي الحشرات إلى بقائها وغذائها وما فيه نماؤها، هداية الغريزة كما قيل لبعضهم: متى عقلت؟ فقال: عقلت منذ ولدت، جعت فالتقمت الثدي، وتألّمت فبكيت، هذه هي الغريزة، هداية الغريزة: هي نوع من

الهداية العامة التي أعطاه الله تعالى لكل شيء في هذا الوجود، ﴿الَّذِي
أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠] ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ٣].

ثمَّ هناك بعد هداية الغريزة: هداية الحواس، الله تعالى أعطانا أعينًا
بها نُبْصِرُ، وآذانًا بها نسمع، وأنوفًا بها نشمُّ، وأذواقًا بها نُحِسُّ، وجلودًا
بها نلمس. الحواس الخمس الظاهرة، وهناك حواس باطنة، هذه
الحواس هي مفاتيحنا، وهي نوافذنا التي نُطلُّ منها على الوجود المادي
من حولنا، ولكن الوجود ليس كله ماديًا، هناك معنويات، هناك أمور
عقلية، هناك أمور تحتاج إلى تفكير، وإلى مقدمات ونتائج، فلا بدَّ من
شيء فوق هذه الحواس التي أوتيتها الحيوان، ولهذا ميّز الله هذا
المخلوق المكرم فأثاه العقل، العقل الذي به يفكر ويُرجّح، ويميّز
الصواب من الخطأ.

والحواس نفسها غير مأمونة ولا مضمونة، حتّى المُحَسَّات
والماديات، أقوى الحواس هي هذه الحاسة الباصرة، حاسة العين، التي
بها نشاهد ما حولنا، ومع هذا فإن العين قد تخطئ، قد ترى السراب
فتظنه ماءً، حتّى إذا جاءه من رآه لم يجده شيئًا، قد ترى الظل ساكنًا،
وهو يتحرك ببطء وأنت لا تدري!!

هداية العقل:

الحواس قد تخطئ؛ لهذا كان لا بدَّ من شيء يُحْتَكَمُ إليه فوق الحواس،
وهو العقل، العقل هو الذي يكتشف خطأ الحواس، ويرى السراب ليس
ماءً، إنّما هو شيء من انعكاس الأشعة على الأرض إلى غير ذلك، وأنَّ
الظل ليس ساكنًا وإنّما يتحرك ببطء، يظهر ذلك بعد فترة من الزمن.

ولكن العقل نفسه الذي آتاه الله الإنسان ليس معصوماً، العقل له حدود كما أنَّ الحواس لها حدود، أنت تبصر إلى مدى معيّن ثمّ يتوقف بصرك، مهما كنت حادّ البصر، ثمّ هناك حواجز تحول دون بصرك، لا تستطيع أن تخترق الجدر فتعرف ما وراءها، تستطيع أن تسمع إلى مدى معيّن، ولكن سمعك محدود، كذلك العقل.

العقل الإنساني محدود بحدود البيئة، بحدود المكان والزمان، بحدود الثقافة التي يتلقاها الإنسان، ولهذا نرى العقول الإسلامية تختلف فيما بينها، تختلف فيما بينها من بلد لبلد، ومن عصر إلى عصر، بل إنّ الشخص نفسه يختلف تفكيره من وقت إلى وقت، ومن حال إلى حال، تفكيره في الشيخوخة غير تفكيره في الشباب، تفكيره في زمن الرخاء غير تفكيره في زمن الشدّة، تفكيره في الصحة غير تفكيره في المرض.

رأينا كتّاباً وفلاسفة، ورأينا أدباء ومفكرين، كانت لهم في شبابهم أفكار وآراء ومفاهيم، ألفوا فيها كتباً، وأضلوا الآلاف والملايين من الناس، ثمّ بعد مدة من الزمن يكتبون كتباً تنقض الكتب الأخرى، يقولون: تبنا عمّا كنا فيه، كنّا ضالين فاهتدينا، مخطئين فأصبنا الآن، عرفنا الصواب!

من يأمّن الإنسان إذن؟ من يأمّن العقل الإنساني، وخصوصاً في الأمور الكبيرة، في القضايا المصيرية، كيف يؤخذ عن الإنسان غير المعصوم؟ قضايا الوجود الكبرى، قضايا الحق والخير والجمال، القيم العليا.. كيف أخذها من إنسان يتغيّر من حين إلى حين؟! عقل الإنسان غير مضمون، كم رأينا من أمم ضلّت بسبب اتباع عقولها وحدها، سفكوا الدماء، قتلوا الأبناء، رأينا العرب يئدون البنات، ويقتلون أولادهم وفلذات أكبادهم من إملاق أو خشية إملاق!

الإنسان إذا ترك لعقله وحده لا يؤمن أن يضل، ثم هناك أشياء لا يستطيع العقل أن يُفتي فيها وحده، العقل لا يستطيع أن يُفتي فيما وراء المادة، فيما وراء الطبيعة، في أمور الغيب.

العقل هنا قاصر قصور النظر عما وراء هذا الجدار، إنه قد يقول فيها بالظن والتخمين، ولكن رأيه ليس يقيناً، ولذلك رأينا الفلاسفة في الإلهيات وفي هذه الأمور الغيبية: يخطون خبط العشواء في الليلة الظلماء، رأيناهم لا يتفقون على شيء، ولا يصلون إلى حقيقة سليمة.

الفلاسفة اختلفوا فيما بينهم، ولا يستطيع الإنسان أن يأخذ هذه الحقائق العليا عن هؤلاء الفلاسفة، الذين هم عباقرة الأمم، ونوابغ الشعوب. نقرأ الفلسفة، ونجد الفلسفة الشرقية غير الفلسفة الغربية، فلسفة المصريين غير فلسفة الهند والصين، وفلسفة الإغريق واليونان غير هؤلاء جميعاً، والفلاسفة الكبار في اليونان يناقض بعضهم بعضاً، سقراط ردّ على الفلاسفة الذين قبله جميعاً، وجاء تلميذه أفلاطون فردّ على سقراط، وجاء أرسطو تلميذ أفلاطون فقال: الحق صديق وأفلاطون صديق، ولكن الحق أصدق منه، وردّ على أستاذه. وجاء من ردّ على هؤلاء جميعاً!

وفي عصرنا نرى الفلسفة، كما قال شيخنا الدكتور عبد الحلیم محمود أستاذ الفلسفة: إنّ الفلسفة لا رأي لها؛ لأنّها ترى الشيء وضده، والرأي ونقيضه، فكيف نأخذ عنها حقاً أو قيمة؟! هذا هو الواقع، من قرأ كتب هؤلاء العباقرة يرى فيها العجب، نراهم مختلفين في كل شيء، هذا مادي وهذا روحي، هذا يؤمن بالثبات وهذا يؤمن بالتحول، هذا مثاليّ وهذا واقعيّ، هذا يُثبت ما وراء المادة وهذا لا يُقرُّ إلاّ بالمادة وحدها، هذا كذا وهذا كذا، هذا فرديّ وهذا اجتماعي، كيف نأخذ عن هؤلاء؟!

هداية الوحي:

لهذا كان النَّاس في حاجة إلى هداية أعلى من هداية البشر، أعلى من هذا العقل، الَّذِي يختلف باختلاف البيئات وباختلاف الأزمان، وباختلاف الأشخاص، بل باختلاف الشخص نفسه، نحن في حاجة إلى هداية مضمونة مأمونة، لهذا لم يدع الله النَّاس هملاً، ولم يتركهم سُدىً، فأرسل إليهم رسلاً مبشرين ومنذرين ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

كان النَّاس في حاجة إلى هداية الوحي الإلهي، وهذا أمر طبيعي لمن يعقل عن الله ﷻ، من آمن بعظمة هذا الإله العظيم الخالق المدبّر، وآمن برحمته وحكمته، وآمن بتدبيره لهذا الكون، يعلم أنّه لم يكن لترك النَّاس فوضى، ولم يكن لترك الحياة عبثاً، إنّ الَّذِي غَدَّاهم ممّا نبت من الأرض، ولم يدعهم يموتون جوعاً، هو الَّذِي أنزل عليهم الوحي من السماء ولم يدعهم يهلكون ضلالاً، أرسل إليهم الرُّسل، وأنزل عليهم الوحي.

ليس هناك مبرّر لإنكار الماديين الجاحدين الوحي من الله ﷻ، لماذا يُنكرون أن يُوحِيَ الله إلى بعض عباده ما يريد أن يوصله إلى خلقه؟! إنهم بذلك ينكرون قدرة الله تعالى شأنه، على إيصال ما يريد من علم وهدى إلى بعض عباده، كأنهم يتَّهمون الله بالعجز!

الله ليس عاجزاً عن أن يُوصِّل ما يريد من هداية إلى بعض خلقه بغير الطرق المعروفة، إنّ النَّاس الآن اكتشفوا طرقاً لتوصيل المعلومات، غير الطرق المعروفة والمعتادة والموروثة، أصبح الإنسان يتصل بآخر في أماكن بعيدة في الأرض، وبينهما آلاف الأميال، عن طريق الهاتف أو الفاكس أو التلكس أو غير ذلك، الإنسان استطاع أن يتَّصل بغيره بوسائل

جديدة، أفلا يقدر الله تعالى الخالق الأعظم أن يتصل ببعض خلقه بغير الوسائل التي يعرفها الناس؟!

إنَّ الله تعالى ليس عاجزاً أن يُوصِّلَ ما يريد إلى من شاء من خلقه، وأن يُسمعهم ما يريد من كلامه.

وهؤلاء الذين ينكرون قدرة الله يُنكرون كذلك قدرة الإنسان، ينكرون القدرة الروحية عند الإنسان، إنَّ الله تعالى زوَّدَ هذا الإنسان - هذا الكائن الذي استخلفه في الأرض - بمواهب وقدرات عجيبة، ظهر منها ما ظهر، ولا زال هناك الكامن في مواهب هذا الإنسان.

هذا الإنسان عنده من أجهزة الاستقبال الخفية ما لم يعرفه البشر، ولا عجب أن يكون في بعض بني الإنسان قدرة على الاتصال بهذا العالم الغيبي، على الاتصال بهؤلاء الملائكة المبلغين عن الله ﷻ، الإنسان قادرٌ على التَّلَقِّي، والله تعالى قادرٌ على الإيصال، فلا عجب أن تتَّصل الأرض بالسماء، ويتَّصل المخلوق بالخالق، عن طريق هذا الوحي الإلهي، هذا الوحي الإلهي الذي تمثل في رسالة المرسلين منذ أرسل الله رسلاً.

إرسال الرسل مبشرين ومنذرين:

هل أوَّل الرسل آدم ﷺ كما يقول بعض العلماء، أم أوَّل الرسل هو نوح ﷺ كما يقول آخرون؟ لا يهمنا هذا الأمر الذي جادل فيه المجادلون، واختلف فيه المختلفون. حسبنا أن نؤمن أن الله أرسل رسله مبشرين ومنذرين؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] حَتَّى لا يقول الناس يوم القيامة: يا رب لم تبين لنا الهدى من الضلال، لم يجرئ إلينا من عندك من يُعرِّفنا

الطريق، ويهدينا الصراط المستقيم، ويخرجنا من الظلمات إلى النور، ستسقط هذه الحجة ولا يوجد عذرٌ لأحدٍ، ما دام الله سبحانه قد تفضلَ على عباده فأرسل إليهم رسلاً مبليّغين عنه.

أهمية النموذج العملي:

أرسل الله الرسل مبشرين ومنذرين، وأرسلهم كذلك معلّمين ومربين، فالرسل ليسوا كالفلاسفة وغيرهم، ليسوا مجرد أناس نظريين يقرّرون الحقائق، ويقومون بالبراهين عليها، ويدعون الناس في شأنهم، لا، إنهم معلّمون، إنهم مربّون، إنّ مهمة كلّ منهم أن يُنشئ جيلاً يتلقى على يديه هدى الله وَحْيَهُ، ويتذوّقه، ويعمل به، ولهذا أرسل الله الرسل بشرًا، ولم يجعلهم ملائكة؛ ليأخذ الناس عنهم، الناس لا يتعلمون من مجرد الكتب! كان من الممكن أن يرسل الله كتبًا، ويقول للناس: اقرؤوها، ولكن الكتاب لا بدّ أن يتمثّل في حياة بشر، يراه الناس فيأخذون عنه، لهذا كانت ضرورة النموذج العملي، النموذج الذي يحتذيه الناس، النبي الرسول هو هذا النموذج، النموذج الأخلاقي، النموذج العملي، الذي يراه الناس فيقتدون به.

عصمة الرسل:

الرسل نماذج بشرية رفيعة المستوى، عالية المقام، أودعها الله مكارم الأخلاق لتقود الناس إلى الحق والخير، هؤلاء هم الرسل الأكرمون، خيرة الله من خلقه، وصفوته من عباده، ولهذا ضمن الله لهم العصمة، فلا يرتكبون كبيرة ولا صغيرة، قد يخطئون في بعض الأشياء، ولكن الوحي يصحّح لهم، الأنبياء بشرٌ عصمهم الله تعالى من ارتكاب الخطايا، وهذه ميزة العقيدة الإسلامية.

إن من يقرأ كتاب اليهود: التوراة وملحقاتها، من يقرأ الكتاب المقدس عند النصارى، من يقرأ هذه الكتب يخرج للأسف بصورة معتمة، صورة حالكة السواد عمن نعتقد نحن أنهم أنبياء الله ورسله، إن نبياً يزني بابنتيه، وإن آخر يشرب الخمر، وإن هذا يأخذ امرأة جاره، بعد أن تحايل على قتله بطريقة من الطرق!!

من قرأ طريقة داود وسليمان رأى العجب! داود الذي ذكره القرآن بأعظم الصفات: ﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ * إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعِشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ * وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ * وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَءَاتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴿ [ص: ١٧ - ٢٠]. والذي قال فيه النبي ﷺ: «أحب الصيام إلى الله صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود»^(١) من قرأ سيرة داود في التوراة رأى فيها العجب، رأى الأنبياء ينزلون إلى المستوى العادي أو دون المستوى العادي من الناس، يجرون وراء الشهوات، ويرتكبون الموبقات، كيف يقتدي الناس بهؤلاء؟ كيف يكونون موضع الأسوة؟!

جاء الإسلام فرسم صورة مضيئة لرسول الله تبارك وتعالى، رسم هذه الصورة لهم، وضمن لهم العصمة، فنحن نعتقد بعصمة الأنبياء، وخصوصاً فيما يبلغون عن الله ﷻ، نحن مأمورون بالاعتداء بهم، فكيف نقتدي بهم في هذه الخصال المهلكة؟! كيف نقتدي بهم في هذه الدنيا من الأمور؟!!

إن بعض المؤمنين يعف عن الشهوات، ويدع الحرام وهو قادر عليه، ويقول: معاذ الله، فكيف يرتكب الأنبياء هذه الأشياء؟!!

(١) متفق عليه: رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٤٢٠)، ومسلم في الصيام (١١٥٩)، عن عبد الله بن عمرو.



إننا نحن المسلمين نؤمن برسُل الله كافّة، جميع رسل الله، ونؤمن بعصمتهم ونزاهتهم وأمانتهم، فيما يبلغون عن ربهم، نؤمن بكل رسول أرسله الله، ولا يصح إيماننا إلّا بهذا، وهذا من مزايا العقيدة الإسلامية، أنّها تبني ولا تهدم، وتجمع ولا تفرق، فهي توجب علينا الإيمان بكل كتاب أنزل، وبكل نبي أرسل، ﴿ءَاْمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاْمَنَ بِاللّٰهِ وَمَلٰئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥] ما دام هذا الرسول قد جاء من عند الله وعجل؛ فلا بدّ أن نؤمن به، الرسل هم سفراء الله تعالى إلى خلقه، سفراء السماء إلى الأرض، مندوبو الخالق إلى الخلق.

* * *





تكوين الإنسان المسلم: الإيمان بخاتم الأنبياء (١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زال حديثنا موصولاً حول تكوين الإنسان المسلم، والعضو الصالح في المجتمع الصالح، الفرد الذي هو أساس كل عمل إصلاحي، ولا تصلح الحياة الاجتماعية إلا بصلاحه.

ولا يصلح الإنسان إلا إذا صلح داخله، وصلحت نفسه؛ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴿١١﴾ [الرعد: ١١]. وإنَّما تصلح الأفراد وتصلح الأنفس أول ما تصلح بصلاح العقيدة والتصور. أصلح عقيدة الإنسان قبل كل شيء يصلح عمله، ويصلح ضميره، وتصلح حياته كلها. ولهذا غُني الإسلام أول ما غني بتكوين العقيدة السليمة، العقيدة في الله، العقيدة في ملائكته، وفي كتبه، وفي رسله، وفي اليوم الآخر.

ختم الرسالات بمحمد ﷺ:

وقد تحدثنا عن الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالملائكة، والإيمان بالكتب، والإيمان بالرسول، ووقفنا عند الإيمان بخاتم الرسل وسيدهم

وصفوتهم محمد ﷺ، الذي ختم الله به النبوات والرسالات، فلا رسول بعده، ولا نبي بعده، هو اللبنة الأخيرة في بنيان النبوات جميعاً، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. «أنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي»^(١).

وهذا ما صدقه الزمن أعظم تصديق، فلم تظهر نبوة في هذه المئات من السنين، إلا نبوات كاذبة زائفة، مثل مسيلمة الكذاب، ومن قام في عصر النبوة وعصر الخلافة الراشدة، وكما رأينا نبوات مؤخرًا صنعها الاستعمار، أو أيدها وغذاها، كالقاديانية في الهند، والبابية والبهاية في إيران، وكلها نبوات زائفة!

رسالة العموم والخلود والشمول:

محمد ﷺ هو صاحب النبوة الخاتمة، وهو صاحب الرسالة التي تميزت بالعموم والخلود والشمول، «إنها الرسالة التي امتدت طولاً حتى شملت آباد الزمن، وامتدت عرضاً حتى انتظمت آفاق الأمم، وامتدت عمقاً حتى استوعبت شؤون الدنيا والآخرة»^(٢). وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩].

هذه الرسالة العامة الخالدة الشاملة، أقام الله عليها من الدلائل والبراهين ما يكافئ عمومها وخلودها وشمولها، وقد تحدثنا عن بعض

(١) متفق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٣٢) مختصراً، ومسلم في الفضائل (٢٣٥٤)، عن جبير بن مطعم.

(٢) مقال من وحي حراء، جريدة الإخوان المسلمون اليومية ص١، السنة الأولى، العدد (١٦٨)، بتاريخ ٢٧ ذو الحجة ١٣٦٥هـ - ٢١ نوفمبر ١٩٤٦م.

من هذه البراهين، وبعض من هذه الأدلة، تحدثنا عن الآيات الحسّية، وعن الخوارق الكونية التي أظهرها الله على يد رسوله ﷺ، وإنّها لكثيرة كبيرة، أكبر ممّا ظهر على يد أي نبي، ومع هذا لم يتحدّ بها النبي ﷺ. لم يقل للناس اتّوا بمثل هذه الآيات والمعجزات، لم يقل لهم هذا، لأن آيته التي تحدّى بها كانت آية عقلية علمية أدبيّة، هي القرآن الكريم، وهي أعظم آياته ﷺ. هي الآية الباقية الخالدة، ما ظهر على أيدي الأنبياء من آيات كونية وخوارق حسّية آمن بها من رآها، من رأى هذه الآيات، أمّا من لم يرها، فكيف يؤمن بشيء لم يره؟ لقد انتهى زمنه، ونحن المسلمين إنّما نؤمن بها؛ لأنّ القرآن أخبرنا بها.

القرآن معجزة دائمة باقية:

ولكن ميزة المعجزة المحمّدية والآية المحمّدية: أنّها معجزة دائمة ما دامت السماوات والأرض، باقية ما بقي الليل والنهار: القرآن، الذي لا زال يتحدّى إلى اليوم، لا زال القرآن باقيا، يقول للناس: هل منكم من يستطيع أن يأتي بقرآن مثل هذا القرآن؟ بما فيه من هداية، وما فيه من تشريع، وما فيه من إصلاح للبشر، وما فيه من نبوءات، وما فيه من خوارق علمية، وهو ما سموه الآن: الإعجاز العلمي للقرآن. والإعجاز أنواع وألوان في هذا القرآن - وقد تحدثنا عنه في خطبة سابقة - وهو الآية الكبرى لمحمد ﷺ.

أظهر الله الآيات الكثيرة والأدلة الوفيرة على صدق نبوة رسوله محمّد ﷺ: الآيات الحسّية وهي كثيرة، والنبوءات الغيبية، منها ما حدث في زمنه، ومنها ما حدث بعد زمنه، وما يحدث إلى اليوم ممّا تنبأ به ﷺ.

تأييد الله تعالى لنبيه:

تأييد الله تعالى لرسوله ﷺ، هذا دليل أن الله ﷻ شهد له، ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الرعد: ٤٣]. كيف تكون شهادة الله لرسوله؟ بالتأييد والنصر، رغم قلة من معه، وكثرة من عليه.

كان رسول الله ﷺ جديرًا أن ينهزم أمام أعدائه لو نظرنا للأمور بالمقاييس المادية وحدها، من الذي آمن به في أول الأمر؟ امرأة كبيرة في السن هي خديجة، وشاب صغير مثل علي، وشيخ مثل أبي بكر، وعبد مثل بلال، ومولى مثل زيد بن حارثة. كل هؤلاء ضعفاء لا حول لهم ولا طول، ولكن الله ثبته وأيده، أيده رغم قلة العدد وضعف العدد، وقلة المال، وقلة الأنصار. في وقت من الأوقات قال النبي ﷺ لأصحابه: «لقد رمتكم العرب عن قوس واحدة»^(١). ومع هذا أيده الله.

تأييد الله له في بدر:

أيده الله في بدر، وكان عدد أصحابه ثلاثمائة وبضعة عشر، وعدد خصومه ألفًا، كان معه فرسان وفارسان، وكان أولئك معهم مائة فارس، والفارس في ذلك العصر كالدبابة أو المصفحة في عصرنا. ومع هذا نصره الله، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]. نصره الله، وهذا النصر وهذا التأييد دلالة أن الله ﷻ معه، لقد وعده الله بالنصر، وأنجز له ما وعد، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨]. وفي القرآن المكي: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]. وقد هزموا. ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [غافر: ٥١]،

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٧٠٢٩)، والحاكم في التفسير (٤٠١/٢)، وصحح إسناده، ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١١٢٣٧): رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات. عن أبي بن كعب.

﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، هذا في القرآن المكي، وانتصر رسول الله ﷺ.

هذا التأييد المستمر، وفي بعض الأوقات كان يظن أنه هيهات هيهات أن يكون لهذه الدعوة مستقبل، ولكن النبي ﷺ لإيمانه بأنه على الحق، لم يتزعزع قط في وقت من الأوقات.

تأييد الله له في رحلة الهجرة:

وفي رحلة الهجرة، والمشركون على باب الغار، وأحدهم يقول: محمد لم يعد هذا الموضع، إمّا هبط إلى الأرض من هنا، وإمّا صعد إلى السماء من هنا. وأبو بكر يقول له: يا رسول الله، لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا. فقال: «يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟» ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠] ^(١). في هذا الوقت العصيب الرسول مؤمن بأن الله معه!

يعدو وراءه سراقه بن مالك؛ طمعا في جائزة قريش؛ وهي مائة ناقة للصاحبين محمد وأبي بكر، مائة ناقة لمن يأتي بهما حين أو ميتين، ويلحق الفارس الطامع بالنبي ﷺ، وتسوخ أقدام فرسه في الأرض، ويقول له النبي ﷺ: «يا سراقه، كيف بك إذا ألبسك الله سوارى كسرى؟». يقول له: كسرى بن هرمز؟! فيقول: «نعم كسرى بن هرمز» ^(٢). وقد عاش حتى لبس سوارى كسرى في عهد عمر بن الخطاب ^(٣). الشاهد

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٦٦٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٦٣١٩)، عن أنس بن مالك.

(٢) أسد الغابة لابن الأثير (١٨٠/٢)، نشر دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

(٣) الأم للشافعي (١٦٥/٤)، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

هنا أن محمداً ﷺ في هذا الوقت الحالك، حيث تنزلزل الأنفس، وتضطرب القلوب لم يتزلزل ولم يضطرب، فهو واثق بوعد الله له!

تأييد الله له في غزوة الخندق:

وفي غزوة الخندق، وقد ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً، ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾. قريش وغطفان من ناحية، واليهود قد غدروا في الداخل، ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿[الأحزاب: ١٠، ١١]. في هذه الحالة، حالة البلاء والزلال: لم يتزعزع النبي ﷺ، وكان يعد أصحابه بكنوز كسرى وقيصر، وأنهم الوارثون للممالك القديمة والإمبراطوريات العريقة، حتى سخر من ذلك بعض المنافقين وقال: إِنَّ مُحَمَّدًا يَعِدُنَا مَمَالِكَ كَسْرَى وَقَيْصَرَ؛ وأحدنا لا يأمن أن يذهب إلى الخلاء وحده^(١)! يخاف أن يذهب ليقضي حاجته وحده، هكذا المنافقون، ولكن المؤمنين لم يتزلزلوا، ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

تأييد الله له في غزوة حنين:

وفي غزوة حنين، حين اضطرب أمر المسلمين في بادئ المعركة، وفرّ منهم من فرّ، حينما اصطدموا بكمين هؤلاء، وفوجئوا به، فانفرط العقد، وانهزم من انهزم، ولكن النبي ﷺ وقف، ويقول وهو راكب على بغلته: «أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»^(٢). ما خارت له

(١) رواه الطبري في تفسيره (٢١٨/٢٠)، عن محمد بن كعب القرظي.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦)، كلاهما في الجهاد والسير، عن البراء بن عازب.

قُوًى، وما انهار أمام هذه الأمور أبداً؛ لأنّه كان واثقاً بنصر الله، وقد نصره الله! رغم هذه الشدائد نصره الله، وأعزه وأيّده بروح من لدنه، وأظهر دينه على الدين كله، نصره على الجبهات كلها: الجبهة الوثنيّة، بقريشها وغطفانها وغيرهما، والجبهة اليهودية الغادرة الماكرة، نصره الله على قَيْنَقَاعِهَا ونَصِيرِهَا وقَرْيَظَتِهَا، والجبهة البيزنطيّة النصرانيّة، ذهب إليها في عُقر دارها، في غزوة تبوك. نصره الله على هؤلاء، وعلى المنافقين في الداخل، الذين كانوا يتربصون به الدوائر، ويكُونون - كما يقولون اليوم - طابوراً خامساً داخل المجتمع المسلم، نصره الله على هؤلاء وهؤلاء!

أنجز الله وعده، ونصر عبده، كما كان المسلمون يقولون يوم فتح مكّة، مكّة التي خرج منها ليلاً فعاد إليها نهاراً، وخرج منها سرّاً فعاد إليها جهاًراً، خرج منها مُطَارِداً فعاد إليها فاتحاً، يكسر الأصنام بيده، ويضربها برمحه؛ فتخزُّ مُحَطَّمَةٌ وهو يقول: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ [الإسراء: ٨١]^(١). وأصحابه يقولون: لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعزّ جنده، وهزم الأحزاب وحده^(٢).

هذا النصر شهادة من الله تعالى لرسوله محمّد ﷺ. لا يمكن أن يكون محمّد كذاباً متقوِّلاً على الله، وينصره الله المرة بعد المرة. يمكن أن ينتصر الكذاب في معركة، ولكن لا يمكن أن تكون له العاقبة، ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلنَّقِيِّ﴾ [طه: ١٣٢]، العاقبة لأهل الحق.

(١) متفق عليه: البخاري في المغازي (٤٢٨٧)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٨١)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه أبو داود في الحدود (٤٥٤٧)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (٣٨٠٧)، عن عبد الله بن عمرو.

تكذيب محمد طعن في الألوهية:

اجتمع الإمام ابن القيم يوما بأحد اليهود، فتناقشا في نبوة محمد ﷺ، فقال العلامة ابن القيم لهذا الحبر من أحبار اليهود، وكان من أعظمهم وأكبرهم معرفة بالتوراة، الكتاب المقدس عندهم، قال له: إنكم بتكذيبكم محمداً ﷺ قد سببتم الرب أقبح سب، وشتتموه أعظم شتيمة. فعجب من ذلك، وقال: مثلك يقول هذا الكلام؟!!

فقال ابن القيم: اسمع الآن تقريره، إذا قلت: إن محمداً ملك ظالم، قهر الناس بسيفه، وليس برسول من عند الله، وقد أقام ثلاثاً وعشرين سنة يدعي أنه رسول الله، أرسله إلى الخلق كافة، ويقول: أمرني الله بكذا، ونهاني عن كذا، وأوحى إليّ كذا، ولم يكن من ذلك شيء... وهو يدأب في تغيير دين الأنبياء، ومعاداة أممهم، ونسخ شرائعهم، فلا يخلو إما أن تقولوا: أن الله ﷻ كان يطلع على ذلك ويشاهده ويعلمه. أو تقولوا: إنه خفي عنه ولم يعلم به.

فإن قلت: لم يعلم به. نسبتموه إلى أقبح الجهل، وكان من علم ذلك أعلم منه، وإن قلت: بل كان كله بعلمه ومشاهدته وإطلاعه عليه. فلا يخلو: إما أن يكون قادراً على تغييره، والأخذ على يديه ومنعه من ذلك، أو لا، فإن لم يكن قادراً، فقد نسبتموه إلى أقبح العجز، المنافي للربوبية، وإن كان قادراً، وهو مع ذلك يعزّه وينصره ويودّه، ويعليه ويعلي كلمته، ويجب دعاءه، ويمكّنه من أعدائه، ويظهر على يديه من أنواع المعجزات والكرامات ما يزيد على الألف، ولا يقصده أحد بسوء إلا ظفر به، ولا يدعوه بدعوة إلا استجابها له، فهذا من أعظم الظلم والسّفه الذي لا يليق نسبته إلى آحاد العقلاء، فضلاً عن رب الأرض

والسما. فكيف وهو يشهد له بإقراره على دعوته، وتأييده بكلامه، وهذه عندكم شهادة زور وكذب؟

فلما سمع ذلك، قال: معاذ الله، أن يفعل الله هذا بكاذب مفتر، بل هو نبي صادق من أتبعه أفلح وسعد. قال ابن القيم: فما لك لا تدخل في دينه؟ قال: إنما بُعث للأُميين الذين لا كتاب لهم، وأما نحن فعندنا كتاب نتبعه.

فقال له ابن القيم: غلبت كل الغلب، فإنه قد علم الخاص والعام، أنه أخبر أنه رسول الله إلى جميع الخلق، وإن من لم يتبعه فهو كافر من أهل الجحيم، وقاتل اليهود والنصارى وهم أهل كتاب، وإذا صحّت رسالته وجب تصديقه في كل ما أخبر به. فأمسك ولم يحر جواباً^(١).

شهادة أهل الكتاب على صدق الرسول:

وشهد له أهل الكتاب أيضاً، والقرآن قد استشهد بهم: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣]. من بني إسرائيل وأخبارهم، ومن علماء النصارى، يكفي أن رسول الله ﷺ أعلن عليهم ذلك: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف: ١٥٧]. كيف يقول هذا إلا من كان واثقاً من صدقه، كان يمكنهم أن يقولوا: كيف تقول هذا، وهذه هي التوراة، وهذا هو الإنجيل؛ وليس عندنا لا بالعبرة، ولا بالإشارة، ولا بالتلميح، ولا بالتصريح أي شيء عما تقول. كان يمكنهم أن يقولوا هذا، ولم يقل أحد ذلك!

(١) هداية الحيارى في أجوبة النصارى لابن القيم (٣٨٤/٢، ٣٨٥)، تحقيق محمد أحمد الحاج، نشر دار القلم، دمشق، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

بل هو في بعض الأحيان قال لهم: ﴿فَاتُّوا بِالتَّورَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]. فما تكلموا ولا أجابوا. هذه الثقة نفسها تدلُّ على أنه فعلاً مبشَّر به من الأنبياء، وقد أسلم من أسلم من هؤلاء، وصدق النبوءات التي كانت عندهم، أسلم مثل عبد الله بن سلام حبر اليهود، وكذب قومه وقال: يا رسول الله إِنَّ اليهود قوم بُهت، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك. فجاءت اليهود ودخل عبد الله البيت، فقال رسول الله ﷺ: «أي رجل فيكم عبد الله بن سلام». قالوا: أعلمنا، وابن أعلمنا، وأخيرنا، وابن أخيرنا. فقال رسول الله ﷺ: «أفرايتم إن أسلم عبد الله؟». قالوا: أعاده الله من ذلك. فخرج عبد الله إليهم فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. فقالوا: شرنا، وابن شرنا. ووقعوا فيه^(١).

البشارة بمحمد في التوراة والإنجيل موجودة رغم التحريف:

بل لا يزال إلى اليوم بشائر في التوراة الحالية رغم تحريفها، وفي الإنجيل الحالي رغم تحريفه، لا تزال بشائر هي موضع دراسة عند المسلمين من قديم، أُلِّفَتْ فيها كتب، أُلِّفَها علماء المسلمين منذ عهد ابن حزم إلى اليوم، بشائر مبثوثة في التوراة والإنجيل رغم ما حرَّفوا، ولكنها تدلُّ على أن مبعوثاً بعد موسى صفته كذا وكذا، لا تنطبق هذه الصفات إلا على رسولنا محمد ﷺ. هذا كله ممَّا يؤكد صدق ما ذكره القرآن، بالاستشهاد بأهل الكتاب: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَمَأْمَنَ وَأَسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف: ١٠].

(١) رواه البخاري في أحاديث الأنبياء (٣٣٢٩)، عن أنس.

ومن الأدلة على نبوة محمد ﷺ، ما ذكره المسيح عليه السلام في الإنجيل، جاء في إنجيل متى، أن المسيح قال لأتباعه: «احتَرِّزُوا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْكَذَّابَةِ، الَّذِينَ يَأْتُونَكُمْ بِثِيَابِ الْحُمَلَانِ، وَلَكِنَّهُمْ مِنْ دَاخِلِ ذُنُوبٍ خَاطِفَةٌ!». قالوا له: وكيف نعرف الأنبياء الكذبة من غيرهم؟ قال: «من ثمارهم تعرفونهم. هل يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ عَنَبًا، أَوْ مِنَ الْحَسَكِ تِينًا؟ هَكَذَا كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْنَعُ أَثْمَارًا جَيِّدَةً، وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيَّةُ فَتَصْنَعُ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، لَا تَقْدِرُ شَجَرَةٌ جَيِّدَةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا رَدِيَّةً، وَلَا شَجَرَةٌ رَدِيَّةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا جَيِّدَةً. كُلُّ شَجَرَةٍ لَا تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقَطَّعُ وَتُتَلْقَى فِي النَّارِ، فَإِذَنْ مِنْ ثَمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ»^(١).

ثمار الدعوة المحمدية الطيبة:

وهذا ينطبق على ما جاء في القرآن: ﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، وَإِذَنْ رَبِّهِ^ط وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ

 ﴿ [الأعراف: ٥٨]، وكما قال الله تعالى في مقام آخر في صورة أخرى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ إِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴿ [إبراهيم: ٢٤ - ٢٦]. الشجرة الخبيثة لا تنتج إلا خبيثًا، ولا تثمر إلا خبيثًا، والشجرة الطيبة لا تثمر إلا طيبًا. وشجرة محمد ﷺ قد أنبت الثمار الطيبات، ولم تثمر شجرة من شجرات الأنبياء ما أثمرته شجرة محمد ﷺ.

من ترك وراءه سيرة عطرة، ومن ترك وراءه سيرة طاهرة، وسيرة حافلة؛ كسيرة محمد ﷺ؟ نقرأ سير الأنبياء وسيرة محمد ﷺ، فنجد

(١) إنجيل متى (١٥/٧ - ٢٠).

السيرة المحمّديّة هي السيرة الجامعة، كل نبي تميّز بناحية من النواحي، عيسى عليه السلام تميّز بالزهد، وسليمان عليه السلام تميّز بالشكر، وأيوب عليه السلام تميّز بالصبر. كل نبي له ناحية من النواحي، ولكنّ مُحمّداً تميّز بمجموعة من مكارم الأخلاق، لأن الله قصّ عليه قصص الأنبياء وقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]. وقد اقتدى بهداهم. فهو تجمّعت فيه مكارم النبوات جميعاً.

الاقتداء بالنبي في مختلف جوانب الحياة:

يستطيع الإنسان أن يقتدي به في كل ناحية من نواحي الحياة، إنك لا تستطيع أن تقتدي بالمسيح إلّا في ناحية مُعيّنة، لا تستطيع أن تقتدي به إذا كنت زوجاً ليكون منك الزوج الصالح؛ لأنّه لم يتزوج، ولا تستطيع أن تقتدي به إذا كنت أباً؛ لأنّه بالتالي لم ينجب، لا تستطيع أن تقتدي به إذا كنت جدّاً، لا تستطيع أن تقتدي به إذا كنت محارباً أو قائداً في معركة؛ لأنّه لم يحارب، لا تستطيع أن تقتدي به إذا كان عندك مال؛ لأنّه لم يملك مالا، لا تستطيع أن تقتدي به إذا كنت حاكماً؛ لأن المسيح لم يحكم.

ولكنّ محمّداً ﷺ جعل الله منه القدوة والأسوة في كل النواحي: الزوج، والأب، والجد، والتاجر، والشاب، والعامل، والقائد، والحاكم، والغني، والفقير؛ لأنّه كان غنياً وكان فقيراً. حتّى الزوج، من كان ذا زوجة واحدة: يجد في حياة محمّد ﷺ أسوة في هذا الجانب؛ لأنّه عاش أكثر عمره متزوجاً بامرأة واحدة، ومن كان له أكثر من زوجة، يجد في حياته هذا، ومن كان عنده زوجة صغيرة، يجد عنده هذا، ومن تزوج الزوجة الكبيرة يجد عنده هذا، زوج البكر وزوج الثيب، زوج العربيّة وغير العربيّة. لقد ترك لنا ثماراً أي ثماراً!

من دلائل نبوته: ما تركه من ثروة علمية هائلة:

ترك لنا من العلم، ثروة حافلة - لا أقصد هنا القرآن - ترك لنا الأحاديث النبوية: جوامع الكلم، وجواهر الحكم، وروائع البلاغة، وأصول الهداية النبوية. مَنْ قرأ أحاديثه ﷺ، وعاش في رحاب السنة النبوية: وجد بحرًا زاخرًا متلاطم الأمواج، ووجد كنوزًا لا يحصرها عدُّ، ولا يحيط بها حدٌّ. لم يترك نبي من الأنبياء ما ترك، ماذا نجد عند المسيح؟ إنها صفحات قليلة، ومواعظ على جبل الزيتون أو غير ذلك، تملأ عددًا من الصفحات، أمّا محمد ﷺ فترك لنا شيئًا هائلًا!

من دلائل نبوته: الجيل الذي صنعه:

الجيل الذي ربّاه محمد ﷺ جيل لم تكتحل عين الدنيا برؤية مثله، جيل جمع العباقرة والبطولات، كلٌّ في ناحية من النواحي، أبو بكر وعمر، وعثمان وعلي، وسعد وابن عوف، وابن العاص وابن الوليد، أبطال، ونوابغ، وعباقرة في كل فن، ربّاهم محمد ﷺ، وجعل منهم نماذج بشرية، ربّاهم ليربوا العرب بعد ذلك، وليربي العرب البشرية كلها. أدبه ربه فأحسن تأديبه، ثمّ نقل هذا التأديب إلى أصحابه، فربّى جيلاً نموذجياً. وصفهم القرآن بأعظم الأوصاف: ﴿أَشْدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَبَّعُوا رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]. إلى آخر ما جاء في القرآن الكريم في صور شتى.

هذا الجيل العجيب، مَنْ مِنَ الأنبياء أو الفلاسفة أو المصلحين ترك مثل هذا، إن سقراط لم يستطع أن يصلح امرأته، فتمردت عليه، والمسيح ربّى عددًا من الحواريين بعضهم خانه في حياته، ولكن محمدًا ﷺ مات

عن نحو مائة ألف اجتمعوا في حجة الوداع وبلغهم بيانه العظيم هناك: «ألا هل بلغت؟! اللهم فاشهد»^(١). وكان من هذه الآلاف وعشرات الآلاف نماذج عالية رفيعة القدر، هي التي نشرت الإسلام في الآفاق، ونقلت إلينا القرآن والسنن، وعلمت الدنيا، ولهذا أثنى الله تعالى عليهم وعلى من اتبعهم بإحسان، وأعلن أنه رضي عنهم ورضوا عنه.

هذا الجيل العظيم الذي رباه محمد ﷺ، كيف استطاع أن يربيه لو لم يكن صادقًا مخلصًا؟! الدجال الدعي لا يستطيع أن يؤثر في أحد!

إنَّ الواعظ الذي يعظ النَّاس إذا لم يكن كلامه من قلبه، فإن الكلام يخرج من اللسان ولا يتجاوز الأذان. قال عمر بن ذر لأبيه، لماذا يتأثر النَّاس بكلامه ولا يتأثرون بكلام غيره، قال: ليست النائحة الثكلى كالنائحة المستأجرة^(٢). الثكلى التي فقدت ابنها وتبكي من قلبها: ليست كالنائحة المستأجرة التي تتصنع البكاء.

إنَّ مُحَمَّدًا ﷺ استطاع أن يؤثر في هذا الجيل الضخم، ويترك لنا هذه النماذج البشرية. هذه بعض آثار محمد ﷺ. إنَّ الكاذب لا يمكن أن يحسن شيئًا، من ادَّعى أنَّه محاسب لا يستطيع أن يقيم مسألة حسابية معقدة؛ إذا أعطيته إياها.

الكذاب لا يصنع شيئًا:

الفيلسوف البريطاني الشهير توماس كارليل، له كتاب اسمه (الأبطال)، جعل ثاني أبطاله: البطل في صورة نبي، واختار مُحَمَّدًا ﷺ

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الحج (١٧٤١)، ومسلم في القسامة (١٦٧٩)، عن أبي بكر.

(٢) العقد الفريد (١٤٩/٣).

ليكون ذلك البطل! وكتب كلاما عظيما، في وقت كان الغرب فيه قد شوّه سيرة النبي محمد ﷺ وصورته بالأكاذيب والأباطيل، فجاء هذا الرجل الشجاع المنصف، وكتب عن محمد ﷺ هذا الفصل الرائع، وكان فيما قال: إنّ الكاذب لا يستطيع أن يبني لك بناء من الحجارة.

لو ادعى واحد أنّه بناء، فقلت له: ابن لي بناء. لا يستطيع أن يقيم جدارًا، لأنّ للبناء أصولًا. والكذاب سيكشفه عمله!

ثم قال: ماذا تطلب ممن يدعي لك أنّه بناء أكثر من أن يقيم بناء من السعة بحيث يسع مئات الملايين، ومن المتانة بحيث يبقى مئات السنين - اثني عشر قرنًا أو أكثر - إن محمدًا قد أقام دينًا، وأهله متمسكون بهذا الدين، وقد أصلحهم هذا الدين إلى اليوم، وهم متمسكون به أشدّ من أيّ أمة تتمسك بدينها في الأرض.

ألا فليعلم الناس أن مثل الباطل كمثل ورق البنكنوت الزائف، يمر من يد إلى يد ثمّ يضبط ويعرف أنّه زائف فلا يرفع به أحد رأسًا. الباطل لا يستمر، ولكنّ محمدًا قد استمرّت نبوّته. هذا ما قاله كارليل^(١).

ثمار النبوة لا تزال باقية:

إن ثمار نبوة محمد ﷺ وآثارها لا تزال إلى اليوم يهتدي بها الملايين، ولا تزال إلى اليوم نشعر بعميق الحاجة إلى هذه الرسالة العظيمة، التي فاقت كل الرسائل، مضمون الرسالة نفسها دليل على صدق محمد ﷺ، لأنّها أعمق وأعلى من مستوى عصره، فضلًا عن مستواه هو، وقد كان أميًا

(١) الأبطال لتوماس كارليل ص ٥٢، ترجمة محمد السباعي، نشر المكتبة التجارية الكبرى،

القاهرة، ط ٣، ١٣٤٩هـ - ١٩٣٠م.



لا يقرأ ولا يكتب، من أين جاء بهذه الهداية العظيمة، من أين جاء بهذا التشريع، من أين جاء بهذا المحتوى؟ ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَنْتَ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨، ٤٩].

لقد أقام الله ﷺ بحكمته دلائل كثيرة على صدق نبوة محمد ﷺ؛ لأن رسالته هي رسالة الزمن كله، رسالة الخلود، ورسالة العموم للإنسانية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فكان من فضله ورحمته وحكمته: أن كثر الأدلة والبراهين التي تدلُّ على صدقها وعلى صحتها، ولا زلنا نكتشف الجديد من براهين هذه الرسالة؛ حتى يظهر هذا الدين على الدين كله، ويتحقق وعد الله، ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا آناً يُتَمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

تكوين الإنسان المسلم: الإيمان بخاتم الأنبياء (٢)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زال حديثنا موصولاً عن الإيمان بالله تعالى، وبملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، عن أركان العقيدة الإسلامية، التي لا بدَّ منها لتكوين الفرد المسلم الصالح، الذي هو نواة المجتمع المسلم الفاضل.

تحدثنا عن الإيمان بالله تعالى، والإيمان بالملائكة، والإيمان بكتب الله وَحْيًا، والإيمان برسول الله، ونتحدث اليوم عن الإيمان بأعظم رسل الله تعالى وخاتمهم محمد ﷺ.

وجوب الإيمان برسالته ﷺ:

هذا الرسول العظيم الذي عرفنا به سائر الرسل، وعرفنا به سائر الكتب، هذا الرسول العظيم الذي صنعه الله تعالى على عينه، واصطنعه لنفسه، وأدبه فأحسن تأديبه، وعلمه فأكمل تعليمه، وهَيَّأَهُ ليقوم بأعظم رسالة في الوجود، رسالة الإسلام الأخيرة، التي تحمل كلمات الله النهائية للبشرية في طورها الأخير.

محمد ﷺ هو خاتم الرسل، لا يتم الإيمان إلا إذا آمن الإنسان برسالة محمد ﷺ.

خصائص الرسالة المحمدية ومميزاتها:

وقد تميزت رسالة النبي محمد ﷺ عن بقية الرسالات بأمر ثلاثة:

أولاً: العالمية:

أول هذه الأمور: أنها رسالة عامة، فليست رسالة لقوم دون قوم، ولا لجنس دون جنس، ولا لرقعة من الأرض دون رقعة، إنها رسالة الله للعالمين، كان النبي قبل محمد ﷺ يُبعث إلى قومه خاصة، وبعث محمد ﷺ إلى الناس كافة، وكان الأنبياء قبل بعثته ﷺ يبعثون إلى أقوامهم: نوح أرسله الله إلى قومه، وموسى أرسله الله إلى قومه: بني إسرائيل، وكذلك عيسى، كل الأنبياء أرسلوا إلى قومهم، مبشرين ومنذرين ومبلغين لأقوامهم.

ولكن رسالة محمد ﷺ تميزت بأنها رسالة الله تعالى إلى الناس كافة: أحمرهم وأسودهم، عربهم وعجمهم، سواء كانوا في الشرق أو الغرب، أو الشمال أو الجنوب، في أي وطن كانوا، وبأي لون كانوا، وبأي لسان تكلموا، بُعث ﷺ إلى هؤلاء جميعاً.

القرآن الكريم يعلن عالمية الرسالة:

وهذا ما أعلنه النبي ﷺ منذ فجر الدعوة، في القرآن المكي عشر آيات أو أكثر تعلن عالمية الرسالة، ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]

عشر آيات تقيم الحجة على أولئك المكابرين والجاحدين، الذين يزعمون أن رسالة محمد ﷺ كانت للعرب في أول الأمر، ثم بعد ذلك أعلن أنه رسول الله للناس جميعاً، هذا كذب، فمنذ فجر الدعوة قال النبي ﷺ لقريش؛ حينما اجتمعوا عند جبل الصفا: إني رسول الله إليكم خاصة، وإلى الناس كافة، وأعلن ذلك في القرآن في سور شتى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [ص: ٨٧]. ومن عجيب أن بعض المتمحكين والمجادلين بالباطل، والمكابرين في الضروريات، منذ عهد قريب كان يكتب أحدهم في بعض الصحف: رسالة محمد ﷺ، رسالة قومية، رسالة للعرب! كذب والله.

الرسول عربي، ولكن هذا العربي أعلن أنه رسول لكل الناس، بل إلى الجن والإنس، حتى الجن أرسل إليهم ﷺ. وفي القرآن سورة تسمى سورة الجن، أعلن فيها الجن الإيمان برسول الله ﷺ.

هو رسول عربي، ولكن رسالته عالمية، وقرآنه عربي، عربي اللسان، ولكن القرآن نفسه هو الذي أعلن العالمية والعموم للناس جميعاً، ليس في القرآن ما في التوراة! من قرأ التوراة يُحس أن هذا الكتاب كتاب قومي، هو لبني إسرائيل، كل الحديث عن بني إسرائيل، وعن أمور بني إسرائيل، وعن تاريخ بني إسرائيل، وعن ظهور بني إسرائيل، وعن ملك بني إسرائيل، حتى الإله، هو إله بني إسرائيل، رب إسرائيل، كل شيء تلمح فيه هذه النظرة العنصرية العصبية.

ولكن القرآن الكريم منذ أول آية بعد البسملة يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] رب العالمين، منذ فاتحة الكتاب يعلن أن الربوبية في القرآن ربوبية للعالمين، وآخر سورة في القرآن: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ * مَلِكِ النَّاسِ * إِلَهِ النَّاسِ﴾ [الناس: ١-٣]. ليس رب العرب، ولا ملك العرب، ولا إله العرب، القرآن كتاب عالمي، والرسول رسول عالمي.

رسائل النبي إلى ملوك العالم تؤكد عالمية الرسالة:

تميزت رسالة النبي محمد ﷺ بأنها رسالة للعالمين؛ ولهذا ما إن بدرت أول فرصة للنبي ﷺ، حينما وجد بعض الوقت، حينما عقد الهدنة بينه وبين قريش في صلح الحديبية، حتى أرسل رسائله إلى كسرى وقيصر، والنجاشي والمقوقس، وأمراء الأرض وملوكها، يدعوهم فيها إلى الإسلام، يدعوهم بدعوة الإسلام، أن يُسلموا فيسلموا، وإلا كان عليهم إثم شعوبهم من ورائهم، وكان يختم كتابه إلى أهل الكتاب منهم بقول الله تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ليس قبل رسول الله ﷺ رسول قط، بعث إلى الملوك وإلى الأمراء وإلى الأباطرة، يدعوهم إلى دينه، ما عُرف هذا قط! أول نبي يعلن هذا ويتخذ الخطوات لإعلان عالمية الدعوة، ويدعو أهل الأرض إلى دعوته، هو رسول الله ﷺ.

ما أعلن ذلك نوح ولا إبراهيم، ولا موسى ولا عيسى عليه السلام؛ بل عيسى أعلن كما في الإنجيل الحاضر نفسه أنه قال: لم أبعث إلا إلى الخراف الضالة من بني إسرائيل^(١)، بُعث إلى هذه الخراف الضالة، هذا القطيع الضال من بني إسرائيل، لم يعلن عالمية، إنما أعلن ذلك تلاميذه، كتبوها إلى الناس، أمّا هو فلم يدع عموم الرسالة وعالميتها.

الرسول الوحيد الذي أعلن ذلك بوضوح هو النبي محمد ﷺ.

(١) إنجيل متى (٦/١٠).

وجوب تبليغ الرسالة إلى العالم كله:

رسالتنا نحن المسلمين رسالة عالمية، يجب أن تبلغ إلى الناس كافة، وهذه مسؤوليتنا نحن المسلمين، نحن مسؤولون عن إيصال رسالة الإسلام للأمم، في شرق الأرض وغربها، سنسأل أمام الله؛ لماذا لم نبليغ الإسلام كما أنزله الله إلى شعوب الدنيا؟ والفرصة أمامنا متاحة أن نبليغ رسالة الله إلى العالمين، بالكلمة المكتوبة، وبالكلمة المسموعة، نستطيع الآن بصوت الإذاعة أن نصل إلى العالم كله، وأن نكلم كل قوم بلغتهم، الإذاعات الموجهة تتجاوز الحدود الجغرافية، وتدخل إلى كل بلد، لسنا الآن محتاجين لقتال الناس حتى نسمعهم كلمة الإسلام، نستطيع أن نسمعهم كلمة الإسلام بغير قتال، وبغير حروب، فالوسائل عندنا متاحة، ولكن لا نستخدمها! ليتنا نحن المسلمين نعترف بهذه الحقيقة، إننا مقصرون في تبليغ رسالة الإسلام إلى العالم.

ثانيًا: الخلود:

رسالة الإسلام، رسالة محمد ﷺ تميزت بأنها رسالة عالمية، وتميزت بأنها رسالة خالدة، تميزت بالعموم، وتميزت بالخلود، فهي الرسالة الأخيرة، وهي الرسالة الخاتمة، ليس بعد محمد ﷺ نبي، ولا بعد القرآن كتاب، ولا بعد الإسلام شريعة، خُتِمت النبوات، هذه آخر حلقة في سلسلة الرسالات، أكمل الله بها الدين، وهذا ما أعلنه القرآن، وأعلنه الحديث الشريف، القرآن الكريم يقول: ﴿ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠] وفي الحديث يقول ﷺ: «إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله، إلّا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به،

ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين»^(١)، ويقول ﷺ: «أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، الذي يمحي بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي»^(٢)؛ ولذلك يقول ﷺ: «سيكون بعدي كذابون ثلاثون يدعون أنهم أنبياء، ولا نبي بعدي»^(٣).

خُتِمت النبوة، آخر لبنة في بنيان النبوة قد تَمَّ واكتمل، ولم يعد هناك حاجة إلى نبوة، إنَّ الله يبعث النبي لقوم ليس عندهم نبي، ولم يبعث إليهم نبي قط، أو كان عندهم نبي من قبل ثمَّ حُرف كتابه، أو حُرِّفَت رسالته، أو اندثرت آثاره، فهم في حاجة إلى تجديد وتصحيح، أو أنَّ الرسالة السابقة كانت موضعية المكان، محدودة الزمان، جاءت لوقتها وزمانها ومكانها، فهم في حاجة إلى رسالة أخرى، وهذه الأمور الثلاثة ليست موجودة في رسالة النبي محمد ﷺ.

رسالة الإسلام تلبي حاجات البشرية وتطورها:

البشرية عندها الرسالة التي تُشبع حاجاتها الروحية والعقلية والمادية، الرسالة التي وضعت القواعد الأساسية لهداية البشر في معاشهم ومعادهم، رسالة جاءت بكل الكليات التي تحتاج إليها البشرية مهما تطورت، كل ما يحتاج الناس إليه لزكاة الأنفس، أو لسعادة الأسر، أو لصالح المجتمعات، أو لهداية الناس إلى التي هي أقوم، كل هذا مذخور مكنوز في رسالة محمد ﷺ.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٣٥)، ومسلم في الفضائل (٢٢٨٦)، عن أبي هريرة.

(٢) متَّفَق عليه: رواه البخاري في المناقب (٣٥٣٢)، ومسلم في الفضائل (٢٣٥٤)، عن جبير بن مطعم.

(٣) رواه مسلم في الفتن (٢٨٨٩)، وأحمد (٢٢٣٩٥)، عن ثوبان.

جاءت هذه الرسالة مصححة لما حدث من انحرافات وأخطاء وغلّوات في الرسائل السابقة، بعد أن أصابها التحريف والتبديل، جاءت تصحّحها، وجاءت تكمل ما كان فيها من نقص؛ بحكم أنّها جاءت رسالة موضوعية، محدودة في الزمان والمكان، فليس هناك حاجة قط إلى رسالة جديدة، ليس هناك حاجة قط إلى نبوة جديدة، من هنا ختم الله النبوات، وختم الله الرسائل برسالة محمد ﷺ.

كذب من ادعى النبوة:

ولهذا من ادعى النبوة، ومن ادعى الرسالة، فهو كاذب أفّاك.

ولذلك عندما جاء مسيلمة وادعى النبوة، أرادت بنو حنيفة بذلك أن يكون لهم نبي، كما أنّ لقريش نبي، كأن المسألة مسألة توزيع غنائم، كل قبيلة يجب أن يكون لها نبي؛ حتى لا تختص قريش بهذا الفضل وحدها، بعث مسيلمة هذا رسالة إلى النبي ﷺ يقول فيها: من مُسيلمة رسول الله إلى محمّد رسول الله، أمّا بعد، فإنّي أشركتُ في الأمر معك، وإنّ لنا نصف الأرض، ولقريش نصف الأرض، ولكنّ قريشاً قوم يعتدون^(١).

فبعث إليه النبي ﷺ يقول له «بسم الله الرحمن الرحيم، من محمّد رسول الله، إلى مُسيلمة الكذاب، سلام على من اتّبع الهدى، أمّا بعد، فإنّ الأرض لله يُورثها مَنْ يشاء من عباده، والعاقبة للمتّقين»^(٢)، وأطلق عليه هذا الوصف، مسيلمة الكذاب.

(١) رواه الطبري في تاريخه (١٤٦/٣).

(٢) رواه ابن قانع في معجم الصحابة (١٤٨/٣)، عن نعيم بن مسعود. تحقيق صلاح بن سالم المصراطي، نشر مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٨هـ.

وجاء من جاء بعده: الأسود العنسي، وطليحة الأسدي، وسجاح بنت الحارث، كل هؤلاء أراد كل واحد منهم أن يكون نبياً في قومه، واتبعهم الذين اتبعوهم عصبية، وقال من قال: كذاب ربيعة أحبُّ إليَّ من صادق مضر^(١)، نبينا أفضل من نبي غيرنا وإن كان كذاباً! هكذا تفعل العصبية، ولكن التاريخ كنس هؤلاء بمكنسته، منهم من تاب ورجع كطليحة الأسدي، ومنهم من ذهب كافراً إلى النار وبئس القرار!

وخلال التاريخ ظهر من ظهر من الكذابين، ثم ذهبوا كلهم، وليس لأحد منهم كلمة مسموعة.

أدعياء النبوة في العصر الحديث:

إلى أن جاء العصر الحديث، فعملت القوى المعادية للإسلام عملها؛ لتخرج نبوات زائفة جديدة، ظهر من سمى نفسه الباب، ومن سمى نفسه البهاء، بهاء الله، وظهر غلام أحمد القادياني، ظهر الباب والبهاء في إيران، وظهر القادياني في الهند، كلهم يزعمون أنهم أنبياء، بل هناك من زعم أنه قد حلت فيه روح الإله، ومنهم من زعم أنه أنزل عليه كتاب، فهذا عنده كتاب اسمه البيان، يدعي أنه منزل على الباب، وهذا عنده كتاب اسمه الأقدس، يدعي أنه منزل على البهاء، إلى آخر ما زعموا، وكلهم أفاكون كذابون.

ليس هناك نبوة بعد محمد ﷺ. الباب قد أغلق، لكن هناك من يجدد الله به أمر هذا الدين، هناك المجددون، هناك المحدثون الملهمون، الذين

(١) قاله طلحة النمري وقد قُتل مع مسيلمة يوم عُقْرَاء كافرًا. انظر: الكامل في التاريخ (٢/٢١٦)،

نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

يبعثهم الله تعالى ليقظوا الأمة من سبات، أو يحيوها من موات، ولكن لا نبوة بعد محمد ﷺ؛ فهو العاقب، وهو الآخر، وهو الخاتم، قرأتها بالكسر أو قرأتها بالفتح؛ فهو الآخر لا نبي بعده، فلا نبي بعد محمد ﷺ.

ثالثاً: الشمول:

رسالة النبي محمد ﷺ اتسمت بالعموم، وتميزت رسالة النبي محمد ﷺ بالخلود، فختمت الرسالات جميعاً، فلا نبوة ولا رسالة بعد ذلك، وتميزت هذه الرسالة بالشمول، فهي رسالة شاملة، جاءت بياناً لكل شيء، من ربّ كل شيء.

الرسالات السابقة جاءت تعالج بعض الأمور، رسالة لوط اهتمت بما وقع فيه القوم من فاحشة ما سبقهم بها أحد من العالمين، حيث كانوا يأتون الذكران، ويدعون الإناث!

ورسالة شعيب اهتمت بالفساد الاقتصادي، فساد المعاملات الذي وقع فيه القوم، لقد كانوا يبخسون الناس أشياءهم، ويعثون في الأرض مفسدين. فكل رسالة جاءت تعالج بعض القضايا الخاصة لأقوامها.

رسالة الإسلام منهاج حياة:

ولكن رسالة محمد ﷺ جاءت منهاجاً كاملاً للحياة، جاءت منهاجاً لحياة الفرد، وحياة الأسرة، وحياة المجتمع، جاء القرآن، وجاءت السنة مكملة ومفصلة ومبينة لما جاء في القرآن؛ لتضع هذا النظام للحياة.

فنحن المسلمين لسنا محتاجين إلى أي منهاج آخر، ولا أي نظام آخر، ولا أي فلسفة أخرى، قد نقتبس بعض الجزئيات من هنا وهناك، ونأخذ الحكمة من أيّ وعاء خرجت، ونطلب العلم ولو في الصين،

ونستفيد من المسلم والكافر، ولكن في أصول الهداية وأصول الحياة، لا نحتاج إلى شيء من عند غيرنا، أغنانا الله بما عندنا عما عند غيرنا، فلا يجوز أن نتسول ونحن أغنياء!

تسول الأغنياء أمر تنكره الأخلاق وتعاقب عليه القوانين، ونحن أغنياء كل الغنى بما من الله علينا به من الهداية لهذا الدين، وأكملنا لنا: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ وأتم علينا النعمة به ﴿وَأَتَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

بهذا تميّزت هذه الرسالة المحمدية، الرسالة العامة، الرسالة الخالدة، الرسالة الشاملة، ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]. ويقول ﷺ: «ما تركت أمراً يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار؛ إلا أمرتكم به، ولا تركت أمراً يقربكم من النار ويباعدكم عن الجنة؛ إلا نهيتكم عنه»^(١) ويقول ﷺ: «قد تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»^(٢) واضحة المعالم، بيّنة الملامح، ليس فيها غموض ولا ظلام ولا إبهام، هذه هي شرعتنا، هذه هي ملتنا، هذا هو منهاجنا وصرطانا المستقيم.

علينا نحن المسلمين أن نؤمن بهذه الرسالة، رسالة محمد ﷺ، أنها الرسالة العامة الخالدة الشاملة، وعلينا أن نعمل بها، وعلينا أن نبلغها للعالم كله.

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٤٧٣)، والحاكم في البيوع (٤/٢) شاهداً لحديث جابر مختصراً، وصحح حديث جابر، والبيهقي في الشعب (٩٨٩١)، وقال الحافظ في المطالب العالية (٩٢٧): فيه انقطاع. وكذا قال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٢٧٢٢)، عن ابن مسعود.

(٢) رواه أحمد (١٧١٤٢)، وقال مخرّجوه: صحيح بطرقه وشواهده. وابن ماجه في المقدمة (٤٣)، والحاكم في العلم (٩٦/١)، عن العرياض بن سارية.

كثرة الأدلة على نبوته ﷺ :

نحن من فضل الله علينا نملك من البيّنات ما نستطيع أن نقنع به أيّ مجادل أو مكابر: أن محمداً رسول الله، أقام الله من الدلائل والبراهين الساطعة الناصعة، ما يثبت نبوة النبي محمد ﷺ، ويدل على صدقه فيما يبلغ عن ربه، أظهر الله على يديه من الآيات والمعجزات ما تواترت به الأحاديث حتى أفادت اليقين، وأظهر الله على يديه من الآيات أكثر ما أظهر على يد الأنبياء من قبله، ولكنه ﷺ لم يتحدّ بهذه الآيات، لم يقل للناس اتّوني بمثل هذا.

كثّر الله على يديه الطعام القليل فصار كثيراً، وأطعم جيشاً! تمرات تطعم جيشاً! أفاض الله الماء من بين أصابعه حتى سقى جيشاً بأكمله، في ساعات العسر والشدة وعندما ينفد الزاد والماء!

وأمدّه الله بالملائكة تقاتل في صفوف جنوده، أنزلهم الله من السماء غطاء جويّاً سماوياً في الساعات الحاسمة، كما كان ذلك في يوم بدر، وفي يوم الخندق، فقد أرسل الله جنوداً لم يرها الناس ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب: ٩]، وفي يوم حنين أرسل الله هذه الملائكة.

معجزة الإسراء والمعراج:

أمدّ الله رسوله بكثير من المعجزات، خرق له القوانين الكونية؛ لأنّه خالق هذه القوانين، وهو الذي يقدر أن يخلقها متى شاء وكيف شاء آية من عنده، أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثمّ عرج به إلى السماوات العلا، إلى مستوى سمع فيه صرير الأقلام عند سدرة المنتهى، عندها جنة المأوى، إذ يغشى السدرة ما يغشى.

هناك آيات بينات وهي كثيرة، أيد الله بها رسوله محمداً ﷺ تدل على صدقه.



نبوءاته ﷺ :

هناك أنباء أخبر بها محمد ﷺ وقعت كما أخبر، بعضها حدث في زمنه، وبعضها حدث في زمن أصحابه، وبعضها لا زال يحدث إلى اليوم: أخبرهم أنّ اليمن تفتح له ففتحت، وجاء قومها مسلمين!

وأخبرهم أنّهم سيرثون ممالك كسرى وقيصر، وقد حدث ذلك لأصحابه!

وقال لعمار: «تقتلك الفئة الباغية»^(١) وحدث، وقتل عمار، وقتلته فئة باغية، وليست فئة كافرة، وكان من المظنون أن يقتل بأيدي فئة كافرة، ولكن كونها باغية معناها أنّها من المسلمين، وأنّها بغت على الإمام الحق!

وقال عن الحسن: «إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»^(٢) وحدث هذا.

وأخبر عشرات الأخبار وقعت كما حدث، أخبر أنّ القسطنطينية ستفتح^(٣)، وفتحها المسلمون، ولا زالت هناك أشياء تقع كما أخبرنا بها رسول الله ﷺ قال: «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها». قالوا: أمن قلة نحن يومئذ، يا رسول الله؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل»^(٤). وهذا ما يحدث اليوم.

(١) رواه البخاري في الصلاة (٤٤٧)، عن أبي سعيد الخدري.

(٢) رواه البخاري في الصلح (٢٧٠٤)، عن أبي بكر.

(٣) رواه أحمد (١٨٩٥٧)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف. والحاكم في الفتن (٤٢١/٤)، وصحّحه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠٣٨٤): رجاله ثقات. عن بشر الغنوي.

(٤) سبق تخريجه ص ٣٤.

وأخبر ﷺ أن من أهل النار نساء «كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة، ولا يجدن ريحها»^(١). وهذا حدث اليوم.

عشرات الأمور مما تنبأ به رسول الله ﷺ لا زلنا نشاهده إلى اليوم ويتحقق، قد يستطيع من يستطيع أن يتحدث بأمر ثم يقع، أو أمرين، أو ثلاثة، وإنما عشرات الأخبار، مع ذلك ما كان يدعي الغيب، وما كان يتحدث بذلك، وما كان يقول للناس: أعرف شيئاً! بل أعلن القرآن: ﴿وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]. فهو لا يعلم من الغيب إلا ما أعلمه الله تعالى به.

استجابة الدعاء:

دعا ﷺ دعوات لأناس فاستجيب، دعا لأنس رضي الله عنه: أن يكثر الله ماله، ويكثر ولده، ويطيل عمره، ويغفر ذنبه^(٢)، فتحقق الثلاثة الأولى، أكثر الله ماله، فكان له بستان يحمل في السنة مرتين، وأكثر الله ولده حتى رأى منهم مائة أو أكثر، وأطال الله عمره حتى كان آخر الصحابة موتاً بالبصرة، قال: وأنا أرجو الرابعة.

ودعا لابن عباس أن يفقهه الله في الدين ويعلمه التأويل^(٣)؛ فكان خبر الأمة، وترجمان القرآن، ودعا لأناس فاستجاب الله له.

(١) رواه مسلم في اللباس والزينة (٢١٢٨)، وأحمد (٨٦٦٥)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الدعوات (٦٣٤٤)، ومسلم في المساجد (٦٦٠)، عن أنس.

(٣) متفق عليه: رواه البخاري في الوضوء (٧٥) بلفظ: «اللهم علمه الكتاب» ولفظ: «اللهم فقهه في الدين» (١٤٣)، ومسلم في فضائل الصحابة (٢٤٧٧) بلفظ: «اللهم فقهه». أمّا رواية: «وعلمه التأويل» فقد رواها أحمد (٢٣٩٧)، وقال مخرّجوه: إسناده على شرط مسلم.

ودعا على أناس فذهب الله بهم، دعا على قريش أن يشدد الله وطأته عليهم، وأن يجعلها عليهم سنين كسني يوسف^(١)، فابتلوا بالقحط! ودعا على قوم أن يأخذهم الله: الذين وضعوا سلا الجزور على ظهره وهو ساجد في الصلاة، فقال الراوي. رأيتهم قُتلوا يوم بدر^(٢).

ليست دعوة أو اثنتين أو ثلاثة، شيء كثير.

سيرته ﷺ دليل صدقه:

سيرته ﷺ من أنصع الأدلة على أنها سيرة نبي صادق، لا يمكن أن تكون سيرة دجال من الكهنة والعرافين والأدعياء المتاجرين بالأديان، إن غايته غير غايتهم، وطريقته غير طريقته، وأخلاقه غير أخلاقهم، لا يمكن أن تكون سيرة دجال، وهو الصادق المصدوق، منذ نشأته كان يسمى الأمين، وما جُرب عليه كذب قط، شهد له بذلك أعداؤه قبل أنصاره وأحبابه.

سيرته ليست سيرة دجال، ولا سيرة طالب ملك ولا دنيا، لو كان طالب ملك أو دنيا لظهر ذلك عليه وعلى أسرته، لقد كان يلبس المرقع حينما كان لا يجد الثوب الجديد، كان يأكل ما خُشن من الطعام، ويجلس على الأرض، وينام على الحصير، حتى يؤثر ويعلم في جنبه، ويقول له عمر وغيره: أنت نبي الله وصفوته وكسرى وقيصر على سرر الذهب، وفرش الديباج والحرير! فقال: «أولئك قوم عَجَلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا، ألا ترضى أن تكون لنا الآخرة، ولهم الدنيا»^(٣).

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الأذان (٨٠٤)، ومسلم في المساجد (٦٧٥)، عن أبي هريرة.
(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الجزية (٣١٨٥)، ومسلم في الجهاد والسير (١٧٩٤)، عن ابن مسعود.
(٣) متفق عليه: رواه البخاري في المظالم والغصب (٢٤٦٨)، ومسلم في الطلاق (١٤٧٩)، عن عمر.

ويقول ﷺ: «ما لي وللدنيا؟ ما مثلي ومثل الدنيا؛ إلا كراكب سار في يوم صائف، فاستظل تحت شجرة ساعة، ثم راح وتركها»^(١).

نظرته ﷺ للدنيا:

الدنيا محطة استراحة، ومقيل سريع ثم يذهب عنك، هذه كانت نظرته إلى الدنيا ﷺ.. خرج من الدنيا ولم ينل فيها شيئاً، لم يشبع من خبز الشعير ثلاثة أيام متوالية^(٢)، وطالما شدَّ الحجر على بطنه من الجوع! كشف الصحابة يوماً عن بطونهم، كل واحد منهم شدَّ حجراً على بطنه من شدة الجوع^(٣)، وجاءوا يشكون إلى النبي ﷺ؛ فكشف عن بطنه، فإذا به قد شدَّ حجرين اثنين من شدة الجوع، ولو شاء لسأل ربه أن يعطيه فأعطاه، ولو شاء أن يدخر لادَّخر، ولو شاء أن يأخذ من الناس لأخذ!

وقد قالوا له يوماً: إن كنت تريد مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد ملكاً ملكناك علينا، وإن كنت تريد سيادة سودناك^(٤)، أي جعلناك سيِّداً علينا، إن كنت، وإن كنت! ولكنه ﷺ ما كان يريد شيئاً من ذلك، لقد خرج من الدنيا ودرعه مرهونة عند من؟

(١) رواه أحمد (٢٧٤٤)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح. وابن حبان في التاريخ (٦٣٥٢)، والحاكم

في الرقاق (٣٠٩/٤)، وصحَّحه على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، عن ابن عباس.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأُطعمة (٥٣٧٤)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٧٦)، عن أبي هريرة.

(٣) رواه الترمذي في الزهد (٢٣٧١)، واستغربه، والبيهقي في شعب الإيمان (٩٩٤٣)، وقال

العراقي في تخريج الإحياء ص٨٤٢: ورجاله كلهم ثقات. وضعفه الألباني في ضعيف

الترمذي (٤١٣)، وقال في الصحيحة (١٦١٥): حسن بمجموع الطرق. عن أبي طلحة.

(٤) السير والمغازي لابن إسحاق ص١٩٨، تحقيق سهيل زكار، نشر دار الفكر، بيروت، ط١،

١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

عند رجل يهودي، من أجل أوسق من شعير، استلفها منه قوتًا لعياله، مات والدرع عند هذا اليهودي^(١).

هذا هو محمد رسول الله ﷺ ما أراد ملكًا، وما أراد دنيا، ولو أراد ملكًا لورث ذلك لأهله وذريته، ولكنه تركها شورى للمسلمين؛ بل حينما جاءه عمه العباس في يوم فتح مكة، يشير عليه أن يعطيه مفتاح الكعبة، وأن تكون له الحجابة، وفيها من الهدايا ما فيها، وكان معه مفتاح الكعبة!

والعباس كان معه السقاية، والسقاية غُرم لا غُثم، عليه أن يسقي الحجيح، ويوفر القرب والماء ويعمل، فأراد أن تكون معه الحجابة مع السقاية، شيء بشيء، وغُرم بغُثم. فأخبره أنه يعطيهم ما يبذلون فيه الجهد، لا ما يأخذون منه المغنم! ولم يعطه حجابة الكعبة.

إنها سيرة نبي صادق، ليست سيرة طالب ملك، لو كان طالب ملك لظهر ذلك في سيرته وفي حياته، لقد كان يعمل في مهنة أهله ومساعدتهم في البيت^(٢)، فكان يخصف نعله بيده، ويرقع ثوبه بيده، ويحلب شاته^(٣)، ويطحن بالرحى مع الجارية والغلام، ويمشي خلف أصحابه، ويأتي الرجل الغريب فلا يعرفه من بين الجالسين؛ فيقول: أيكم ابن عبد المطلب؟ ليس له (هيل ولا هيلمان) ولا شارة متميزة، هذا هو الرسول ﷺ.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩١٦)، ومسلم في المساقاة (١٦٠٣)، عن عائشة.

(٢) رواه البخاري في الأذان (٦٧٦)، عن عائشة.

(٣) رواه أحمد (٢٦١٩٤)، وقال مخرّجوه: صحيح. والبخاري في الأدب المفرد (٥٤١)، وابن حبان في الحظر والإباحة (٥٦٧٥)، وصحّحه الألباني في الصحيحة (٦٧١)، عن عائشة.

دخل عليه رجل فهابه فارتعد، فقال له ﷺ: «هَوْنُ عَلَيْكَ، فَلَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قَرِيشٍ، كَانَتْ تَأْكُلُ الْقَدِيدَ بِمَكَّةَ»^(١).
أنا لست بملك، ولا أعيش حياة الملوك.

سيرة نبي عظيم:

هذا هو محمد ﷺ: من قرأ سيرته بإنصاف عرف أن هذه السيرة ليست سيرة دجال، وليست سيرة ملك ولا طالب ملك، إنما هي سيرة نبي عظيم، سيرة رسول كريم، كل نقطة في هذه السيرة تدل على أنه رسول من الله تبارك وتعالى، بل من رآه مجرد رؤية علم أنه رسول الله، كما قال عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذلك الحبر والعالم الإسرائيلي، الذي قرأ في التوراة عن نبي يظهر، وعرف علاماته، قال: أول ما قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل الناس إليه (أي: أسرعوا ومضوا إليه)؛ فكنت فيمن جاءه، فلما تأملت وجهه، واستبنته، عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب^(٢).

أصحاب الفراسة يقرؤون الكتاب من عنوانه، يعرفون الإنسان بمجرد النظر في وجهه:

لَا تَسْأَلِ الْمَرْءَ عَنْ خَلَائِقِهِ وَفِي وَجْهِهِ شَاهِدٌ مِنَ الْخَبَرِ^(٣)

(١) رواه ابن ماجه في الأُطعمة (٣٣١٢)، والحاكم في المغازي والسير (٤٧/٣)، وصحَّحه على شرط

الشيخين، ووافقه الذهبي، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٦٧٧)، عن أبي مسعود.

(٢) رواه أحمد (٢٣٧٨٤)، وقال مخرَّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين. والترمذي

في صفة القيامة (٢٤٨٥)، وقال: صحيح. وابن ماجه في الأُطعمة (٣٢٥١).

(٣) من شعر سلم بن عمرو. انظر: التمثيل والمحاضرة للثعالبي ص ٧٧، تحقيق عبد الفتاح محمد

الحلو، نشر الدار العربية للكتاب، ط ٢، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.



وقد قال أحد الأعراب يومًا: إنني إذا نظرت إلى الرجل من قفاه عرفت خلقه، أعرف هو جبان أم شجاع، كريم أم بخيل! قيل له: من قفاه؟ قال: نعم. قالوا: فإذا رأيت وجهه؟ قال: ذاك كتاب أقرؤه! أي: رؤية الوجه تعرّفني شخصيته تمامًا، أصحاب الفراسة يعرفون الشخص بمجرد رؤية وجهه، فالكذاب الدجال يُعرف من رؤيته، والصادق الأمين يعرف أيضًا من رؤيته، لكل منهما وجه غير وجه الآخر.

الدلائل على صدق رسالة محمد ﷺ كثيرة وفيرة، لعنا نعود إلى بقيتها في مناسبة أخرى.

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المؤمنين برسوله، والمصدقين برسالته، والمتبعين لهديته، اللهم آمين
أقول قولي هذا، واستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أَمَّا بعد:

فقد ورد أن في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له^(١)، ولعلها تكون هذه الساعة.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر، اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، واجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا، اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيمننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نُغتال من تحتنا، اللهم أكرمنا ولا تهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا.

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في فلسطين، وانصر إخواننا المجاهدين في أفغانستان، وانصر إخواننا المجاهدين في إريتريا، وانصر إخواننا المجاهدين في الفلبين، وانصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، اللهم خذ بأيديهم إلى مواطن النصر، اللهم أيدهم بملاً من جنك، وأمدهم بروح من عندك، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلاًهم في كنفك الذي لا يضام.

(١) سبق تخريجه ص ٢٢

اللهم عليك باليهود الغادرين، اللهم عليك بالشيوخ الملعونين،
اللهم عليك بالصليبيين المستعمرين، اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين،
اللهم ردّ عن المسلمين كيدهم، وفلّ حدهم، وأذهب عن أرضك
سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ
لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا
إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهم صل
وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين.
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].





تكوين الإنسان المسلم: الإيمان باليوم الآخر (١)

الخطبة الأولى

أما بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

لا زلنا نتحدث عن تكوين الإنسان المسلم، الذي هو اللبنة التي لا بدَّ منها لبناء المجتمع المسلم، الإنسان المسلم قبل كل شيء إنسان صحيح العقيدة، صحَّح تصوره عن الألوهية والعبودية: عن الله تعالى، وعن هذا العالم، وعن هذا الإنسان. لم يَعش في أوكار الخرافات والضلالات التي جاءت بها الوثنيات من شرق ومن غرب، صحَّح الإسلام اعتقاده وتصوره؛ فعاش في هذه الدنيا سيِّداً في الكون، عبداً لله وحده.

تحدَّثنا عن هذا التصور وأسسهِ، من الإيمان بالله تبارك وتعالى، والإيمان بملائكته، والإيمان بكتبه وعلى رأسها القرآن الكريم، والإيمان برسله وفي طليعتهم خاتمهم وصفوتهم محمد ﷺ. بقي من أركان الإيمان: الإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالقدر خيره وشره.

الإيمان بالآخرة ركن ركين في كل الأديان:

الإيمان باليوم الآخر ركن في كل دين من الأديان، لا يتصور دين لا مكان للآخرة فيه، من آمن بالله حقاً، لا بدَّ أن يؤمن ببلقائه وجزائه

وحسابه، إِنَّ الإيمان بالله العظيم العلي الحكيم؛ يقتضي أن يكون وراء هذه الحياة حياة أخرى، لا يمكن في حكمة الحكيم أن ينفذ سوق هذه الحياة؛ بعد أن ظلم فيها من ظلم، وطغى فيها من طغى، وتجبر من تجبر، وسفك الدماء، وانتهك الأعراض، وهتك الحُرُمات، ونهب الأموال، وطغى في البلاد فأكثر فيها الفساد!

إذا فعل من فعل ذلك، ولم ينل جزاءه في الدنيا، وما أكثر الذين يظلمون ويُفسدون، ولا تنالهم يد العدالة الأرضية؛ إما لأنهم احتالوا على القوانين - وما أعجز قوانين البشر أن تنال كل الناس - وإما لأنهم كَوَّنوا عصابات قادرة على الفتك دون أن ينال منهم أحد، وإما أن يكونوا هم أنفسهم واضعي القوانين، وهم الذين يخرقونها، (حاميتها حراميتها)!

وَرَاعِي الشَّاةِ يَحْمِي الذُّبَّ عَنْهَا فَكَيْفَ إِذَا الرُّعَاةُ لَهَا ذَنْبٌ^(١)؟!

كيف تنفذ سوق الحياة؛ وهؤلاء الظلمة والطُّغاة والمجرمون لم ينالوا جزاءهم؟! أين حكمة الحكيم، وأين عدل العادل الحكم، إذا انتهت الحياة ولم ينل هؤلاء الجزاء؟!!

ثم في المقابل، كم من أناس أخيار يفعلون الخير للناس، ويضحون بأنفسهم، ويضحون بمنافعهم الخاصّة، وبشهواتهم من أجل الخير، ومن أجل النَّاس، ومع هذا لا ينالون إِلَّا التنكُّر والجحود! بل كثيرًا ما تقام في وجوههم العقبات، بل كثيرًا ما ينالون العقاب بدل الثواب، كثيرًا ما يُزجُّ بهم في السجون، كثيرًا ما تُكال لهم التهم الباطلة، كثيرًا ما تصبُّ عليهم سياط العذاب.

(١) ذكره من غير نسبة الدميري في حياة الحيوان الكبرى (٥٠٤/١)، نشر دار الكتب العلمية،

بيروت، ط ٢، ١٤٢٤هـ.

كم من أنبياء قُتلوا؟ وكم من مصلحين عُذبوا؟! زكريا عليه السلام نُشر بالمنشار كما تُنشر الخُشب، ويحيى عليه السلام ذُبِح كما تذبح الشاة، كم من أنبياء، وكم من مصلحين نالهم على أيدي الظلمة الأشرار الكثير من الألم والعذاب؟! أمن العدل أن تنتهي الحياة بهذا؟ أمن الحكمة أن يسوّى بين الأخيار والأشرار، وبين المتقين والفجار، وبين المؤمنين والكفار؟! لا، ليس من الحكمة في شيء، وهذا ما اعتبره القرآن الكريم عبثًا وباطلاً، وهذا ما ينتزّه الله تعالى عنه.

الحياة بغير آخرة عبث:

يقول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦]، ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧، ٢٨]. أيمن أن يستوي هؤلاء وهؤلاء؟ ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ ﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١، ٢٢].

من الحق الذي قامت به السماوات والأرض: أن يكون هناك جزاء عادل، هذا هو مقتضى الألوهية، ومقتضى الملكية الإلهية، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا وَبِمَجْزَى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]. من العبث والباطل أن ينهدم هذا الكون وينتهي كل شيء فيه، ولم يأخذ كل امرئ جزاءه الأوفى، عبث وباطل

ولعب، هكذا سمّاه القرآن: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَتٍ * مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الدخان: ٣٨ - ٤٠]. لا بدّ من يوم للفصل وللجزاء وللحساب، لتوفّى كل نفس ما كسبت وهم لا يُظلمون.

لا بدّ من يوم الحساب:

ومن هنا كان هناك يوم لا بدّ منه، هو يوم المحاكمة الكبرى، يوم الدين، يوم الفصل، يوم الحساب، يوم الساعة، يوم القيامة، يوم الزلزلة. سمّاه القرآن أسماء كثيرة، لكل منها معنى، ولكل منها مدلول، ولكل منها باعث يبعث في النفس أشياء وأشياء، حتّى يتذكر النّاس هذا اليوم.

كل الأنبياء والرسل جاؤوا يذكرون أقوامهم بهذا اليوم، يقول كل منهم لقومه: ﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩، والشعراء: ١٣٥، والأحقاف: ٢١]. كثيرًا ما يسترسل النّاس في دنياهم، ويطلقون لأهوائهم العنان؛ ناسين هذا اليوم العظيم، يوم يقوم النّاس لرب العالمين، فجاءت الرسل جميعًا تذكر بهذا اليوم، يوم الحساب الأكبر.

الحكمة تقتضي أن يكون هناك يوم لا بدّ منه للقاء الله تعالى وحسابه وجزائه. هذه هي الحكمة.

أمّا الذين يقولون: إن هي إلا أرحام تدفع، وأرض تبلع، ولا شيء وراء ذلك! فهوّلاء مخطئون، أخطأوا في حق أنفسهم، وأخطأوا في حق ربهم، وأخطأوا في حق الحكمة الإلهية. الذين قالوا: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾ [الأنعام: ٢٩]. لا، لا بدّ من بعث، لو كان الأمر ينتهي بالموت لسهلت الأمور، يقول الشاعر الصالح:

وَلَوْ أَنَّا إِذَا مِتْنَا تُرِكْنَا لَكَانَ الْمَوْتُ رَاحَةً كُلَّ حَيٍّ
وَلَكِنَّا إِذَا مِتْنَا بُعِثْنَا وَنَسْأَلُ بَعْدَهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ^(١)

الموت ليس نهاية المطاف:

لو كان الموت هو نهاية المطاف لاسترحنا، كما يقول الناس: مَنْ مات استراح. لا، ليس كل من مات استراح، ولكن الأمر كما قال النبي ﷺ، وقد مر بجنازة فقال: «مُسْتَرِيحٌ وَمُسْتَرَحٌ مِنْهُ». قالوا: يا رسول الله، ما المستريح والمستراح منه؟ قال: «العبد المؤمن يستريح من نَصَبِ الدُّنْيَا وأذاها إلى رحمة الله، والعبدُ الفاجرُ يستريح منه العبادُ والبلادُ والشجرُ والدوابُّ»^(٢).

بالموت يستريح بعض النَّاسِ، لأنَّه ينتهي إلى حياة طيبة، تبدأ بالحياة البرزخيَّة في قبر يكون له روضة من رياض الجنَّة. لكن هناك من لا يستريح بالموت؛ بل يُستراح منه: تستريح الأرض من شرِّه، ويستريح النَّاسُ من أذاه وظلمه، لا تبكي عليه أرض ولا سماء، كما قال الله تعالى في شأن الفراعنة الطغاة: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٩].

ليس كل إنسان يستريح بالموت، الموت هو بداية مرحلة جديدة، ليس الموت عدماً صرفاً كما يظنُّ الماديون، إنَّما هو مرحلة جديدة، نُقْلَةٌ جديدة إلى حياة جديدة، كما قال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «إِنَّمَا خُلِقْتُمْ لِلْأَبَدِ، وَلَكِنكُمْ تُنْقَلُونَ مِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ»^(٣). خلق الإنسان للخلود، وإنَّما

(١) نسبهما المبرد لعلي بن أبي طالب. انظر: الفاضل ص ١٣، نشر دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٣،

١٤٢١هـ، وعزاه الخطيب إلى رؤيا رآها دلف ابن أبي دلف لأبيه. انظر: تاريخ بغداد (٤٠٧/١٤).

(٢) متَّفَقٌ عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٥١٢)، ومسلم في الجنائز (٩٥٠)، عن أبي قتادة.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الدنيا (٢٣٤)، في خطبة طويلة، عن عمر بن عبد العزيز.

ينقل بالموت من دار إلى دار، ومن مرحلة إلى مرحلة، ومن منزلة إلى منزلة، وقد قال المَعْرِي فصدق:

خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسِبُونَهُمُ لِلنَّفَادِ
إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارِ أَعْمَالٍ إِلَى دَارِ شِقْوَةٍ أَوْ رَشَادٍ^(١)

الموت انتقال، الذين يستنكرون البعث يستنكرون الإحياء للناس بعد موتهم، هؤلاء غفلوا عن أشياء كثيرة، غفلوا أَنَّ اللهَ الَّذِي أَنشَأَهُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ قادر على أن يعيدهم.

يحييها الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ:

جاء أمية بن خلف من المشركين إلى النبي ﷺ يريد أن يحاجّه، وجاء بعظم قد رمّ وبلي، عظم من أحد المقابر رمّ وبلي، وظن أنه جاء بالدليل القاطع على عدم إمكان البعث، وقال: يا محمد، أتزعم أَنَّ اللهَ يحيي هذا بعدما رمّ وبلي؟ قال: «نعم، ويعيشك ويدخلك النار»^(٢). ونزل في ذلك قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ * وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ * قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ * الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ * أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَى أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ * إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * فَسُبْحَنَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٧٧ - ٨٣].

(١) سقط الزند ص ٨، نشر دار صادر للطباعة والنشر، بيروت.

(٢) رواه الإسماعيلي في معجم شيوخه (٣٥٩)، والحاكم في التفسير (٤٢٩/٢)، وصحّحه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، عن ابن عباس.

الذي أنشأها أول مرة قادر على أن يعيدها، والذي نصب هذا الكون العتيد بسماواته وأرضه وأفلاكه، ونباتاته وحيواناته وجماداته، الأرض شيء صغير صغير بالنسبة لهذا الكون، والإنسان شيء صغير صغير بالنسبة للأحياء على هذه الأرض، فما العجب أن يحيي الله الإنسان بعد موته، ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]. الذين يستبعدون البعث غفلوا عن حقائق، وغفلوا عن أدلة بدهية واضحة يرونها حولهم، من آيات الله وَجَلَّ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]. وكما قال تعالى في سورة أخرى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

أسباب الحياة في هذا الكون قد بثها العليم القدير: حياة النبات، وحياة الحيوان، وحياة الإنسان. إنَّ الدفقة الواحدة من نطفة الإنسان تحمل الملايين من الحيوانات المنوية، كل واحد منها صالح لأنْ تقوم عليه حياة بشرية كاملة، انظروا إلى الأسباب التي بثها الله للحياة، كيف يستبعد الناس أن يعيد الله الناس أحياء بعد ما أماتهم، إنَّ الله على كل شيء قدير.

لا بد أن يقوم الناس لرب العالمين، لا بد أن تنصب محكمة الجزاء الكبرى، الحاكم فيها هو الله وحده، والشهود فيها منك وعليك ولك، ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ يَوْمَ يُؤْفِكُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿[النور: ٢٤، ٢٥].

الإيمان بالآخرة، الإيمان باليوم الآخر، الإيمان بالجزاء والحساب والجنة والنار، هذا أصل أصيل من الإسلام ومن كل دين سماوي، ولهذا



حديث يطول، سنعود إليه إن شاء الله، نسأل الله تبارك وتعالى أن يجعلنا ممن يذكرون الآخرة، وأن يجعلنا ممن يرجون رحمته ويخافون عذابه، اللهم آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

نشأة حركة المقاومة الإسلامية:

بدأ الشهر الثالث لحركة المقاومة الإسلامية في فلسطين المحتلة، هذه الحركة الشجاعة المؤمنة الباسلة، التي ظلمت حينما سُمّيت انتفاضة، وهي شيء أعمق وأكبر من مجرد انتفاضة، الانتفاضة حركة طارئة ثمّ تنتهي، ولكن هذه ليست مجرد انتفاضة، إنّما هي حركة جهادية عادت إلى أصولها وجذورها، عادت بالجهاد الفلسطيني إلى أصله، يوم نادى المنادون منذ عهد الشيخ القسام والشيخ الحسيني وآخرين ممن صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

حركة أرادت أن يعود الجهاد إيماناً إسلامياً، وأن تعود هذه الأمة إلى أصلها، ولذلك انطلقت الحركة أوّل ما انطلقت وإلى اليوم من المساجد، انطلقت من بيوت الله، انطلق بها الراكعون الساجدون، الحامدون الربّانيون، وهذا هو المرجو لهذا الجهاد، إنّما تنتصر حركة المقاومة يوم تعرف هذا الطريق، وقد عرفته مآذن فلسطين في غزة، وفي الخليل وفي نابلس، تتنادى بالجهاد. من المآذن: حيّ على الجهاد، حيّ على الجهاد. القَسَم في المساجد قَسَم بالجهاد والإصرار، والصلابة والصمود حتّى ينصر الله هذه الحركة.

تأييد المقاومين واجب:

هذه حركة يجب أن نكون كلنا معها، طالما قلنا: إنّ النبي ﷺ أشار إلى الفئة المنصورة، الفئة التي تستطيع أن تقضي على جبروت اليهود،

وغطرسة اليهود، وظلم اليهود؛ وذلك في الحديث الصحيح المتفق عليه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ، قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي: يا مسلم، هذا يهودي ورائي فاقتله»^(١). يا مسلم، يا عبد الله. أي أنه دخل المعركة تحت راية الإسلام، تحت شعار العبودية لله، ولهذا تناديه هذه الجنود الإلهية من الحجر والشجر، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدر: ٣١]. كلها تناديه: هذا يهودي ورائي فتعال فاقتله.

هل تتكلم الحجارة ويتكلم الشجر بلسان المقال أم بلسان الحال؟ لا حرج على قدرة الله: أن ينطق الحجر، وأن يتكلم الشجر، ولا بأس أن يكون ذلك بلسان الحال؛ لأن النصر إذا جاء يكون كل شيء معك ضد عدوك، كل شيء يكشف عدوك ويدل عليه، ولكن إذا جاء الخذلان فكل شيء يكون ضدك، حتى السلاح الذي في يدك، وقد رأينا هذا. رأينا معارك لم يُجد فيها السلاح، ولم تُغن فيها الدبابات.

الإيمان يصنع العجائب:

حينما يُوجد الإيمان يصنع العجائب، وقد عرف هذا الجيل الصاعد، جيل الحجارة، الجيل الذي يقذف بالطوب وبالحجارة وبالزجاجات، وبكل ما يستطيع، لأنه آمن بقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]. هذا ما استطاعوه، استطاعوا أن يمسكوا بالحجارة، وأن يضربوا بالمقاليع، وأن يقذفوا بزجاجات (المولوتوف)، وأن يفعلوا الأفاعيل، وقد تفتت أذهانهم عن أشياء وأشياء بالممارسة.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الجهاد والسير (٢٩٢٦)، ومسلم في الفتن (٢٩٢٢).

الإيمان يصنع البطولات، ويفعل الروائع، ويتخطى المستحيلات، أو ما يظنه النَّاسُ مستحيلات، هذا الجيل المؤمن، جيل المساجد، الجيل الذي رفع المصاحف كما نراها بأعيننا، حينما يعرضها التلفزيون، وكثيرًا ما تُخفي التلفزيونات هذه المشاهد! رأينا هذه المصاحف ترفع، رأينا الهتافات المدوية: لا إله إلا الله، والله أكبر.

رأينا هؤلاء الشباب وهؤلاء الصبيان، يرفعون هذه الشعارات، ويملؤون الجو بهذه الهتافات، الهتافات المدوية التي تخترق الأجواء، وتبلغ عنان السماء، حينما يقولون: ثورة ثورة على المحتل، غير المصحف ما في حل! خير خير يا يهود، جيش محمد سوف يعود!

دين محمد ﷺ لم يمت:

اليهود كانوا يقولون: محمد مات خلف بنات. هكذا كانوا يقولون في وقت من الأوقات، أن الإسلام دالت دولته، وذهب وحيه، محمد مات خلف بنات، لم يخلف رجالا!

أراد هؤلاء الصبيان أن يثبتوا لهم أن محمد لم يمت، مات جسده، ولكن دينه باقٍ، ولكن سيرته باقية، ولكن رسالته مستمرة، ولكن المؤمنين به باقون أبد الدهر. محمد لم يمت، ودينه لم يمت، ورسالته لم تمت. والأجيال المؤمنة بهذه الرسالة مستمرة.

لقد أعاد هؤلاء الشباب: صبيان الحجارة، أعادوا الثقة إلى أنفسنا، بعد أن نسي النَّاسُ هذه القضية، حتَّى إن اسم فلسطين لم يعد يُذكر. أصبحوا يسمونها قضية الشرق الأوسط، والصراع العربي الإسرائيلي، أو ما شئت من أسماء، حتَّى لا يذكر اسم فلسطين، لا يذكر اسم أرض



النبوات، أرض المقدسات، أرض المسجد الأقصى. أعاد هؤلاء الشباب المؤمنون إلينا الثقة لأنفسنا، حتّى نتبه من غفلة، وحتى نصحو من سكرة، وحتى ننظر إلى أنفسنا بشيء من الثقة، بعد أن خيم ظلام اليأس على القلوب، فطفقنا نسير وراء حلول استسلاميّة من هنا وهناك.

وكَلَّمَا عدا اليهود علينا عدوانًا جديدًا نسينا العدوان القديم، وأصبح همنا أن نزيل آثار العدوان الجديد، ونسكت على العدوان الأصلي القديم. وإسرائيل كلها من أساسها قائمة على الاغتصاب والعدوان، وإخراج شعب من أرضه ودياره، وتشريده بغير حق.

يجب أن نحیی القضية الفلسطينية:

لا بد أن تحیی هذه القضية، الّتي هي القضية الأولى من قضايا المسلمين، وقضايا الأرض الإسلاميّة: قضية الأقصى، قضية المسجد الّذي بارك الله حوله، أرض الإسراء والمعراج. لا بدّ أن يكون لها حقها، لا بدّ أن تستمر هذه اليقظة، هذه الصحوّة، وهي من ثمار الصحوّة الإسلاميّة المباركة، الّتي عمّت أرض الإسلام مشرقًا ومغربًا، وشمالًا وجنوبًا.

المقاومة ثمرة الصحوّة الإسلاميّة:

الذين يقولون: أين ما قدمته الصحوّة؟ نقول لهم: هذه بعض ثمار الصحوّة، ما يجري في أرض الإسلام: في أفغانستان، أو في فلسطين، أو في الفلبين، أو في غيرها، كله من ثمار الصحوّة الإسلاميّة. يجب أن نعترف بهذا، ويجب أن يعلم الجميع أن صحوّة الإسلام ليس فيها عدوان على أحد، حتّى المسيحي في أرض المسلمين ينبغي أن يعترف بالصحوّة الإسلاميّة؛ لأنّ الصحوّة ملك للجميع، عنوانها الإسلام، وهدفها

الإسلام، حتّى بالنسبة للنصراني الذي يعيش معنا، الإسلام حضارة له، وثقافة له. وكما قال أحد الزعماء النصارى المصريين، الزعيم مكرم عبيد: أنا مسيحي دينا، مسلم وطنا. أي أنّي أعيش في وطن الإسلام وفي دار الإسلام، وأعتبر الإسلام وطني. وكما قال كثير من النصارى الواعين: إنّ الإسلام حضارتنا جميعاً، وثقافتنا جميعاً.

هذا ما ينبغي أن نشجعه ونؤيده ونباركه، ونشد من أزره دون حساسية، لا بدّ أن يقود الإسلام المعركة، وهذا ما عرفه أبنائنا وشبابنا وجيلنا الصاعد في فلسطين. لم يمت هذا الجيل، حتّى الذين عاشوا في الأرض المحتلة منذ ١٩٤٨م. هؤلاء الذين ظنّ الظانون أنّهم ذابوا في الكيان الصهيوني، وأنّهم قد انتهوا تماماً، هؤلاء سرت فيهم الصحوة، وسرت فيهم اليقظة الإسلامية الجديدة، فعرفوا هويتهم، وعرفوا انتماءهم العربي الإسلامي، فبدؤوا من جديد يعينون إخوانهم، وبدؤوا يمدون إليهم يد المعونة. هذا هو الذي ينبغي.

إننا الآن على أبواب مرحلة جديدة من مراحل الجهاد؛ لتحرير الأرض المقدسة، ينبغي أن نكون معها، وألاً نلوي زمامها، ولا نشني عنانها عن طريقها الصحيح. هذه الحركة المباركة، حركة الجهاد، حركة المقاومة، حركة الصمود الأصيل، حركة المصابرة والمرابطة هذه ينبغي أن تُعان، وينبغي أن نقف معها جميعاً حتّى يكتب الله لها النصر، حتّى يقول الحجر والشجر: يا عبد الله، يا مسلم، هذا يهودي ورائي فتعال فاقتله.

أيّها الإخوة، بعد صلاة الجمعة إن شاء الله، سنقيم صلاة الغائب على أرواح الشهداء، نسأل الله تبارك وتعالى أن يتقبلهم، وأن يجعلهم من جنده المصطفين الأخيار.



تكوين الإنسان المسلم: الإيمان باليوم الآخر (٢)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

ما يزال حديثنا متصلاً حول العقيدة الإسلامية، حول الإيمان الذي لا يصلح إنسان إلا به، ولا تصلح حياة إلا على أساسه، لا تقوم حياة صالحة إلا بالإيمان، ولا يتكون فرد صالح إلا بالإيمان: الإيمان بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر.

تحدثنا عن الإيمان بهذه الأركان، ووقفنا عند الحديث عن اليوم الآخر، ضرورة الإيمان باليوم الآخر، وحكمة الإيمان باليوم الآخر، وقدرة الله تعالى على بعث الناس من قبورهم أحياء كما خلقهم أول مرة ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الروم: ٢٧].

كل الرسائل تدعو إلى اليوم الآخر:

لا نزال عند الإيمان باليوم الآخر، هذا الركن العظيم من أركان العقيدة، الذي اشتركت في الدعوة إليه كل النبوات، وجميع الرسائل،

كل الأنبياء والمرسلين أنذروا قومهم هذا اليوم العظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين، كل الأنبياء والمرسلين أنذروا قومهم أنَّ الموت ليس نهاية المطاف، إن بعد هذه الحياة موتًا، وبعد الموت بعثًا، وبعد البعث جنة ونارًا.

خصائص اليوم الآخر في القرآن الكريم:

هذا اليوم، اليوم الآخر، حفل القرآن بالحديث عنه، يكاد يكون ثلث القرآن، في الحديث عن القيامة، وعن الحياة الآخرة، وعن الجنة والنار، عن هذا اليوم العظيم.

هذا اليوم تحدث عنه القرآن بجملة خصائص:

الخصيصة الأولى: أنه يوم الهول الأكبر.

الخصيصة الثانية: أنه يوم العدل المطلق.

الخصيصة الثالثة: أنه يوم الحصاد والجزاء الأعظم.

يوم الهول الأكبر:

يوم القيامة يوم الهول والفرع الأكبر، ما يراه الناس في الدنيا من شدائد، ليس بشيء يذكر أمام هول يوم القيامة، كل ما يواجهه الناس في هذه الدنيا من كربات تضيق بها عليهم الأرض بما رحبت، ليس بشيء أمام كربات يوم القيامة، أيُّ هول وأيُّ فرع وأيُّ كربة أمام ذلك اليوم الذي يخرج الناس فيه من الأجداث إلى ربهم ينسلون؟ كأنهم جراد منتشر، يخرجون من قبورهم ليس معهم شيء ممَّا حولهم الله به في الدنيا: لا مال، لا جاه، لا خدم، لا حشم، وصدق الله العظيم إذ يقول.

﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤]، ﴿وَتَرْكُتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾.

كيف يُحشر الناس؟

يحشر النَّاس في الموقف العظيم كما خلقهم الله، كما ولدتهم أمهاتهم كما روت عائشة وأم سلمة عن النبي ﷺ قال: «يحشر النَّاس حفاة عراة غرلاً». قالت عائشة: الرجال والنساء جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟! قال: «الأمر أشد من أن يهتمهم ذلك»^(١).

تصوِّروا، أين الذين يلتهمون الغاديات الرائحات؟ هؤلاء في الآخرة يرون النساء عرايا أمامهم ولا يلتفت إليهن أحد! هي المحاكمة الكبرى، أولو كان أحد ينتظر الحكم بالإعدام ينظر إلى أحد بجواره؟ الأمر ليس أمر إعدام. إنه جنة أو نار، إنه نعيم الأبد أو عذاب الأبد، ﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].

اختفاء العواطف والعلاقات يوم القيامة:

لا يفكر أحد في أمر أحد، العواطف الكبيرة الأصيلة في الدنيا تختفي يوم القيامة، عاطفة الأبوة والبنوة والأمومة والأخوة والصداقة، كل هذه لا تغني شيئاً في ذلك اليوم، هناك فردية وأناية مطلقة، كل إنسان يقول نفسي نفسي، نفسي نفسي. ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: ٣٣] لا يغني والد عن ولده، ولا ولد عن والده، هذا هو الهول.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الرقاق (٦٥٢٧)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٥٩).

ولهذا سَمَّى الله هذا اليوم بأسماء، هذه الأسماء نفسها توحى بهذا اليوم وعظمته، الطامة، الصاخة، الحاقة، القارعة، هذه الأسماء من شأنها أن تزلزل القلوب زلزالاً: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾ * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى * وَبُرِزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى * [النازعات: ٣٤ - ٣٦] برزت الجحيم لمن يرى، يقف الإنسان بين يدي ربه ولا حجاب ولا ترجمان، فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، وينظر عن شماله فلا يرى إلا النار، وينظر أمامه أو خلفه فلا يرى إلا النار^(١).

أي هول أشد من هول هذا اليوم؟ ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ﴾ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ * وَأَبِيهِ * وَصَحْبِهِ * وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ * [عبس: ٣٣ - ٣٦].

دنو الشمس من الرؤوس يوم القيامة:

أي هول أعظم من هول يوم القيامة؟ هذا الهول الذي يرى الناس فيه الشمس وقد دنت من رؤوسهم، والعرق يلجمهم حتى يبلغ شحوم آذانهم، ولا ظل إلا ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله، لا مظلة ولا شجرة ولا بناء.

أي هول أشد من هول هذا اليوم وليس هو أربعاً وعشرين ساعة، ولا شهراً، ولا سنة، إنه يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، إن الناس يطول عليهم هذا اليوم ويطول ويطول حتى يتمنى قوم الانصراف من هول الموقف؛ ولو إلى النار.

أي هول أشد من هول يوم القيامة؟ هذا الهول العظيم الذي يذهب الناس فيه إلى الأنبياء والرسل يتشفعون بهم إلى الله ليقضي بين الخلائق، حتى يستريح الناس من هول هذا اليوم بالفصل والحساب؛ أيًا كنت النتيجة

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٥١٢)، ومسلم في الزكاة (١٠١٦)، عن عدي بن حاتم.

والعاقبة، يذهبون إلى آدم وإلى نوح وإلى إبراهيم وإلى موسى وإلى عيسى، وكل واحد يحيل إلى من بعده؛ حتى يحيلهم عيسى على محمد ﷺ فيقول: أنا لها، أنا لها، ويشفع إلى الله ﷻ، ويحمده بمحامد لم يحمده بها أحد من قبل، فيشفعه الله تبارك وتعالى في الخلق الشفاعة العظمى.

أي هول أشد من هول هذا يوم القيامة؟ إنه يوم الهول الأكبر، الناس يحشرون مشاة وركباناً، ومنهم من يحشر على وجهه ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٤]. سأل رجل النبي ﷺ قال: يا رسول الله، كيف يحشر على وجهه؟ كيف يمشي على وجهه؟ فقال ﷺ: «أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه؟»^(١). ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمِيَآ وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّا وُفِّيَتْ بِهِمْ جَهَنَّمَ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، أي هول يوازي أو يقارب بعض المقاربة هول يوم القيامة؟ مهما تحدثنا لا نستطيع أن نوفي هذا اليوم حقه.

اقرأوا القرآن الكريم، اقرأوا السور المكية خاصة، اقرأوا جزء تبارك، وجزء عم يتساءلون، اقرأوا الآيات التي ترتعد منها الفرائص، ويرجف منها الفؤاد، وتنزل بها القلوب، وترهب منها النفوس. اقرأوا قول الله ﷻ ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ عَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ تَبْرُزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ * وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُمْ مِّن قِطْرَانٍ تَغْشَىٰ وَجُوهُهُمْ النَّارُ * لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [إبراهيم: ٤٨ - ٥١].

إنه هول يوم القيامة، وما أشده من هول وما أعظمه.

(١) متفق عليه: البخاري في تفسير القرآن (٤٧٦٠)، ومسلم في صفات المنافقين (٢٨٠٦)، عن أنس.

يوم العدل المطلق:

يوم القيامة هو يوم العدل المطلق، العدالة الإلهية تتجلى في هذا اليوم، كان الله ﷻ قادراً على أن يأتي بالمطيعين فيدخلهم الجنة، وبالعصاة فيقول اذهبوا إلى النار، وهو خالق الخلق، ومالك الملك، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، ولكنّه أراد أن يقيم محاكمة كبرى، إنّه يوم المحاكمة الكبرى، القاضي فيها هو أحكم الأحكامين، هو أحكم الحاكمين، أحكم الحاسبين هو الله ﷻ، القاضي هو الله ﷻ.

أعمال الإنسان محصاة ومسجلة:

والإنسان يقف بين يدي الله ﷻ تحكم عليه أعماله، تحكم عليه صحائفه، إمّا أن يؤتاها بيمينه، وإمّا أن يؤتاها بشماله والعياذ بالله: اقرأ كتابك: ﴿وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾ ﴿أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]:

سجل أعمالك ها هو أمامك، يقرؤه الأمي والمتعلم، أشبه بشرط سُجلت فيه الحياة كلها، ينظر فيه فيرى نفسه في كل غدوة أو راحة، في كل حركة أو سكون، في كل طاعة أو معصية!

هذا السجل، هذا الكتاب، فيه أعمالك كاملة بلا زيادة ولا نقص: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يُوَيْلُنَا مَا لِي هَذَا الْكِتَابِ لَا يَغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. ووجدوا ما عملوا حاضراً ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾ [آل عمران: ٣٠]، ﴿يَوْمَ يَذَّيْبُ النَّاسُ أَشُنَّاءَ لِّمَنَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [الزلزلة: ٦]!

يقرؤون هذا الكتاب فيرون كل شيء، الصغيرة والكبيرة قد أحصاها،
كان قلم التسجيل الإلهي يحصي عليهم كل شيء، كان رقيباً عتيداً
يشهد، ويكتب عليهم، عن اليمين وعن الشمال قعيد: ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا
لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ
يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠] وما يُكتب لا يرمى في سلة المهملات ولا يضيع،
بل يُحفظ ويُبقى حتّى يواجه به صاحبه يوم القيامة: ﴿أَفَرَأَىٰ كِتَابَكَ كَفَىٰ
بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤].

من تمام العدل وزن الأعمال:

ولا يقف الأمر عند الحساب، فهناك زيادة في إثبات العدل الإلهي
في هذا اليوم، هناك الموازين، توزن الأعمال خيراً كانت أم شراً، حسنات
كانت أم سيئات!

كيف توزن الأعمال؟ إنها توزن، عرفنا في عصرنا موازين لأشياء
كثيرة، موازين للحرارة وللضغط وللهواء وللماء، ليس الميزان هو
الميزان الحديدي، الموازين تتفاوت، المهم أن عند الله ميزاناً توزن به
الأعمال: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ
مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

جاء رجل من أصحاب النبي ﷺ فقال: إن لي مملوكين يكذبونني،
ويخونونني، ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم، فكيف أنا منهم؟ فقال
رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك
وكذبوك، وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان
كفافاً لا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتصر لهم
منك الفضل». فتنحى الرجل، وجعل يهتف ويبكي، فقال له

رسول الله ﷺ: «أَمَا تَقْرَأُ قَوْلَ اللَّهِ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]؟». فقال الرجل: يا رسول الله ما أجد لي ولهؤلاء خيراً من مفارقتهم، أشهدك أنهم كلهم أحرار^(١). ما دامت المسألة بهذا التحديد وهذا التدقيق فليرح نفسه، ويعتقهم لوجه الله، لا بدّ من حساب، وميزان لحبة الخردل. كل شيء يوزن لك أو عليك، ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿ [الأعراف: ٨ - ٩].

السؤال المباشر من الله:

صحف وميزان، ثم سؤال مباشر من الله ﷻ ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣] يُسأل عن كل شيء: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن علمه ماذا عمل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه^(٢).

يُسأل فعلية أن يحضر للسؤال جواباً.

شهادة الجوارح:

ليس هناك من يستطيع أن يكذب في هذا اليوم، فكل جوارحه تشهد ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٤، ٢٥] يعلمون أن الله هو الحق

(١) رواه أحمد (٢٦٤٠١)، وقال مخرّجوه: حديث ضعيف. والترمذي في التفسير (٣١٦٣)،

واستغربه. وصحّح إسناده الألباني في صحيح الترمذي (٢٥٣١)، عن عائشة.

(٢) رواه الترمذي في الزهد (٢٤١٦)، وقال: حديث غريب. وحسنه الألباني في صحيح الجامع

(٧٢٩٩)، عن ابن مسعود.

المبين، وبعض الناس يُنكر ويقول: لا أقبل شاهداً إلا من نفسي، وهذا يختم على فمه على فيه وتكلم جوارحه، تتكلم يده بما أخذ من حقوق، وتكلم عينه إلى ما نظر إليه من حرام، وسمعه بما استمع إليه من حرام، ورجله بما مشى إليه من حرام، كل جوارحه تنطق كما قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥] حتى الجلود تشهد: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ * حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَرُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَقَالُوا لِمَ لَجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت: ١٩ - ٢١].

هكذا تشهد الجوارح والجلود، ينطقها الله الذي أنطق كل شيء، ليس هذا فقط، بل يشهد عليه كل من حوله، الأرض التي ارتكب عليها المعصية تشهد عليه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا * وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا * وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا * يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا * بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ١ - ٥]! روى الترمذي في سننه عن أبي هريرة قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُخَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤] قال: «أتدرون ما أخبارها؟». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «فإن أخبارها: أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول عمل يوم كذا: كذا وكذا». قال: «فهذه أخبارها»^(١). كل شيء يشهد على الإنسان، السماء تشهد، والنجوم تشهد، والأنبياء يشهدون: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثَمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [النحل: ٨٤]، والملائكة يشهدون، والعلماء والدعاة إلى الله الذين كانوا يكذبون، ويستهزأ بهم

(١) رواه أحمد (٨٨٦٧)، وقال مخرجه: إسناده ضعيف. والترمذي في صفة القيامة (٢٤٢٩)،

وقال: حسن غريب صحيح.

يشهدون: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

كل شيء يشهد على الإنسان، ولذلك لا يجدي الجحود، ولا يجدي الإنكار، ولا يجدي الكذب، السؤال من الله وَجَّكَ والحساب العدل، العدل المطلق في هذا اليوم.

الشفاعة في هذا اليوم:

كانت بعض الأديان قد أفسدت العدل الإلهي يوم القيامة، ظنوا أن هناك من يستطيع أن يشفع لهم عند الله وَجَّكَ، زعم الوثنيون أن أصنامهم تشفع لهم، أن مناة واللات والعزى وهبل وغيرها تشفع لهم عند الله، وزعم النصارى أن المسيح سيشفع لهم عند الله، وزعم من زعم أن عندهم شفعاء يستطيعون أن يؤثروا على شفاعة الله وَجَّكَ! هنا نفى القرآن هذا وقال: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، هناك قوم لا تنفعهم شفاعة الشافعين: ﴿مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، والظالمون هنا هم المشركون، لا تنفعهم شفاعة الشافعين.

الشفاعة في هذا اليوم للمؤمنين وتكون بإذن الله: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى﴾ [الأنبياء: ٢٨]، كما قال الله في شأن الملائكة: ﴿وَكَمْ مِنْ مَّلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ [النجم: ٢٦].

لا أنساب تنفع يوم القيامة:

يوم القيامة هو يوم العدل المطلق، الإنسان لا يحاسب على أساس نسبه أو حسبه، أو مجرد عنوان ينتمي إليه، إنما يحاسب ويحكم له أو

عليه إيمانه وعمله: ﴿فَإِذَا تُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، لما نزل قول الله تعالى ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. جمع النبي ﷺ أهله وأقرب الناس إليه وقال لهم: يا معشر قريش؛ أو كلمة نحوها: اشترُوا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً! يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً! «يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً! ويا صفية عمّة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئاً! ويا فاطمة بنت محمّد، سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئاً»^(١).

وقد ذكر لنا القرآن ابن نوح وكيف لم ينفعه أبوه، وزوجة نوح وزوجة لوط، كيف لم ينفعهما نوح ولا لوط، وكذا إبراهيم لم ينفع أباه أزر: ﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَفْغَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا بَيَّنَّ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤].

يوم الحصاد والجزاء:

يوم القيامة يوم الهول الأكبر، ويوم العدل المطلق، وهو كذلك يوم الجزاء الأعظم، يوم الحصاد، هذه الحياة هي أيام الزرع، أمّا الحصاد فيوم القيامة، اليوم زرع ولا حصاد، وغداً حصاد ولا زرع! اليوم عمل ولا حساب، وغداً حساب ولا عمل!

فَمَا لَكَ يَوْمَ الْحَشْرِ شَيْءٌ سِوَى الَّذِي تَزَوَّدْتَهُ قَبْلَ الْحِسَابِ إِلَى الْحَشْرِ
إِذَا أَنْتَ لَمْ تَزْرَعْ وَأَبْصُرْتَ حَاصِداً نَدِمْتَ عَلَى التَّفْرِيطِ فِي زَمَنِ الْبَذْرِ^(٢)

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الوصايا (٢٧٥٣)، ومسلم في الإيمان (٢٠٤)، عن أبي هريرة.

(٢) ذكر الدينوري أن الحسن بن صالح كان يتمثل بهما. انظر: المجالسة وجواهر العلم (٣١٣/٢)، تحقيق مشهور حسن آل سلمان، نشر جمعية التربية الإسلامية، البحرين، ١٤١٩هـ.

ونحن الآن في زمن البذر، أمّا الجزاء، وأمّا الحصاد، فهو يوم القيامة! وماذا يحصده الناس هناك؟ يحصد الإنسان من جنس ما زرع، الجزاء من جنس العمل، ازرع خيرًا تحصد خيرًا، ازرع شرًا تحصد شرًا، إنك لن تجني من الشوك العنب، لا يمكن أن تزرع الحنظل ثمّ تجتني بعد ذلك الحلو، كل إنسان يجني ثمرة ما غرس، هذا هو يوم القيامة؛ يوم الجزاء، يوم الحصاد!

يوم الجزاء:

هناك إمّا جنة، وإمّا نار، إمّا نار وقودها الناس والحجارة، وما أدراك ما النار؟ إنّ النبي ﷺ يقول: «نار بني آدم التي توقدون جزءً من سبعين جزءًا من نار جهنّم»، قالوا: يا رسول الله، إن كانت لكافية: نار الدنيا ليست هيّة فمن يصبر على حرّها؟! قال: «فإنّها فضّلت عليها بتسعة وستّين جزءًا»^(١).

فما ظنك أيّها الإنسان الضعيف أمام هذه النار؟ كان بعض السلف يضع يده عند المصباح، السراج، فيلسعه السراج، فيقول: يا ويلاه، لا أتحمل لسعة السراج فكيف بحر نار يوم القيامة! وكما روى عن داود عليه السلام: إلهي لا صبر لي على حرّ شمسك، فكيف أصبر على حرّ نارك؟^(٢)!

جِسْمِي عَلَى الشَّمْسِ لَيْسَ يَقْوَى وَلَا عَلَى أَهْوَنِ الْحَرَارَةِ!
فَكَيْفَ يَقْوَى عَلَى جَحِيمٍ وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ؟^(٣)!

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٦٥)، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها (٢٨٤٣)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد في الزهد (٣٦٨).

(٣) ذكره من غير نسبة بلفظ مقارب الشارعي في مرشد الزوار إلى قبور الأبرار (٤٣٨/١)، نشر الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط ١، ١٤١٥هـ.

هناك النار وهناك الجنة، الجنة والنار ليس هناك أعظم منهما، إلى أي واحدة أنت صائر؟! انظر إلى عملك لتحكم على نفسك: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿[الانفطار: ١٣، ١٤] فمن أي الصنفين أنت؟ النار والجنة؟ وما أدراك ما الجنة؟ صف ما شئت من نعيم الدنيا، فاعلم أنه لا يساوي ذرة من نعيم الجنة، النبي ﷺ يروي عن ربه في الحديث القدسي أنه تعالى يقول: «أعددت لعبادي الصالحين في الجنة: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. اقرؤوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]»^(١).

الجنة والنار أيها المسلمون، الجنة والنار، لا بد للإنسان أن يذكرهما دائماً، يسأل الله الجنة ويستعيد به من النار، روي أن أكثر ما كان يدعو به النبي ﷺ هذا الدعاء القرآني الجامع: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١]^(٢). هذا ما ينبغي أن يشغل المسلم به نفسه، اجمع ما شئت من الدنيا، واصنع ما شئت بها، فإنك صائر إلى الموت، وإنك بعد الموت صائر إلى الله، وموقوف بين يديه، ومسؤول عن عملك، ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصفات: ٢٤]. فحضر لهذا اليوم عدته، وخذ له أهبتة ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]، ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٣].

فاللهم اجعلنا من المؤمنين الصادقين، واستغفروا ربكم، إنه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في بدء الخلق (٣٢٤٤)، ومسلم في الجنة (٢٨٢٤)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في التفسير (٤٥٢٢)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٩٠)، عن أنس.

الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

لا تزال حركة المقاومة الإسلامية في فلسطين ماضية في طريقها، لقد عرفت الطريق الصحيح، والطريق الصحيح هو الرجوع إلى الله ﷻ، هو الانطلاق من المسجد، هو الانطلاق من المصحف، هو اللجوء إلى السماء قبله الدعاء، بدل أن كان الناس يتجهون إلى الشرق وإلى الغرب، إلى هذا المعسكر حيناً وذاك المعسكر حيناً، ولا يلتفتون يوماً إلى السماء ويقولون يا رب!

حركة المقاومة الإسلامية التي سمّوها الانتفاضة، وهي أعمق وأكبر من مجرد انتفاضة، ما تزال ماضية في طريقها، يقودها هذا الجيل الذي تربّى في حضنة الإسلام، الجيل الذي لا يهاب الموت، الذي يقذف بالحجارة أمام المدافع وأمام الرصاص، وأمام هؤلاء الذين لا يرقبون في مؤمن إلّا ولا ذمة، اليهود الذين لا يرعون لبشر مكانة ولا حرمة، الذين يقتلون الشيوخ والأطفال، الذين يقتلعون الأشجار، الذين يبغضون بطون الحوامل، الذين يكسرون العظام والأذرع، الذين يدفنون الناس أحياء، هؤلاء اليهود ليس هذا جديداً علينا منهم، ولكن المهم أن هذا الجيل المؤمن ماض في طريقه، ونسأل الله أن يثبتته على هذا الطريق، أن يثبت قدميه!

إنّ المسلم إذا عرف أنّ الله معه، وأنّه يقاتل عن حق، أعدّ ما يستطيع من قوّة، هذا هو المكلف به، لم يكلف أن يعد كما عند الآخرين، وإنّما لا يدخر وسعاً، كل ما لديه يقاتل به، هذا الجيل سينتصر بإذن الله،

سينتصر وسيأتي اليوم الذي يقول فيه الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله، هذا يهودي ورائي فتعال فاقتله؛ وإنّا لهذا اليوم لمنتظرون.

علينا أن نقف مع هؤلاء الإخوة، نمدّهم ونساعدهم بكل ما يقوئهم ويشد عضدهم، سنشد عضدك بأخيك، نبذل المال، ونعطي من أنفسنا، وندعو لهم في السر والعلن، حتّى ينصرهم الله تبارك وتعالى.

﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾

[غافر: ٥١].

اللهم انصر إخواننا المجاهدين في فلسطين، وانصر إخواننا المجاهدين في أفغانستان، وانصر إخواننا المجاهدين في أريتريا، وانصر إخواننا المجاهدين في الفلبين، وانصر إخواننا المجاهدين في كل مكان! اللهم خذ بأيديهم إلى مواطن النصر! اللهم أيدهم بملا من جندك! وأمدّهم بروح من عندك! واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلاهم في كفك الذي لا يضام!

اللهم عليك باليهود الغادرين! اللهم عليك بالشيوخ الملحدين! اللهم عليك بالصليبيين المستعمرين! اللهم عليك بأعدائك أعداء الدين! اللهم رد عن المسلمين كيدهم، وفل حدهم، وأذهب عن أرضك سلطانهم، ولا تدع لهم سبيلاً على أحد من عبادك المؤمنين!

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا في كل خير، واجعل الموت راحة لنا من كل شر!

اللهم اجعل يومنا خيراً من أمسنا، اجعل غدنا خيراً من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة!

اللهمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا!
 اللهمَّ استرْ عوراتنا، وآمِنْ روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا،
 وعن أيمننا وعن شمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا!
 اللهمَّ أكرمنا ولا تُهِنَّا، واعطينا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا
 ولا تؤثر علينا، وارضَ عنا وأرضنا.

﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا
 لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

عباد الله: يقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]. اللهمَّ صلِّ
 وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحبه والتابعين.
 ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ
 اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٥].





خطر المعاصي وضرورة المحاسبة^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

هذه آخر جمعة في عامنا الهجري، وقد اعتاد التجار في آخر كل عام أن يعملوا حسابًا ختامياً لتجارتهم؛ ليعرفوا ماذا ربحوا فيه، وماذا خسروا؟ ليستكثروا من أسباب الربح، ويتفادوا أسباب الخسارة.

التجارة مع الله:

ونحن جميعاً نتاجر مع الله تعالى في سوق الطاعات، ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِآتٍ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١]، الله الذي قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ * لِيُوفِيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٢٩، ٣٠].

نتاجر مع الله تعالى الذي قال: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذِلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ * تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠، ١١].

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ٤ فبراير ٢٠٠٥م.

ويشير إلى ربح هذه التجارة في الدنيا فيقول: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الصف: ١٢]. ثم يشير إلى ربح هذه التجارة في الآخرة فيقول: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصف: ١٣].

بين خسران الدنيا والآخرة:

هناك تجارة رابحة مع الله ﷻ؛ فيا طوبى لمن تاجر مع الله وربح،
ويا تعاسة من خسرت تجارتها!

مَنْ رَبَحَتْ تجارتها ربح في الآخرة مغفرة الذنوب، وربح الجنة، وربح في الدنيا الفتح والنصر القريب والبشرى للمؤمنين. ومن خسرت تجارتها خسر نفسه، وخسر كل شيء، ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَّا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ﴾ [الشورى: ٤٥]، ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥]، الخسران أن تخسر في الآخرة، خسران الدنيا قد يُعوّض، قد تتاح لك الفرص، قد تتغير الأحوال، قد تنقلب الخسارة إلى ربح، قد يصبح السوق في صالحك، تتغير الرياح في اتجاهك، وإنَّ مع العسر يُسرًا، وإنَّ مع الليل فجرًا، ولكن المشكلة في خسارة الآخرة، هذه هي الخسارة العظمى التي لا يمكن تعويضها.

محاسبة النفس:

ولهذا كان على أهل الإيمان أن يُحاسبوا أنفسهم دائمًا، يستطيع الإنسان أن يحاسب نفسه كل يوم، عندما يذهب للنوم يقول: ماذا فعلت هذا اليوم؟ ماذا ربحت، وماذا خسرت؟ ماذا قدّمت من طاعات، وماذا اكتسبت من معاصي؟



وكان بعضهم يضع لنفسه جدولاً يحاسب فيه نفسه عند اليوم: هل صليت الصلوات الخمس؟ هل صليتَها في أوقاتها؟ هل صليتَها بخشوع؟ هل صليتَها في جماعة؟ ثم هل ذكرت الله وَعَلَّكَ؟ هل سبَّحته؟ هل حمدته؟ هل كبرَّته؟ هل قلت: لا إله إلا الله؟ هل بررت والديك؟ هل وصلت أرحامك؟ هل أحسنت إلى جيرانك؟ هل فعلت خيراً؟ هل قدَّمت حسنة؟ هل تبسَّمت في وجه أخيك؟ هل قلت له كلمة طيبة فكانت لك صدقة؟

يضع لنفسه جدولاً طويلاً من الأسئلة، ويجب عنه بنعم أو لا، ويعطي نفسه درجات: (١٠/١) أو (١٠/٥) أو (١٠/٧)، وهو أمين مع نفسه، ويجمع في النهاية هذه الدرجات ليعرف: هل هو ناجح بامتياز؟ أم بجيد جداً؟ أم بمقبول؟ أم هو راسب؟ هو الذي يُقوِّم نفسه بنفسه.

ويضع في الجانب الآخر جدولاً: هل تركت صلاة؟ هل اغتبت مسلماً؟ هل قطعت رحماً؟ هل سببت أحداً؟ هل سخرت من إنسان؟ هل قلت كلمة سوء؟ هل فعلت؟ هل فعلت؟ ويعطي نفسه درجة، فهو يحاسب نفسه كل يوم، لكن مثل هذا نادر في الناس.

فإذا لم يكن كل يوم فليكن كل أسبوع، ليأت في آخر الأسبوع، في كل يوم جمعة من الأسبوع ويحاسب نفسه على ما فعله خلال الأسبوع الماضي، ويتذكَّر ما فعله في كل يوم من خير أو شر، ويحاسب نفسه.

وكما قال ميمون بن مهران: المؤمن أشدُّ حساباً لنفسه من سلطان غاشم، ومن شريك شحيح^(١). حينما يُحاسبك السلطان الغاشم عن طريق جهاز المباحث العامَّة، أو مباحث أمن الدولة أو المخابرات، فيكون

(١) رواه ابن أبي الدنيا في محاسبة النفس (٩)، عن ميمون، بلفظ: التقى أشدُّ محاسبة لنفسه من سلطان عاص.

شديدًا في حسابك، وكذلك حينما يحاسبك شريك شحيح لا يسامح في درهم ولا في فلس، ولا في نقير ولا في قطمير، المؤمن يحاسب نفسه أشد من ذلك، إن لم يكن كل يوم فليكن كل أسبوع.

وإذا لم يكن كل أسبوع فليكن في ختام كل شهر، يحاسب الإنسان نفسه: ماذا فعلت في هذا الشهر؟ في الأسبوع الفلاني والأسبوع الفلاني إلى آخره.

فإذا لم يكن كل شهر فلتكن وقفة طويلة آخر العام، هي وقفة الحساب الختامي للسنة كلها: ماذا فعلت في هذه السنة؟ السنة اثنا عشر شهرًا، والشهر تسعة وعشرون أو ثلاثون يومًا، واليوم أربع وعشرون ساعة، والساعة ستون دقيقة، والدقيقة ستون ثانية، كل نفس محسوب لك أو عليك، هل يحاسب الناس أنفسهم هكذا؟

نحن الآن في آخر العام الهجري، هل يقف كل منا ليراجع سجلاته ويجرد دفاتره؟ ويعرف ماذا له؟ وماذا عليه؟ إننا لو حاسبنا أنفسنا لوجدنا حسابنا عسيرًا، لا زلنا سادرين في الغفلة عن الله وعن الآخرة، لا زلنا أو لا زال أكثرنا - إلا من رحم ربك - غارقين في المعاصي من كل لون ومن كل طعم ومذاق: معاصي الأبدان ومعاصي القلوب، المعاصي الصغيرة والمعاصي الكبيرة، المعاصي الظاهرة والمعاصي الباطنة، كم نقترف من هذه المعاصي؟!

معاصي الأبدان:

هناك معاصي الأبدان، معاصي الجوارح، معاصي اللسان، معاصي العين، معاصي الأذن، معاصي اليد، معاصي الرجل، معاصي البطن،

معاصي الفرج، ما أكثر هذه المعاصي، ذكر الإمام الغزالي عشرين آفة من آفات اللسان، وفَصَّل فيها العلامة عبد الغني النابلسي وأوصلها إلى اثنتَيْن وسبعين آفة^(١).

مَنْ منا لم يترك لسانه العنان ليتحدَّث عن فلانة وفلان، وعن هذا وذاك، ولم يدع لسانه يأكل حسناته كما تأكل النَّار الحطب؟!

معاصي اللسان، ومعاصي العين التي تلتهم الغاديات والرائحات، ومعاصي الجوارح كلها؛ مَنْ منا حاسب نفسه على ما يدخل بطنه من طعام، أو ما يدخل جيبه من دراهم: هل هو من حلال أم من حرام أم من شبهات؟ فينبغي أن نحاسب أنفسنا على معاصي الأبدان.

معاصي القلوب:

كما ينبغي أن نحاسب أنفسنا على معاصي القلوب، وهي أشد خطراً، وأبعد أثراً، كانت معصية آدم معصية جارحة: الأكل من الشجرة، أمّا معصية إبليس فكانت معصية قلب: الكِبْر، ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]، رفض أمر الله بالسجود لآدم، وقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]. ما منعه إلا الكِبْر، إنّها الخصلة السيئة التي تحرم صاحبها من الجنة، وجاء في ذلك الحديث الصحيح: «لا يدخل الجنة مَنْ كان في قلبه مثقال ذرة من كِبْر»^(٢).

(١) في قصيدته المشهورة، التي ابتدأها بقوله:

تعلم حفظ آفات اللسان لتحظى بالأمان وبالأمانى
وخذها إنّها سبعون شيئاً حكّت في نظمها عقد الجمان

(٢) رواه مسلم في الإيمان (٩)، وأحمد (٣٧٨٩)، عن ابن مسعود.

الكِبَر، الحسد، الغضب الذي هو جمرة من النَّار يلقيها الشيطان في جوف ابن آدم، العداوة والبغضاء، «والبغضاء هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»^(١)، الرياء، الغرور، العُجْب، هذه كلها من معاصي القلوب، مَنْ يسلم منها من الناس؟ هل يحاسب الإنسان نفسه على هذه المعاصي؟ هل يُفكر فيها؟ هل ينظر إليها نظرة حقيقيّة؟

تعدد مجالات المعاصي:

هناك معاصي كثيرة على كل مستوى، وفي كل مجال.

هناك معاصي في المجال الاقتصادي، مثل الربا، والغش، والاحتكار، ورفع الأسعار على النَّاس إن كان بائعًا، ورفع الإيجارات على المساكين، العمال الفقراء الذين لا يستطيعون أن يدفعوا الإيجار، ولا يرحمهم أصحاب البيوت، لا يتصدّقون صدقة خفية بأن يخففوا عن هذا العامل المسكين، راتبه ألفان أو ثلاثة آلاف ريال فيأخذون نصف راتبه في السكن! هناك معاصي كثيرة في هذا المجال.

وهناك معاصي في المجال الإعلامي، مثل ما نراه من أغاني هابطة، ومن رقص مع الأغاني، ومن أخبار كاذبة، ومن الافتراء على خلق الله، ومن مقالات يكتبها الكاتبون؛ إرضاء لهذه الجهة أو تلك الجهة، ويفترون على البراء العيب.

وهناك معاصي في المجال السياسي، مثل عدم الحكم بما أنزل الله، هناك تزوير الانتخابات في بلادنا نحن المسلمين، نحن النوابغ الأوائل

(١) رواه أحمد (١٤١٢)، وقال مخرّجوه: إسناده ضعيف لانقطاعه. والترمذي في صفة القيامة (٢٥١٠)، وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢١٢٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١/٣): حسن لغيره. عن الزبير بن العوام.

المُقدّمون في تزوير الانتخابات، تلك التي تأتي بأربع ساعات (٩٩,٩٩٪)، كل هذه معاصي أيّها الإخوة.

وهناك المعاصي في مجال الأخلاق، مثل: الكذب، والخيانة، والغيبة، والنميمة، وإفساد ذات البين، وعدم الحياء من الله ولا من النَّاس، والحياء خيرٌ كله.

كل هذه معاصي نراها في حياة الناس؛ فهل نظرنا في هذه المعاصي؟ هل حاسبنا أنفسنا؟ هل نوينا أن نندم ونتوب ونتطهّر ونغتسل من هذه الذنوب؟ تحدثنا في الخطبة الماضية عن الحمّامات التي هيّاها الله لنا لنغتسل فيها من أدران الخطايا التي نلابسها يوميًا وأسبوعيًا وشهريًا وسنويًا.

وضوح الحلال والحرام:

نحن في حاجة إلى أن نحاسب أنفسنا، وأعتقد أنّ كلّ منا يعرف الطاعة من المعصية، ويعرف الحلال من الحرام، «الحلال بيّن والحرام بيّن»^(١)، كان بعض مشايخنا يقول لتلاميذه: إنّ القطة تعرف الحلال من الحرام؛ لو أعطيتها قطعة من اللحم تأكلها وهي جالسة أمامك مطمئنة، لكن لو خطفت قطعة منك تهرب غير منتظرة، تعرف أنّها ليست لها. كذلك النَّاس يعرفون الحلال والحرام بالفطرة، كما يعرفونه بالشرع البيّن: بآيات الكتاب، وأحاديث الرسول.

الاستهانة بالمعاصي:

هناك أشياء تجعل الصغيرة كبيرة، وتزيد الكبيرة كِبَرًا وعِظَمًا، منها: استصغار المعصية والاستهانة بها، هناك مَنْ يستهينون بالحرام،

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن الثُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ.

ويستهينون بالمعاصي، وشر من المعصية نفسها أن تستهينَ بها، أن تقول: ليت كلَّ ذنب فعلته مثل هذا. يستصغره ويقلل من شأنه، جاء في حديث ابن مسعود: «المؤمن يرى ذنبه كالجبل يخاف أن يقع عليه، والمنافق يرى ذنبه كذباب وقع على أنفه، ففعل به هكذا وهكذا»^(١). أطاره فطار.

وكان السلف يقولون: لا تنظر إلى صِغَر المعصية، ولكن انظر إلى كبرياء مَنْ عصيت^(٢). كما قال الله تعالى عن الكلام في الأعراض: ﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٥]. استصغار المعصية والاستهانة بها يجعل الصغيرة كبيرة، ويزيد الكبيرة كِبَرًا.

الفرح بالمعاصي:

وكذلك الفرح بالمعصية مصيبة، بعض الناس يرتكب المعصية، ثم بعد ذلك يشعر بالأسى والحزن، تُنكِّد عليه حياته، تُنغص عليه نهاره، تُؤرِّق عليه ليله، يقول مستاءً: لماذا وقعت في هذه المعصية؟

ومثل هذا الرجل كما قال الإمام علي عليه السلام: سيئة تسوؤك خير عند الله من حسنة تعجبك^(٣). الحسنة التي تغتر بها، وتقول عنها مُعْجَبًا: أنا حججت كذا مرّة، أو اعتمرت كذا مرّة في رمضان، وقمت بالليل قبل الفجر، وتصدقت بكذا. هذا الإعجاب يبطل الحسنة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثٌ مُهْلِكَات: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهُوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»^(٤).

- (١) رواه البخاري في الدعوات (٦٣٠٨).
- (٢) رواه الخطيب من قول بلال بن سعد في تاريخ بغداد (٤٥٢/٤)، تحقيق د. بشار عواد معروف، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- (٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (١٧٤/١٨)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة.
- (٤) رواه البزار (٦٤٩١)، والطبراني في الأوسط (٥٤٥٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٣٠٣٩)، عن أنس.

أخذ هذا المعنى من كلام الإمام علي وعبر عنه الرجل الصوفي الكبير ابن عطاء الله السكندري، فقال: ربما فتح الله لك باب الطاعة، وما فتح لك باب القبول، وقضى عليك بالذنب وكان سبباً للوصول، معصية أورثت ذلاً وافتقاراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً^(١). المعصية التي تورثك الحزن، وتورثك الندم على ما فعلت خير من الطاعة التي تورث في قلبك العجب والاستكبار على خلق الله؛ مَنْ مثلي؟ وَمَنْ يساويني؟

أما الذي يفرح بالمعصية ويغتر بها فهذه مصيبة كبرى، الفرح إنما يكون بفضل الله، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، أما أن تفرح بأن الشيطان قد غرّك فأوقعك، وزلت قدمك وارتكبت المعصية؛ فهذه مصيبة أخرى، المعصية مصيبة، والفرح بها مصيبة أكبر.

المجاهرة بالمعاصي:

ومما يزيد المعصية إثماً المجاهرة بها، التبجح بها، النبي ﷺ يقول: «كل أمتي معافى إلا المجاهرين»^(٢). الله تعالى أهل لأن يعفو عن كل معصية؛ إذا استحيى صاحبها واستتر بها، ولم يحب أن يعرف الناس عنه من أمرها شيئاً، الله أهل لأن يستر عليه في الآخرة؛ كما ستر عليه في الدنيا. لكن المشكلة في هؤلاء المتبجحين الذين يعالنون بالمعاصي ويباهون بها، ويجلس أحدهم في المجالس بين أصحابه يفتخر بأنه فعل كذا وفعل

(١) حكم ابن عطاء الله بشرح الشيخ زروق ص ٢٢٢ - ٢٢٤.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠٦٩)، ومسلم في الزهد والرقائق (٢٩٩٠)، عن أبي هريرة.

كذا، أنه بطل مغامرات في المعاصي؛ بئس ما فعل، مثل هذا ليس من أهل العفو؛ لأنه من المجاهرين المتبجحين، يُجرى الناس على معصية الله بالحديث عن المعصية، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النور: ١٩]. فالمجاهرة بالمعاصي أيضًا تجعل الصغيرة كبيرة، وتزيد الكبيرة كبرًا وعظمًا وإثما.

وقوع المعصية ممن يُقتدى بهم:

وكذلك ممّا يُضخم المعصية أن تكون من قدوة في الناس، أن تكون من رجل محترم، من عالم يُفترض فيه أن يهدي الناس بسلوكه، بقوله وفعله، أو من رئيس عشيرة ينظر إليه الناس نظر القدوة، أو من رب الأسرة في أسرته؛ يُفترض أن يكون قدوة لأبنائه وبناته وأحفاده في الخير، وإلا كان كما قال الشاعر:

إذا كان ربُّ البيت بالدَفِّ ضاربًا فشيمةُ أهل البيت كلهم الرقصُ^(١)

يقتدون به ويتأسون فيما يفعل، هنا تزداد مصيبة مَنْ فعل ذلك، لأنه لا يسقط وحده، بل يسقط الآخرون معه، ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]،

خطر المعاصي:

يا أيُّها الإخوة، إنَّ المعاصي خطر على الفرد، وخطر على الأسرة، وخطر على المجتمع، وخطر على الأمة، وخطر على البشرية كلها، وخطر على الكون كله، خطر في الدنيا وخطر في الآخرة.

(١) ديوان سبط ابن التعاويذي ص ٢٤٧، قاله في هجاء ابن عروة، تحقيق س. مرجليوث، نشر

مكتبة المقتطف، مصر، ١٩٠٣م.

خطر المعاصي على الأفراد:

المعصية خطر على الفرد، خطر على بدنه، كثيرًا ما يُصاب الإنسان في بدنه بسبب معاصي ارتكبتها، تُسلط عليه الأمراض والأوجاع، كما جاء في الحديث: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلاّ فشا فيهم الطاعون، والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا»^(١).

وكثيرًا ما تكون خطرًا على رزقه، كما جاء في الحديث: «إنّ الرجل ليُحرّم الرزق بالذنب يصيبه»^(٢). إذا كانت الطاعة سببًا في سعة الرزق والبركة، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، ﴿وَالْوِاسْتَقَمُّوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾ [الجن: ١٦]، فإن المعصية سبب في ضيق العيش وضنك الحياة كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى﴾ [طه: ١٢٤].

المعصية سبب في هذا الضيق المادي، وهي سبب في الضيق النفسي، تضيق على صاحبها الأرض بما رحبت، تكون عنده الأموال والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والملايين في رصيده، والقصور يسكن فيها، والخدم والحشم، ولكنه مع هذا يعيش تغيثًا، لا يشعر بالسكينة، ولا يشعر بالسعادة، بل يشعر بالذلة والهوان، لأن الله أهانه بالمعصية التي

(١) رواه ابن ماجه في الفتن (٤٠١٩)، والحاكم في الفتن والملاحم (٥٤٠/٤)، وصحّحه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٠٦)، عن ابن عمر.

(٢) رواه أحمد (٢٢٣٨٦)، وقال مخرّجوه: حسن لغيره؛ دون قوله: «وإنّ العبد ليحرّم الرزق بالذنب يُصيبه». وابن ماجه في الفتن (٤٠٢٢)، وابن حبان في الرقائق (٨٧٢)، والحاكم في الدعاء (٤٩٣/١)، وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي. عن ثوبان.

ارتكبتها، ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]، وأذله بالمعصية؛ لأن العزة لمن أطاعه، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

ولذلك كان الإمام أحمد يقول: اللهم أعزني بطاعتك، ولا تذلني بمعصيتك^(١). وكان الحسن البصري يقول عن أولئك الأمراء والولاة المغرورين بأنفسهم، المعجبين بقوتهم: إنهم وإن هملجت بهم البغال، وطققت بهم البراذين، فإن ذل المعصية لا يفارق قلوبهم، أبى الله إلا أن يذل مَنْ عصاه^(٢).

الذلة النفسية والوحشة: الوحشة بينه وبين الله، والوحشة بينه وبين نفسه، والوحشة بينه وبين الناس، كل هذا من آثار المعاصي.

المعاصي تورث الإنسان الذلة والهوان في نفسه، وتطفئ نور عقله، وتسلبه بركة العلم، كما تسلبه بركة العمل، المطيع يُنور الله عقله، ويهديه إلى الصواب، ويوفقه حيث سار، والعاصي يُحرم من هذا التوفيق، كما قال الشاعر:

إذا لم يكن عونٌ من الله للفتى
فأولُ ما يجني عليه اجتهاده^(٣)
وإنما يُعان الإنسان بالطاعة.

حينما قابل الإمام مالك الإمام الشافعي وهو في شبابه، وجد فيه مخايل الفطنة والنبوغ والطموح، فقال له: يا بُني، أرى أن الله قد أضفى

(١) لطائف المعارف لابن رجب ص ٦٤، نشر دار ابن حزم، ط ١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(٢) غذاء الألباب للسفاريني (٨٩/١)، نشر مؤسسة قرطبة، مصر، ط ٢، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.

(٣) ينسب لسيدنا علي بن أبي طالب. انظر: الفرج بعد الشدة للتنوخي (١/١٧٧)، تحقيق عبود

الشالجي، نشر دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

عليك نورًا فإياك أن تُطفئه بظلمة المعصية^(١). ويروون عن الإمام الشافعي أنه قال:

شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حِفْظي فأرشدني إلى تَرْكِ الْمَعَاصِي
وأخبرني بأنَّ الْعِلْمَ نورٌ ونورُ الله لا يُهْدَى لعاصٍ^(٢)

إنَّما نبغ النابغون من علمائنا بطاعتهم لله وَعَبَلٌ، وبإخلاصهم لله، وبنياتهم الصالحة وعزائمهم الصادقة.

خطر المعاصي على المجتمعات:

المعاصي خطر على الفرد، وهي خطر على المجتمع، يمكن أن تهدد المجتمع كله بإزالة النعم التي وهبها الله إياه، كما قال الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣]. غَيَّرُوا ما بأنفسهم: من الطاعة إلى المعصية، من الخير إلى الشر، من الحسنات إلى السيئات؛ فغَيَّرَ الله ما بهم، وبَدَّلَ غناهم فقرًا، ويُسِرهم عسرًا، وعزَّتْهم ذلة.

ومن هنا إذا أراد الإنسان أن يُغَيِّرَ حالته السيئة إلى حالة حسنة؛ فعليه أن يغيِّرَ ما بنفسه إلى العكس، من الطاعة إلى المعصية، ومن الشر إلى الخير، ومن الحسنة إلى السيئة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

(١) مناقب الشافعي للبيهقي (١٠٤/١)، تحقيق السيد أحمد صقر، نشر مكتبة دار التراث، القاهرة، ط ١، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

(٢) المحمدون من الشعراء للقفطي ص ١٣٨، تحقيق حسن معمري وحمد الجاسر، نشر دار الإمامة، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

إِنَّ الْمَعْصِيَةَ تَزِيلُ النِّعْمَةَ، كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رُءُوسُكُمْ لِمَنْ شَكَّرْتُمْ لَا تَزِيدَنَّكُمْ وَلِمَنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]. إذا كفرتم بنعمة الله وَجَلَّ سَيْلُهَا عَلَيْكُمْ الْعَذَابَ، وأول العذاب أن يسلبكم هذه النعمة، فليست أهلكم لها، لا تستحقونها، كما يقول الشاعر:

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِي تَزِيلُ النِّعْمَ
وَحُطَّهَا بِطَاعَةِ رَبِّ الْعِبَا دِ فَرَبِ الْعِبَادِ سَرِيعُ النَّقَمِ^(١)

كما أنه واسع الرحمة، وواسع النعمة، فإنه سريع النعمة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، للعقاب أهله، وللرحمة أهلها.

خطر المعاصي على الأمم:

أيها الإخوة، المعاصي لها آثار سيئة كثيرة في حياة الناس، في حياة الأفراد، وفي حياة الأسر، وفي حياة المجتمعات، وفي حياة الأمم، وكثيراً ما حذرنا القرآن الكريم، وحذرنا النبي من سوء أثر المعاصي.

حذرنا القرآن الكريم من خطر المعاصي، فقال: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨٢، الأنفال: ٥١]، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤]، ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]،

(١) روى ابن عساكر في تاريخ دمشق (١٠٣/٥١) أن عمر بن عبد العزيز كان يتمثل بهما، وهما في الديوان المنسوب لعلي بن أبي طالب ص ١٣٠، تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، نشر دار ابن زيدون. وحطها: احفظها وحصنها، واجعل الطاعة كالسور المحيط بالمدينة ليمنع عنها عادية المغيرين.

الذنوب هي سبب وقوع البلايا على النَّاس، وفي الخطبة قبل الماضية كنا تحدثنا عن الزلزال، وأن هذا الزلزال من جنود الله التي يُسخرها لتأديب العصاة.

بعض النَّاس استنكروا هذا، هؤلاء لا يعرفون أنَّ الله هو الفاعل في هذا الكون، صحيح هذه قوانين طبيعية! ولكن مَنْ الذي يمسك القوانين الطبيعية ويُسخرها ويوجِّهها؟ الله هو الفاعل، هو الذي وضع هذه السُّنن، وهو الذي يمكن أن يُغيِّرها إن شاء، هو الذي يوجِّهها في المكان الفلاني وفي الساعة الفلانية لعلاج أمر معيَّن، وهذا لا ينفي أن هذه الزلازل أثر للقوانين التي وضعها الله في هذا الكون.

ولذلك قلنا: إنَّها تأديب للعصاة، جاءت تنبيهًا للغافلين، وتذكيرًا للناسين، وتذكيرًا بزلزلة يوم القيامة، إلى آخره. فيمكن للناس أن يستفيدوا من هذه الأحداث أكثر من عبرة، لو كان عندهم شعور، لو كانوا مرهفي الحس: يمكنهم أن يستفيدوا من مواعظ الأيام، ومن تعليم الزمان.

علَّمنا النبي ﷺ فيما رواه ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر أنه قال: «يا معشر المهاجرين، خمسٌ إذا ابتليتم بهنَّ، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتَّى يُعلنوا بها، إلَّا فشا فيهم الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا»، وهذا يُذكرنا بما يسمونه الآن (الإيدز)، سبب انتشار فاحشة الزنا واستباحة الزنا على نطاق واسع، سلَّط الله عليهم هذا الطاعون الذي يسمُّونه (الطاعون الأبيض).

«ولم ينْقُصوا المكيالَ والميزان، إلَّا أخذوا بالسنين، وشدة المؤنة، وجور السلطان عليهم»، أخذوا بالسنين أي: بالجفاف، بالقحط، بعدم نزول المطر؛ وشدة المؤنة أي: يصبح العيش ثقیلاً على النَّاس، ومع

ذلك يجوز السلطان عليهم، كل هذا بسبب أنَّهم يُطْفَفُونَ المكايل والموازين، وهذا إشارة إلى سوء التعامل الاقتصادي بين الناس، أصبح كل همّ الناس هو الكسب، وليس كل همّهم هو تحرّي الحلال، والوقوف عند حدود الله.

«ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلّا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا»، يرحمهم الله بسبب هذه البهائم، كما جاء في بعض الآثار: «لولا بهائم رُتّع، وأطفال رُضّع، وشيوخ رُكّع لُصّب عليكم العذاب صَبًّا»^(١). يرحم الله الناس بالضعفاء: البهائم، والأطفال، والشيوخ الكبار.

«ولم ينقضوا عهد الله، وعهد رسوله، إلّا سلّط الله عليهم عدوًّا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله، إلّا جعل الله بأسهم بينهم»^(٢). سلّط عليهم عدوهم، وسلّط بعضهم على بعض، لم تجتمع لهم كلمة، وإنّما أصبحوا متناثرين، حتّى إنّ بعضهم يُسلّط على بعض، وكل هذا نراه في عصرنا أيّها الإخوة، وهو من آثار الذنوب، الذنوب لها أثرها على الأمة.

وقد رأينا أمّتنا حينما كانت أقرب إلى كتاب الله، وإلى تحكيم الشريعة، وإلى الارتباط بالإسلام كانت قائدة لزمام الدُّنيا، وصنعت حضارة شرّقت وغرّبت، حضارة ربّانيّة إنسانيّة أخلاقيّة.

وحينما بعدنا نحن عن الإسلام، وأعرضنا عن كتاب الله وسنة رسوله أصبحنا في مؤخّرة الأمم، وأصبح أعداؤنا يتحكّمون فينا، غلبنا كل

(١) رواه ابن أبي عاصم في الأحاد والمثاني (٩٦٥)، وقال عقبه: إسناد حسن. والطبراني في الكبير (٣٠٩/٢٢)، عن أبي عبيدة الدؤلي.

(٢) سبق تخريجه ص ١٩٣، وفيه: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتّى يعلنوا بها».

مُغْلَب، وتعزَّز علينا الذليل، وتجرَّأ علينا الجبان، هكذا صرنا أيُّها الإخوة، وهذا كله بسبب المعاصي.

خطر المعاصي على البشريَّة والكون:

المعاصي خطر على الأفراد، وخطر على المجتمعات، خطر على الأمم، وخطر على البشريَّة كلها، وخطر على الكون، ما يشكوه النَّاس في عصرنا من عدم التوازن البيئي، هناك اختلال في التوازن البيئي، حينما أحرق النَّاس الغابات: جار النَّاس على البيئة، وحينما لَوَّث النَّاس المياه بالنفايات التي توضع فيها، وحينما استغلَّ النَّاس الطاقة استغلالاً زائداً عن الحاجة: حدث ما حدث من اختلال في التوازن البيئي، وفي التوازن الكوني.

ما يتحدَّثون عنه من ثُقب الأوزون، ومن سخونة الأرض، ومن كذا وكذا، كل هذا بسبب المعاصي، بسبب اعتداء النَّاس على حدود الله، تجاوزهم لأوامر الله تعالى ونواهيه، ولذلك اختلت الحياة من حولهم.

كان السلف يقولون: الكائنات الحيَّة كلها تشكو من معصية بني آدم، كان أبو هريرة يقول: إِنَّ الحباريَ لتموت في وكرها من ظلم الظالم^(١). وقال مجاهد: إِنَّ البهائم تلعن عصاة بني آدم إذا اشتدَّت السنة وأمسك المطر، وتقول: هذا بسبب معصية بني آدم^(٢). وقال عكرمة: دواب الأرض وهوامها حتَّى الخنافس والعقارب يقولون: منعنا القطر بذنوب بني آدم^(٣). لأنَّ هذه الحيوانات والطيور والحشرات لا معصية لها، ليس عليها

(١) رواه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٦٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٠٧٥).

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (٢٥٦/٣)، تحقيق محمود وأحمد محمد شاكر، نشر مكتبة التربية والترات، مكة المكرمة.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في العقوبات (٢٧١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٠٤٦).



تكليف، المعاصي كلها من بني آدم، وشؤمها ينعكس على الكائنات
الحيّة كلها، بل على الكون كلّ.

يا أيّها الإخوة، المعاصي هي سرُّ شقاء بني آدم، علينا نحن في ختام
هذا العام أن نراجع أنفسنا، أن نراجع حساباتنا، أن نضع يدنا في يد
الله وَعَلَى، أن نقرع باب ربنا تائبين، أن نقول ما قال أبونا آدم وأمنا حواء:
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].
فعسى الله أن يتوب علينا ويغفر لنا ما مضى، ويصلح لنا ما بقي، ويجعل
يومنا خيرًا من أمسنا، وغدنا خيرًا من يومنا؛ إنّه سميع قريب مجيب
أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه؛ إنّه هو
الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

* * *





الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة:

قضايا الأمة مُعلّقة:

نودّع عامًّا ونستقبل عامًّا، ولا زالت مآسينا مستمرة، ولا زالت قضايانا الحيّة والساخنة معلّقة، لا تزال قضية فلسطين تعاني ما تعاني حتّى الآن.

ولا تزال قضية العراق كما هي، حدثت انتخابات، ولكن انتخابات لم يشارك فيها أهل السنة، كيف تقوم حكومة أهل السنّة فيها مُغيّبون؟ كيف تحكم العراق طائفةً واحدة؟ ونحن دائماً ندعو إلى وحدة العراق بكل طوائفه ومذاهبه، حتّى يقف وطنًا واحدًا وشعبًا واحدًا.

لا تزال قضايانا كلها مُعلّقة في كل مكان، وليس لنا إلّا الله وَعَلَّك، نلجأ إليه، نبسط إليه أكفّ الضراعة أن يكشف عنا الغمّة، ويُفَرِّج عنا الكربة.

وحدة عامّة:

وليس لنا إلّا أن ندعو الأمة أن تجتمع من شتات، وأن تحيا من مّوات، وأن يضع كلّ منّا يده في يد أخيه، ندعو إلى وحدة عامّة، وإلى مصالحة عامّة، تشترك فيها كل القوّى، فإذا كان في البلاد نصارى ومسلمون يشتركون معًا، أو كان فيها إسلاميون وقوميون يشتركون معًا، أو كان فيها عرب وبربر يشتركون معًا، أو كان فيها عرب وأكراد يشتركون معًا، أو كان فيها سنة وشيعة يشتركون معًا، كل القوى لا بدّ أن تجتمع.

إننا أمام محنة كبيرة تواجه الأمة؛ فلا بد أن نواجهها صفًا واحدًا وجبهة مترابطة، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنِينَ مَرَّضُونَ﴾ [الصف: ٤]. لا ينبغي أن نستجيب لوساوس الأعداء، ويبقى كل منا متربصًا بأخيه، فهذا لن يستفيد منه إلا عدونا المشترك.

علينا أن نضرب إلى الله أن يكشف عنا الغمة، وعلينا أن يلجأ بعضنا إلى بعض، ليصطلح بعضنا على بعض، وليسامح بعضنا بعضًا، وليعرف كل منا أنه لا غنى له عن أخيه، المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده قوي بجماعته، يد الله مع الجماعة، ومن شذَّ شذَّ في النار، ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَلَا تَنَزَعُوا أَنفُسَكُمْ وَتَذَهَبَ رِيحُكُمْ وَأَصْبَرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

اللهمَّ إِنَّا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا، وأهلينا وأموالنا، اللهمَّ اسر عوراتنا، وآمن روعاتنا، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا، وعن أيماننا وشمائلنا ومن فوقنا، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا، اللهمَّ أكرمنا ولا تُهنا، وأعطنا ولا تحرمنا، وزدنا ولا تنقصنا، وآثرنا ولا تؤثر علينا، وارض عنا وأرضنا، اللهمَّ كن لنا ولا تكن علينا، وأعنا ولا تُعن علينا، وانصُرنا ولا تنصر علينا، اللهمَّ انصر إخواننا المجاهدين في فلسطين، وانصر إخواننا المجاهدين في العراق، وانصر إخواننا المجاهدين في كشمير، وانصر إخواننا المجاهدين في أفغانستان، وانصر إخواننا المجاهدين في كل مكان، اللهمَّ ردَّ عنا كيد الكائدين، اللهمَّ ردَّ عنا كيد اليهود والأمريكان ومن عاونهم، اللهمَّ أنزل عليهم بأسك الذي لا يردُّ عن القوم المجرمين، اللهمَّ من أراد بنا سوءًا فخذ، ومن مكر بنا فامكر به، ومن كاد لنا فكده؛ فإنه لا يعظم عليك يا رب العالمين، اللهمَّ



إِنَّا نجعلك في نحورهم، ونعوذ بك من شرورهم، اللهم يا منزل الكتاب،
ويا مُجْري السحاب، ويا سريع الحساب، ويا هازم الأحزاب اهزمهم
وانصرنا عليهم، ربَّنَا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبّت أقدامنا،
وانصرنا على القوم الكافرين.

* * *





مجاهدة النفس^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زال حديثنا موصولاً حول تزكية الأنفس، وتزكية الأنفس هي أساس الفلاح في الدنيا والآخرة، كما قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّيْنَاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٧ - ١٠].

منهاج العابدين للغزالي:

للإمام الغزالي كتاب ألفه قبل أن يموت بقليل، سمّاه (منهاج العابدين)، حاول أن يرسم فيه بإيجاز واختصار منهاج أو الطريق الذي يجب أن يسلكه العابدون والسالكون إلى الله وَجَّهًا، وقسّمه تقسيمًا جيدًا، ونحن نستفيد بتقسيمه وإن لم نأخذ بكل ما قاله في هذا الكتاب؛ ففي بعضه شطحات الصوفية ومبالغاتهم.

ونحن لا نرفض الصوفية رفضًا مطلقًا، ولا نأخذ الصوفية بعُجرها وبُجرها، ولكن ننتقي منها وفق موازين القرآن والسُّنَّة، هذا هو المنهج

(١) أُلقيت في مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، بتاريخ ١٨ مارس ٢٠٠٥م.



السليم، وهو المنهج الوسطي، فلا ينبغي أن نلقي في سلة المهملات هذه المجاهدات، وهذه المفاهيم، وهذه الأفكار التي نُقلت عن قوم لهم قدرهم ووزنهم، ولا ينبغي أن نأخذ ما فيها من غلو؛ فإن الغلو يُسقطها، نحن دائماً نتبع المنهج الوسط، بين الإفراط والتفريط.

قسّم الإمام الغزالي الطريق إلى الله في كتابه إلى عقبات ومراحل؛ لا بدّ أن تقطعها عقبة فعقبة، ومرحلة وراء مرحلة. تحدثنا فيما سبق عن بعض هذه العقبات أو المراحل، وأولها: عقبة العلم والمعرفة، يجب أن تعرف الطريق إلى الله، وتعرف ماذا يُطلب منك؟ وماذا يجب عليك؟ وماذا يحرم عليك؟ تحدثنا عن هذه العقبة.

ثم تحدثنا عن العقبة الثانية وهي عقبة التوبة، لا بدّ أن تتخفف من ذنوبك وأنت سائر في هذا الطريق، لا ينبغي أن تسافر وأنت عليك أثقال تُقيّد رجلك عن الحركة، ولا تستطيع معها أن تتحرّك أو أن تسير، ولهذا كانت التوبة مطلوبة بعد العلم.

ثم ذكر الإمام الغزالي مرحلة أو عقبة أخرى سمّاها (عقبة العوائق)، العوائق التي تعوق السائر في سفره ورحلته إلى الله، قطاع الطريق الذين يقفون في الطريق يقطعونك عن المسير إلى ربك، وجسد هذه العوائق في أربعة عوائق:

العائق الأول: النفس البشريّة التي بين جنبيك. والعائق الثاني: الشيطان. والعائق الثالث: الدُّنيا بزخارفها ومفاتها. والعائق الرابع: الخلق الذين يصدونك عن سبيل الله، ويقطعونك عن الطريق، وهذه هي الأربعة التي قال فيها الشاعر:

إِنِّي بُلِيتُ بِأَرْبَعٍ يَزْمِينَنِي بِالتَّبَلِّ عَنْ قَوْسٍ لَهُ تَوْتِيرُ
إِبْلِيسُ وَالْدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالْوَرَى يَا رَبِّ أَنْتَ عَلَى الْخَلَاصِ قَدِيرٌ^(١)

النفس الأَمَّارة بالسوء:

سنتحدث اليوم عن العائق الأول من هذه العوائق وهو النفس، نفسك التي بين جنبيك هي أول عائق يعوقك عن الله وَعَلَيْكَ، إنها النفس الأَمَّارة بالسوء، كما قالت امرأة العزيز: ﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣]. النفس تأمرك بالسوء، تأمرك بترك الخيرات، تأمرك بالكسل عن أداء الفرائض، تأمرك بارتكاب المحرمات، تأمرك باقتراف المظالم، تُزَيِّنُ لك السوء.

ولم يقل: أَمَّارة بالسوء. لا، بل أَمَّارة بالسوء، كثيرة الأمر، عملها الأمر بالسوء، لأن هذه النفس تُحركها الغرائز، أعطاك الله جملة من الغرائز هي التي تُسيِّرُ نفسك، وهذه الغرائز خلقها الله لحكمة، هناك غريزة شهوة الأكل أو الطعام، وغريزة شهوة الفرج، وغريزة الاستعلاء وحب الخلود، وغريزة التملك.

كل غريزة من هذه الغرائز لها مهمتها ووظيفتها في عمارة الأرض، والقيام بالخلافة عن الله فيها، ولكن لها أخطارها أيضاً، فشهوة الطعام لا بدَّ منها، لا بدَّ أن تأكل وإلا لم تعيش، ولكن تأكل ممَّا يحلُّ لك، وتترك ما يحرم عليك.

ولذلك حينما أسكن الله آدم وزوجه الجنة أباح لهما أن يأكلا من كل

(١) ذكرهما القرطبي ولم ينسبهما لأحد. انظر: التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي صـ ٨٨٠، تحقيق د. الصادق بن محمد بن إبراهيم، نشر مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط ١، ١٤٢٥هـ.

أشجارها وثمارها ما شاء، ولكنه حرّم عليهما شجرة واحدة، ﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ
أَسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا
مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥].

ولكن الشيطان ظلّ يوسوس لآدم ولزوجه معه أن يأكلا من هذه
الشجرة، واستغل غريزة حب الخلود عند آدم، ﴿قَالَ يَتَادُمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى
شَجَرَةٍ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى﴾ [طه: ١٢٠]، ﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ فدلّهُمَا
بِغُرُورٍ ﴿[الأعراف: ٢١، ٢٢]، حلف بالله كذبًا، وهما لا يظنّان أن أحدا يحلف بالله
كذبًا، فما زال بهما حتّى أكلا من الشجرة، أكل آدم وأكلت زوجته معه،
﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ، فَغَوَى﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ، فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه: ١٢١، ١٢٢].

الغرائز إذا هي التي يمكن أن توقع الإنسان في معصية الله ورجل،
نفسك الأمارة بالسوء تدعوك أن تكتسب من الحرام ولا تبالي، كما جاء
في الحديث الصحيح: «يأتي على الناس زمانٌ، لا يبالي المرء ما أخذ:
أمن حلال أم من حرام»^(١). يقولون: حلالٌ أكلناه، حرامٌ أكلناه! لا يبالي
بما يدخل بطنه، هذا من تزيين النفس الأمارة بالسوء.

مجاهدة النفس:

ولكن المؤمن الذي يخاف ربه ويجاهد نفسه يقول: لا؛ هذا حلال
فيباح لي أكله، وهذا حرام فلا يجوز أن أقرب منه. بل لا يكتفي بالبعد
عن الحرام، بل يترك ما فيه شبهة، «فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه
وعرضه، ومن وقع في الشُّبُهَات وقع في الحرام؛ كالراعي يرعى حول
الْحِمَى، يوشك أن يرتع فيه»^(٢).

(١) رواه البخاري في البيوع (٢٠٥٩)، عن أبي هريرة.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الإيمان (٥٢)، ومسلم في المساقاة (١٥٩٩)، عن
النعمان بن بشير.

النفس الأمارة بالسوء تغري الإنسان بالحرام، تغريه بالتكاسل عن الصلاة، تغريه بمصاحبة الأشرار، ومفارقة الأخيار، تغريه بالشهوة الجنسية ليقع فيما حرم الله من فاحشة الزنى، ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٢]. ولكن المؤمن الذي يجاهد نفسه لا يستجيب لداعي النفس الأمارة بالسوء، بل يزن ما تأمر به بميزان الحلال والحرام.

يوسف عليه السلام راودته التي هو في بيتها عن نفسه، وغلقت الأبواب، وهيأت الأسباب، وقالت: هيت لك. وكان كل شيء يغريه بالوقوع في المعصية، فهو شاب، والشباب شعلة من الجنون، وليس له زوجة تعفه، وهو غريب عن وطنه ليس هناك من يعرفه، والإنسان في الغربة يفعل ما لا يفعله في الوطن، والمرأة هي التي بادأته ولم يبدأها، وليست أئمة امرأة، إنها امرأة ذات منصب وجمال، امرأة العزيز، وعندها ما عندها، وهي صاحبة البيت ومالكة أمره، كل هذا كان يمكن أن يغريه بالفاحشة، ولكنه أبى واستعصم، وقال: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [يوسف: ٢٣].

حاجة النفس إلى المجاهدة:

هكذا يجب أن يكون الإنسان المؤمن مجاهداً لنفسه، النفس الأمارة بالسوء تحتاج إلى جهاد، وجهاد طويل وممرير. يقول الإمام الغزالي: «جهاد النفس صعب لأمرين: الأمر الأول أنها عدو من الداخل. من داخلك أنت، واللص إذا كان من داخل الدار كانت الوقاية منه صعبة، وكان الاحتراز منه شاقاً، والأمر الآخر: أنها عدو محبوب^(١). والإنسان إذا

(١) انظر: منهاج العابدين للغزالي ص ١٧٩، ١٨٠، تحقيق محمود مصطفى حلاوي، نشر مؤسسة

الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

كان يحب عدوه لا يستطيع أن يعرف عيوبه، ولا يستطيع أن يتحرز منه، كما قال الشاعر:

وعينُ الرضا عن كُلِّ عيبٍ كليلَةٌ ولكنَّ عينَ السُّخطِ تُبدي المَساوِيَا^(١)

إذا كان راضيًا عن نفسه لا يعرف عيوب نفسه، ولا يعرف مساوئها، ولا يستطيع أن يتحرز منها، وفي ذلك يقول الشاعر الصالح:

نَفْسِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاعِي تَكْثُرُ آلَمِي وَأَوْجَاعِي
كَيْفَ احْتِرَاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي^(٢)؟

هو عدوٌّ بين أضلاعك، وعدوٌّ تُحبه، النفس الأمّارة بالسوء تحتاج إلى مجاهدة، كما قال ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في سبيل الله»^(٣). وفي لفظ آخر: «المجاهد مَنْ جاهد نفسه في ذات الله»^(٤). كما قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨]. أي: ليكن جهادك لنفسك في سبيل الله، لتعلي كلمة الله على نفسك.

جهاد النفس مطلوب للإنسان، فإذا جاهد نفسه حوّلها من حالة إلى حالة، من حالة النفس الأمّارة بالسوء، إلى حالة النفس اللّوامة، يستطيع الإنسان بجهاد النفس الأمّارة بالسوء أن يروّضها كما يروّض بدنه.

نعرف في الرياضات البدنية أنّ الإنسان إذا راض جسمه يستطيع أن يحمل عشرين كيلو جرام، فإذا راضه أكثر يستطيع أن يحمل مائة فمائتين

(١) من شعر عبد الله بن معاوية. انظر: ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي ص ٣٢٧، نشر دار المعارف، القاهرة.

(٢) من شعر العباس بن الأحنف، كما في العقد الفريد (٣٢/١).

(٣) رواه أحمد (٢٣٩٦٥)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في فضائل الجهاد (١٦٢١)، وقال: حسن صحيح. عن فضالة بن عبيد الله.

(٤) رواه الطبراني (٥٩٦/١٣)، عن عبد الله بن عمرو.

فأكثر، فكما تُراض الأجسام تُراض النفوس، ينبغي للإنسان ألا يستسلم لنفسه، فإذا استسلم لها أصبح أسيرًا عندها، أصبح عبدًا لهواها، لا يستطيع أن يرفض لها أمرًا.

تسويل النفس الأمارة بالسوء:

إنَّ تسويل النفس هو أوَّل سبب لوقوع المعاصي والجرائم في العالم، بماذا وقعت أوَّل معصية وقعت في الأرض؟ بسبب النفس الأمارة بالسوء، أوَّل جريمة حدثت على هذه الكرة الأرضية هي جريمة قتل ابن آدم لأخيه، قتله ظلمًا وعدوانًا، ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [المائدة: ٢٧].

لماذا تقتله؟ تقبل الله قربانه منه، ولم يتقبل منك قربانك؛ فابحث عن نفسك: لماذا لم يتقبل منك؟ ﴿قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ إِنَّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧، ٢٨]، وكانت هذه الكلمات جديرة أن تهز قلبه، وأن تردعه عن غيّه، ولكن لم تردعه موعظة ولا كلام، ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠].

كانت هذه أوَّل جريمة في الأرض؛ حتَّى إنَّ القاتل لم يعرف كيف يوارى الجثة، لم ير إنسانًا مات قبل ذلك وُوريت جثته، ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورَى سَوْءَةُ أَخِيهِ قَالَ يُوَيَّلَتِي أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُورَى سَوْءَةَ أَخِي﴾ [المائدة: ٣١].

ولذلك جاء في الحديث الصحيح أنه: «ليس من نفس تُقتل ظلماً؛ إلاَّ كان على ابن آدم الأوَّل كفل منها»^(١). يتحمَّل جزءاً من الوزر؛ لأنَّه هو الَّذي سنَّ سنة القتل، انظروا إلى الحروب الَّتِي قُتل فيها الملايين في عصرنا، وانظروا ما يفعله الأمريكان، وما يفعله الصهاينة في فلسطين، وما يفعله الظلمة والقتلة والمجرمون في كلِّ مكان، هذه الحروب الظالمة يأخذ ابن آدم قسطاً من وزرها؛ لأنَّه أوَّل مَنْ سنَّ سنة القتل.

لم يكن هناك مجتمع حتَّى نقول: المجتمع هو الَّذي دفع ابن آدم الأوَّل إلى هذا القتل، فهو ضحيَّة المجتمع. لا، لم يكن هناك مجتمع، ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ، فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: ٣٠]. نفسه الأمَّارة بالسَّوء هي الَّتِي دفعته إلى هذا!

وهكذا اندفع إخوة يوسف بتسويل أنفسهم الأمَّارة بالسَّوء أن يقتلوا أخاهم، أو يطرحوه أرضاً، ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْقَاهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾ [يوسف: ١٠]، واتفقوا على أن يلقيه في الجُبِّ، ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ﴾ ﴿قَالُوا يَتَّابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ ﴿وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ﴾ [يوسف: ١٦ - ١٨]، وضعوا على قميصه دماءً وأبقوه سالماً من التمزيق، غالباً ما يترك كل مجرم دليلاً يدل على جريمته، فماذا قال أبوه يعقوب عليه السلام؟ ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، أولاد الأنبياء سَوَّلَتْ لهم أنفسهم أمراً خطيراً، أن يلقوا أخاهم الصغير الَّذي لا ذنب له في الجُبِّ.

(١) متَّفَق عليه: رواه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسُّنة (٧٣٢١)، ومسلم في القسامة (١٦٧٧)،

عن ابن مسعود.

والسامري الذي أضلّ بني إسرائيل، ودفعهم إلى أن يعبدوا العجل الذهبي، فجاء موسى ورآهم وأنكر عليهم، وأنكر على أخيه هارون، ثم قال: ﴿فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِي﴾ * قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ﴿ [طه: ٩٥، ٩٦].

النفس اللوامة:

النفس الأمّارة بالسوء هي التي تُسوّل للناس أن يرتكبوا الموبقات والفظائع، ولذلك كان لا بدّ من جهاد هذه النفس؛ حتّى تنتقل من النفس الأمّارة إلى النفس اللوامة، التي تلوم صاحبها كلّما قصّر في واجب، كلّما فرّط في فرض، كلّما ارتكب إثماً: في حق الله، أو في حق الناس، أو في حق نفسه، تلومه هذه النفس، وتقول له: لِمَ فعلت كذا؟ ولِمَ تركت كذا؟ ولِمَ ولِمَ؟ تُحاكمه، تُحاسبه!

هذا الذي يعبرون عنه في عصرنا بالضمير الحي، هو بالتعبير القرآني النفس اللوامة، كثيرة اللوم لصاحبها، لا تدعه يستريح، تؤنبه، صوت من الداخل يلهبه، هذه النفس التي جاء ذكرها في القرآن: ﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾ * وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿ [القيامة: ١، ٢].

النفس المطمئنة:

إذا استقامت النفس على هذه الطريقة، وبدأت فيها الحياة، وبدأت تعرف المعروف، وتنكر المنكر، وتلوم صاحبها كلّما ارتكب منكراً أو ضيّع معروفاً، هنا يكون الإنسان قد ارتقى من حالة إلى حالة.

فإذا اطمأنّ في هذه الحالة وثبت على هذا المقام، انتقلت النفس إلى مرحلة ثالثة: هي مرحلة النفس المطمئنة، النفس التي اطمأنت بذكر الله،

واطمأنت بالإيمان، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

هذه السكينة، هذه الطمأنينة التي يطمئن بها الإنسان، ويقف على أرض صلبة، لا يتزعزع مهما حدث من حوله؛ لأنّه مطمئن بالإيمان، ﴿وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ [النحل: ١٠٦]، ﴿يَتَأَيَّنُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾ * أَرْجِعِي إِلَى رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿ [الفجر: ٢٧، ٢٨].

مجاهدة أهواء النفس:

كل هذا يأتي بالمجاهدة، بالرياضة، باليقظة من الإنسان لنفسه، لا يدعها لهواها تعمل ما تشاء، فإنّك إذا تركتها لا تعدل عن الشر، ولا تكف عن الهوى، كما قال البوصيري رَحِمَهُ اللَّهُ :

والنفس كالطفلٍ إن تهمله شبَّ على حُبِّ الرضاع وإن تَفَطَّمَهُ يَنْفَطِمَ
فاصرف هواها وحاذر أن تولّيه إِنَّ الهوى ما تولّى يَضُمُّ أو يَصِمُّ^(١)

النفس كالطفل إذا تركته لا يمكن أن يترك الرضاع، يصير صبيّاً، فلا بدّ أن تَفَطَّمَهُ، وقد يكون في ذلك بعض الشدة أحياناً.

كذلك النفس تحتاج إلى هذا الفطام، فلا تدعها للشهوات تلعب بها، وللشيطان يعبث بها، ولا تدعها للهوى؛ فإنها إن اتبعت هواها ضلّت الطريق، وعصت الرحمن، وأطاعت الشيطان، كما قال تعالى لداود عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]. لا تتبع الأهواء والعواطف

(١) انظر: البردة مع شرح الباجوري ص ٣٧، نشر مكتبة الصفا، القاهرة.

والانفعالات، حُكِّم عقلك، حُكِّم شرعك، حُكِّم دينك، لا تستسلم لهوى النفس أبداً.

إِنَّ اللَّهَ ذَمَّ قَوْمًا فَقَالَ: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾ [محمد: ١٦]، وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]. ليس هناك أضل ممن يتبع الهوى.

وقال الله عن المشركين: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِّن رَّبِّهِمْ الْهُدَىٰ﴾ [النجم: ٢٣]. وقال لرسوله محمد ﷺ: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨]. انفرط عقده، وانحل زمامه، وأصبح سائباً لا شيء يربطه، ولا شيء يقيده، ولا شيء يضبطه، ﴿وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾.

إذا ترك الإنسان نفسه للهوى ضلّ وانحرف وزاغ، وأصبح عبداً للشيطان، ولم ينفعه علم ولا فكر ولا ثقافة، ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣]، أضله الله على علم لأنه لم يتبع العلم والعقل، ولكن اتبع الهوى والغريزة؛ فأصبح كالبهيمة كما قال الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ * أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلاً﴾ [الفرقان: ٤٣، ٤٤]. أصبحوا كالأنعام.

يقول الإمام الغزالي: النفس في حالة الشهوة، وفي حالة الغضب سبّع، وفي حالة المصيبة طفل، وفي حالة النعمة فرعون^(١). هذه هي نفس

(١) منهاج العابدين ص ١٧٩ - ١٨٠.

الإنسان، ولذلك كانت في حاجة إلى زمام يمسكها، فلا تدع لها الحبل على الغارب، إنها تحتاج أن تعاملها بالحكمة، أحياناً تحتاج أن تقودها بسوط التخويف من الله ومن الآخرة ومن النار، وأحياناً تحتاج أن تقودها بزمام الرجاء فيما عند الله، في خيرات الدنيا وفي نعيم الآخرة، هكذا ينبغي أن تكون مع نفسك.

طبيعة خلق الإنسان:

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

القسم الأول: مخلوقات لا شهوة لها، ولا غرائز عندها، مفطورة على الخير، على الطاعة، على عبادة الله، وهم الملائكة الذين خلقهم الله من نور، وجنّدهم لعبادته، وسخرهم في طاعته، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]، ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحریم: ٦]، هذه الجنود المُجنّدة، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١]، هذه الملائكة تعمل في طاعة الله بالفطرة، كما نتنفس نحن يتعبّدون هم، هذا قسم من أقسام الخلق.

وهناك قسم ثانٍ من أقسام الخلق: مخلوقات لها شهوات وغرائز، وليس لها عقول، فهي تتبع شهواتها وغرائزها، وهي الأنعام والبهائم، وهذه غير مكلفة، لم يكلفها الله؛ لأنّه لم يمنحها العقل، الحمار يفعل ما يشتهي، أراد أن يبول فبال في الطريق، رأى خضرة في حقل يأكل منه، لا يبحث هل هذا حلال أم حرام؟ هذه الحيوانات والبهائم والأنعام مخلوقات تحرّكها غرائزها.

وهناك قسم ثالث من المخلوقات: جعلهم الله بين الملائكة والبهائم، فيهم عقول الملائكة، وفيهم غرائز البهائم، وهؤلاء هم البشر، أعطاهم الله

عقولاً، كما رُكِّبَ فيهم شهوات وغرائز لحكمة يعلمها، حتَّى تعمُر هذه الأرض، فلولاً هذه الغرائز ما عمُرَت هذه الأرض، لا بدَّ للإنسان أن يشتهي ويأكل ويشرب ويتزوج؛ حتَّى يحدث النسل ويتكاثر، ويستمر هذا النوع، وتعمُر الأرض كما يحب الله تعالى. فهذه الغرائز لها حكمته ووظيفتها.

خلق الله الإنسان هذا الخلق المُركَّب، المزدوج في طبيعته، رأينا كيف خلق الله آدم، خلق بشراً من تراب أو من طين أو من صلصال من حمأ مسنون، أي من جزء أرضي، وجزء آخر علوي ليس من الأرض، إنّما هو من فوق، من السماء، وهو الذي أشار إليه تعالى حينما خاطب الملائكة بقوله: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩، ص: ٧٢]. هذا هو الذي ميّز الإنسان: النفخة الروحية الإلهية، ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾، هذا هو الذي جعله شيئاً متميّزاً على غيره، وهو الذي استوجب سجود الملائكة له.

هكذا أصبح الإنسان مُكوّناً من عنصر أرضي وعنصر سماوي، عنصر سُفلي وعنصر علوي، ولهذا تتجاذب الإنسان هاتان الإرادتان، أحياناً يجذبه الطين إلى أسفل فيخلد إلى الأرض ويتبع هواه، كالذي قال الله فيه: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَٱنفَسَخَ مِنْهَا فَٱتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ ٱلْءَاوِينَ﴾ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِنْ تَحَمَلَ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثَ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

وأحياناً تعلو الروح بالإنسان إلى أعلى؛ فيلحق بأفق الملائكة، الآخر لحق بحضيض الشياطين ودرك البهائم، وهذا لحق بأفق الملائكة، وأصبح من خير البرية، كالذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحٰتِ أُوْلَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧].



إمكان الترقى:

يمكن أن يرتقى الإنسان، ويمكن أن يهبط؛ بماذا يرتقى؟ بمجاهدة نفسه، أول ما ينبغي على الإنسان أن يفعله أن يقف أمام نفسه وقفة اليقظ البصير، يراقبها ويحاسبها ويجاهدها، ويسمو بها من رتبة إلى رتبة، يرتقى بها من درجة إلى درجة، من النفس الأمّارة بالسوء، إلى النفس اللوامة، إلى النفس المطمئنة بالإيمان.

وليس هذا أيُّها الإخوة بمستحيل على الإنسان، إنّ الله تعالى زوّد الإنسان بقدرات وإمكانات، يستطيع بها أن يجاهد نفسه حتّى تلين له، وتصبح مطّوعة له، منقادة للخير، كارهة للشر، مَنْ جاهد نفسه وصل إلى هذه النتيجة، إلى الهداية، كما قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

جاهد نفسك في الله لتصل إلى هداية الله، معك العقل الذي أعطاه الله لك، ومعك الإرادة، ومعك القرآن، ومعك السنّة، ومعك ميراث الأنبياء والمؤمنين والصّالحين، معك هذا كله، تستطيع أن تجاهد نفسك إذا عزمت، إذا وضعت نفسك في أول الطريق.

خطر الغفلة:

أمّا إذا تركت نفسك سائبًا، غافلًا عن نفسك، غافلًا عن مصيرك، غافلًا عن آخرتك، كل همّك أن تشبع من شهوات الدُّنيا، كل همّك أن تجمع المال من حلال أو حرام، كل همّك أن تبني القصور، كل همّك أن تتبع الشهوات ولو ضيعت الصلوات؛ فهذا هو الخطر عليك أيُّها الأخ المسلم، الخطر عليك هو الغفلة، أن تغفل عن نفسك وتغفل عن ربك، مَنْ غفل عن نفسه غفل عن ربه، ومن عرف نفسه عرف ربه.

خطر الغفلة عن الله والآخرة:

ولا ينبغي للإنسان أن يستسلم للغفلة، شر الأمراض هو غفلة الإنسان، غفلته عن مولاه، وغفلته عن مصيره، الله تعالى يقول: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ أُذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

طالما قلنا: إن هؤلاء أضل من الأنعام؛ لأنَّ الأنعام لم تؤت ما أوتي الإنسان، لم تؤت العقل الذي تُفكر به، لم تؤت الإرادة التي ترجح بها، لم تؤت الكتاب الذي أنزل على الإنسان من ربه، لم تؤت بعثة الرسول، لم تؤت هذا كله، ومع هذا فإن هذه الأنعام تؤدي المهمة الموكولة إليها، (تعمل بأكلها، تحلل لقمتها).

لكن الإنسان (لم يُحلل اللقمة التي يأكلها)، النعمة التي غمرها الله بها، غمره الله بالنعمة من رأسه إلى قدمه، ﴿وَمَا يَكُم مِّن نَّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ومع هذا لم يؤدِّ لله حقَّه، حينما أدت الأنعام إلى صاحبها حقَّها فحرثت الأرض، وسقت الزرع، وقامت بما يُطلب منها: لم يقم الإنسان بما يُطلب منه، ولذلك كان أضلَّ من الأنعام سبيلاً، ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.

الغفلة أيُّها الإخوة هي شر ما يُصاب به الإنسان، نسأل الله تعالى أن يرزقنا اليقظة، ويرزقنا البصيرة، ويرزقنا الحسَّ الحي، ويرزقنا النفس اللوامة، والنفس المُطمئنة؛ إنَّه سميع قريب.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم فاستغفروه من كل ذنب؛ إنَّه هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.



بَوَاعِثُ التَّوْبَةِ^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

النَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ أَساسُ الْإِصْلَاحِ:

لَا زَالَ حَدِيثُنَا مَوْصُولًا حَوْلَ تَزْكِيَةِ الْإِنْفُسِ؛ فَالْإِنْفُسُ الْإِنْسَانِيَّةُ هِيَ أَساسُ الْإِصْلَاحِ كُلِّهِ: إِصْلَاحُ الْأَفْرَادِ، وَإِصْلَاحُ الْأَسْرِ، وَإِصْلَاحُ الْمَجْتَمَعَاتِ، وَإِصْلَاحُ الْأُمَمِ، وَإِصْلَاحُ الْعَالَمِ كُلِّهِ؛ إِذَا صَلَحَتِ الْإِنْفُسُ صَلَحَتِ الْحَيَاةُ.

نَقْطَةُ الْبَدَايَةِ تَبْدَأُ مِنَ الْفَرْدِ، إِذَا لَمْ يَصْلَحِ الْفَرْدُ لَمْ يَصْلَحِ مَجْتَمَعٌ، وَلَمْ تَصْلَحِ حُكُومَةٌ، وَالْفَرْدُ إِنَّمَا يَصْلَحُ بِإِصْلَاحِ جَوَانِيئِهِ.

الْإِنْسَانُ لَا يُقَادُ مِنْ أُذُنِهِ كَمَا تُقَادُ الْبَهِيمَةُ، وَإِنَّمَا يُقَادُ مِنْ دَاخِلِهِ، يُقَادُ مِنْ عَقْلِهِ، وَيُقَادُ مِنْ ضَمِيرِهِ، لِهَذَا كَانَ إِصْلَاحُ الْإِنْفُسِ الْبَشَرِيَّةِ هُوَ أَساسُ كُلِّ إِصْلَاحٍ، وَفَقَ هَذِهِ السُّنَّةُ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي قَرَّرَهَا الْقُرْآنُ

(١) أُلْقِيَتْ فِي مَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالْأُحُدَةِ، فِي ٩ شَعْبَانَ ١٤٢٥هـ، الْمَوْافِقَ ٢٤ سَبْتِمْبَرِ

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، وفق ما قاله النبي ﷺ: «ألا إِنَّ في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»^(١).

يُقَاد الإنسان من قلبه، من عقله، من ضميره، من نفسه، سمها ما تسميها، المهم هذا الكيان الداخلي الذي هو حقيقة الإنسان، حقيقة الإنسان ليست في هذا اللحم والدم، ليست في هذه العظام والخلايا والأجهزة، هذه توجد عند الحيوانات، وربما كان الحيوان أضخم جسمًا من الإنسان، وأوسع بطنًا، وأكثر أكلًا منه، ولكن الإنسان الحقيقي في هذا الكائن الروحي، الكائن المعنوي الذي به صار الإنسان إنسانًا، وكرّمه الله على سائر المخلوقات، وجعله في الأرض خليفة، وحمله الأمانة التي عُرضت على السماوات والأرض والجبال، فأبين أن يحملنها وأشفقن منها.

لا بدّ من جهادٍ لإصلاح النَّفس الإنسانية ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

لله سنة ثابتة في خلقه:

هذه سنة ماضية، من بذل جهده، واستفرغ وسعه في مجاهدة نوازعه الشريرة، في مواجهة نفسه الأتّارة بالسوء، في مواجهة شيطانه، في مواجهة أهوائه وشهواته، لا بدّ أن يصل إلى الهداية الربّانية، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾.

(١) سبق تخريجه ص ٢٠٧.

وقد قال عليه السلام: «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله»^(١) الجهاد الحقيقي: أن تجاهد هواك، وألا تسترسل مع نزعات نفسك، وأنانية نفسك، وأهواء نفسك؛ فإن من اتبع هواه فقد ضلّ وغوى ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [الفصص: ٥٠].

قال ابن عباس رضي الله عنه: «الهوى شرُّ إله عبد في الأرض»^(٢)، ثم تلا قول الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَغَلَّبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشًوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣].

لا بدّ من مجاهدة النفس، ولا بدّ أن يسلك الإنسان طريقه إلى الله، محطة محطة، ومرحلة مرحلة، حتّى يصل إلى رضوان الله تعالى ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

التوبة أول المحطات:

وقد ذكرنا - أيها الإخوة - في الخطب الماضية: أنّ المحطة الأولى التي ينبغي أن ينطلق منها الإنسان هي: محطة التوبة، أن يغتسل الإنسان من ذنوبه، أن يتطهّر من خطاياهم، أن يقف مع نفسه وقفة صادقة؛ ليحاسبها على ما اقترف من سيئات، وما فرّط فيه من حقوق لله وللنفس وللناس، ينبغي أن يقف هذه الوقفة ليصلح ما فسد، ويقوّم ما اعوجّ، ويظهر ما خبث.

(١) رواه أحمد (٢٣٩٥٨)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. والترمذي في الجهاد (١٦٢١)، وقال:

حسن صحيح. وابن حبان في السير (٤٦٢٤)، والحاكم في الإيمان (١١/١)، وصحّحه على شرط مسلم، وسكت عنه الذهبي. عن فضالة بن عبيد.

(٢) انظر: المدخل لابن الحاج، (١١٦/٣)، نشر دار التراث.

إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا:

وليس هناك ذنب يستعصي على التَّوْبَةِ، كُلُّ الذُّنُوبِ قَابِلَةٌ لِلتَّوْبَةِ، حَتَّى الْكُفْرِ، حَتَّى الشُّرْكِ بِاللَّهِ، حَتَّى الْإِلْحَادِ وَالْجُحُودِ بِاللَّهِ تَعَالَى، إِذَا تَابَ الْإِنْسَانُ مِنْهُ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَالتَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

حَدَّثَنَا اللَّهُ عَنْ عِبَادِ الرَّحْمَنِ فَكَانَ مِنْ أَوْصَافِهِمْ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا * إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

حتى الشُّرْكِ، حَتَّى الْقَتْلِ، حَتَّى الزَّنى، مَنْ تَابَ مِنْهَا وَأَصْلَحَ مَا أَفْسَدَهُ مِنْ قَبْلُ، وَمَلَأَ صَاحِبَتَهُ بِالْحَسَنَاتِ بَعْدَ السَّيِّئَاتِ، بِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ بَعْدَ عَمَلِ السَّيِّئَاتِ، ﴿وَأَمَّا وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزُّمَر: ٥٣].

على الإنسان إذن أن يتوب إلى الله، أن يصطلح مع الله، أن يدع هذه الخصومة بينه وبين ربه، أن يقبل على الله فيتلقاه الله من بعيد، أن يقول: يا رب، يا رب؛ ليقول له ربه: لبيك عبدي وسعديك، الله تعالى يقول في الأثر القدسي الإلهي: «من أقبل من عبادي إليَّ تلقيته من بعيد، ومن أعرض عني ناديته من قريب»^(١).

(١) انظر: مدارج السالكين (١/٢١٢).

أقبل على الله يتلقاك من بعيد، يرحب بك كما قال الله تعالى في الحديث القدسي: «من تقرب إلي شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إلي ذراعًا تقربت إليه باعًا، ومن أتاني يمشي أتيته مهرولاً»^(١).

أقبل على الله تائبًا منيبًا، ابك على خطيئتك، اغسل نفسك بدموعك إن كنت صادقًا مع الله تعالى.

حقيقة التوبة:

ليست التوبة بالكلام بأطراف اللسان، التوبة حُرقة في القلب، أن تضيق عليك الأرض بما رحبت، كما وصف الله التائبين في سورة التوبة ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

سُئلت رابعة العدوية المرأة الزاهدة الصالحة، سألها أحد الناس: إذا تبت تاب الله عليّ؟

قالت له: يا جاهل، بل إذا تاب الله عليك تبت؛ أمّا سمعت قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]، إذا وفّقك للتوبة فهذا دليل القبول؛ لأنّ التوبة لا بدّ أن تُقبل ما دامت صحيحة مستوفية لشروطها، لا بدّ لنا أن نبحت البواعث على التوبة، لا بدّ أن نعرف مقام الله تعالى.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في التوحيد (٧٤٠٥)، ومسلم في الذكر والدعاء (٢٦٧٥)، عن أبي هريرة.

أول بواعث التَّوبَةِ: اعرف مقام ربِّك:

أول البواعث على التَّوبَةِ: أن تعرف مقام ربِّك وحقَّ ربِّك عليك، وأنت لو عشت عمرَكَ كلَّه راکعًا ساجدًا ما أدَّيت حقَّه عليك؛ لأنَّ نعمه عليك أعظم من أن تُحصِر، وأكبر من أن تُحصي، نعمه تغمركَ من قرنكَ إلى قدمكَ، ومن ميلادكَ إلى ساعة وفاتكَ، بل حتَّى من قبل الميلاد، وأنت في بطن أمِّكَ، الله هو الَّذي يركبُك جنينًا قبل أن يركبُك وليدًا ورضيعًا، الله تعالى هو المنعم بجلال النِّعم ودقائقها، ﴿وَمَا بِكُمْ مِّنْ نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]، ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤].

حقُّ الله عليك عظيم، كيف تقابل هذه النِّعم وتقابل مقام الألوهية بالنكران والكنود والكفران والفسوق والعصيان؟

تأكل ثمري وتعصي أمري! تأكل خيري وتطيع غيري!

أنت تعيش في خير الله، في إحسان الله، في نعم الله، فلماذا لا تؤدِّي حقَّ الله؟!

نِعْمَ اللَّهُ لَا تُحْصِي:

لا بدَّ أن يقف الإنسان ليعرف حقَّ ربِّه عليه، لو سجد على الجمر ما أدَّى حقَّ الله تعالى عليه، نعم ربِّك عليك كثيرة؛ انظر نعمة البصر، نعمة السمع، نعمة العقل، نعمة الجوارح، نعمة الصِّحة، نعمة العافية، نعمة المال، نعمة الأولاد، نعمة الهواء، نعمة الماء، نعمة الشمس والضيء، هذه النِّعم كُلُّها لا يمكن أن تحسبها، ولذلك كان حقُّ الله عليك عظيمًا، فماذا أدَّيت من حقَّ الله عليك؟

هذه وقفة!

الباعث الثاني: ذكر الموت والقبر:

مما يبعث على التوبة أن تذكر أن حياتك مهما طالت قصيرة، وأن منتهاها الموت، وما دام الموت نهاية كل حي فإن العمر مهما طال قصير قصير.

يقول الشاعر:

وَإِذَا كَانَ آخِرُ الْعُمْرِ مَوْتًا فَسَوَاءٌ قَصِيرُهُ وَالطَّوِيلُ^(١)

عندما ينتهي الأجل، عندما يحتضر الإنسان، ويأتيه ملك الموت، يتمنى المرء لو أمهل في الأجل يوماً، نصف يوم، ساعة، نصف ساعة، لحظات، يتمنى أن يُمدَّ له في أجله ليفعل خيراً، فيقول: ﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ * وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿[المنافقون: ١٠، ١١].

كم يتمنى لو أنه أُعطي فسحة ليصلي ركعتين خالصتين لوجه الله، أمامك عمر طويل الآن لماذا لا تصلي؟ لماذا لا تسبح الله وتكبره؟ لماذا لا تدعوه وتستغفره؟ لماذا لا تذكره كثيراً؟ لماذا لا تسبحه بكرة وأصيلاً؟ لماذا لا ترد الحقوق إلى أهلها؟ لماذا تبقى بمظالمك؟

الإنسان ينسى أنه ميت، والله تعالى قال لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠].

كلُّ النَّاسِ ذَائِقُو الْمَوْتِ: الملوك والرؤساء، والحكام والمحكومون، والأغنياء والفقراء، والأقوياء والضعفاء، الكلُّ ميت.

لماذا ينسى النَّاسُ الموت؟ لماذا يستبعدون الموت؟

(١) القائل: الشاعر المتصوف العراقي بهاء الدين الرواس.

قد رأينا في عصرنا: من يموت بالذبححة الصدرية، ومن يموت بالسكتة القلبية، ومن يموت في حادثة من حوادث السَّير، وما أكثرها.

لماذا تستبعد الموت؟

كُلُّ امْرِئٍ مُصَبَّحٌ فِي أَهْلِهِ والموتُ أدنى من شِرَاكِ نَعْلِهِ^(١)

﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾ [النحل: ٧٧]، هناك الساعة العامة، وهناك الساعة الخاصة، ساعة كلِّ إنسان، ومن مات فقد قامت قيامته، وأنت لا تدري متى ساعتك.

كان ابن عمر رضي الله عنه يقول: إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لسقمك، وخذ من حياتك لموتك^(٢).

الموت، تذكر الموت، تذكر القبر، تذكر هذه الحفرة التي ستؤول إليها في النهاية، عِشْ ما شئت فإنك ميت، وأحبب من شئت فإنك مفارقه^(٣)، واجمع ما شئت من مال، وابن ما شئت من قصور، ستودّع هذا كله إلى هذه الحفرة.

(١) كان أبو بكر إذا أخذته الحمى يُنشد هذا البيت. رواه البخاري في فضائل المدينة (١٨٨٩)، عن عائشة.

(٢) رواه البخاري في الرقاق (٦٤١٦)، عن ابن عمر، موقوفاً.

(٣) رواه الطبراني في الأوسط (٤٢٧٨)، والحاكم في الرقائق (٣٢٤/٤)، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٧٦٤٤): رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٣)، عن سهل بن سعد.



القبر أفضع منظر:

كان عثمان رضي الله عنه إذا رأى القبر بكى بكاء مرًّا، فقليل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي مثلما تبكي إذا رأيت القبر! فقال لهم: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «القبر أوّل منزل من منازل الآخرة، فإذا نجا منه كان أنجى فيما بعده».

ويقول أيضًا: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ما رأيت منظرًا إلا والقبر أفضع منه»^(١).

منظر القبر، انظر إلى هذا الإنسان الذي كان يمشي متبخترًا فوق الأرض، يمشي في الأرض مرحًا، كأنه يخرق الأرض، أو يبلغ الجبال طولًا! إذا به يوضع في هذه الحفرة، في وادي الموتى.

اذهب إلى هذا الوادي، إلى تلك المقبرة في قطر، وهي أدلّ على الموت من المقابر في بلاد أخرى؛ لأنّ الجميع في حفر متساوية، الأمير والمأمور، والوزير والغفير، والغني والفقير، حفر متساوية يحفر له في الأرض ثمّ يردم عليه، هذا هو وادي الموتى!

تذكّر هذا الموت، لماذا تسوّف في التوبة، وتقول: سوف أتوب، وما يدريك أن سوف هذه ستأتي، ما يدريك أنّك سيأتي عليك الغد؟

(١) رواه الترمذي (٢٣٠٨)، وابن ماجه (٤٢٦٧)، كلاهما في الزهد، وعبد الله بن أحمد في زوائد المسند (٤٥٤)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. والحاكم في الجنائز (٣٧١/١)، وصحّحه، وقال الذهبي: ابن بحير - أحد الرواة - ليس بالعمدة ومنهم من يقويه، وهانئ روى عن جماعة، ولا ذكر له في الكتب الستة اهـ. والحديث حسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٢٣).

لا تدري والله.

تزود من التقوى فإنك لا تدري إذا جنَّ ليلٌ هل تعيش إلى الفجر؟
فكم من سليمٍ مات من غيرِ علة؟ وكم من سقيمٍ عاش حينًا من الدهر!
وكم من فتى يُمسي ويُصبح لاهيًا وقد نُسِجتْ أكفانُهُ وهو لا يدري^(١)!

الباعث الثالث: ذكر الآخرة والجنة والنار:

لا بدَّ أن نتذكَّر الموت، ولا بدَّ أن نتذكَّر الآخرة، الجنة والنار.

الموت أشدُّ ما قبله، وأهون ما بعده؛ المشكلة ليست مشكلة الموت،
ولكن ما بعد الموت.

ولو أننا إذا مِتْنَا تركنا لكان الموتُ راحةً كُلَّ حَيٍّ
ولكنَّا إذا مِتْنَا بُعِثْنَا فنُسألُ بعدها عن كلِّ شَيْ^(٢)

إنَّ بعد الموت بعثًا، وإن بعد البعث حشرًا، وإنَّ بعد الحشر حسابًا،
وإنَّ بعد الحساب ثوابًا أو عقابًا، جنة أو نارًا، لا بدَّ أن ندكر هذا كله،
وما معنى الجنة أو النار؟

إنَّه ليس شيئًا هيئًا أن تفقد الجنة وأن تدخل النار، الإنسان يحزن إذا
خسر بعض المال أو بعض الصفقات، فكيف إذا خسرت الجنة؟ وكيف
إذا دخلت النار؟

(١) ذكر الفاكهاني البيتين الأولين ولم ينسبهما في رياض الأفهام (١٧٠/٣)، تحقيق نور الدين طالب، نشر دار النوادر، سوريا، ط ١، ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م، والبيت الأخير ذكره من غير نسبة الآلوسي في روح البيان (٤٨٢/١٠)، نشر دار الفكر، بيروت.

(٢) البيتان لدلف بن أبي دلف في رؤيا رآها، رواهما الخطيب في تاريخ بغداد (٤٠٧/١٤)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، ط ١، ١٤١٧هـ، وينسبان إلى سيدنا علي بن أبي طالب عليه السلام، كما في الفاضل للمبرد ص ١٣.

جسمي ليس على الشمس يقوى ولا على أهون الحرارة
 فكيف يقوى على جحيم وقودها الناس والحجارة^(١)؟
 ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَمَنْ
 زُحِرَ عَنِ الْكَارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ
 الْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

كان بعض الصالحين يقرب المصباح من يديه، ويضع أصابعه عليه،
 فتلسعه نار السراج، وهي نار ضعيفة خفيفة فيقول: إذا كنت لا تحمل
 هذه اللسعة من نار السراج، فكيف بنار الآخرة؟ ونار الدنيا جزء من
 سبعين جزءاً من نار الآخرة^(٢)!

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا
 مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التَّحْرِيم: ٦].
 أي خسارة أن تفقد الجنة، وأي خسارة أن تدخل النار!

الباعث الرابع: معرفة آثار المعاصي في الدنيا والآخرة:

الباعث الرابع على التوبة: أن تتذكر خطر المعاصي عليك، وأنت إذا
 استرسلت فيها ساقتك إلى خسارة نفسك، وبوار صفقتك، وضياع
 مصيرك، وهلك في الدنيا والآخرة، لا بد أن تقف مع نفسك لتدرس
 آثار المعصية والخطايا على حياتك: الروحية والمادية، الفردية
 والاجتماعية، الحاضرة والمستقبلية، الدنيوية والأخروية.

(١) مرشد الزوار إلى قبور الأبرار (٤٣٨/١).

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي (٣٢٢/١٧، ٣٢٣)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، نشر
 دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

إنَّهَا آثَارُ مَدْمَرَةٍ، يَعْرِفُهَا كُلُّ مَنْ تَدَبَّرَ كِتَابَ اللَّهِ، وَمَنْ دَرَسَ سُنَّةَ رَسُولِ اللَّهِ، وَمَنْ قَرَأَ وَقَائِعَ الْحَيَاةِ، وَتَابَعَ أَحْدَاثَهَا كُلَّ يَوْمٍ بَعِينٍ تَرَى، وَأُذُنٍ تَسْمَعُ، وَقَلْبٍ يَعِي ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

يَا نَاطِرًا يَرْنُو بَعِينِي رَاقِدٍ وَمُشَاهِدًا لِلْأَمْرِ غَيْرِ مُشَاهِدٍ
تَصِلُ الذُّنُوبُ إِلَى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي دُرُكَ الْجَنَانِ وَنِيلَ فَوْزِ الْعَابِدِ
أَنْسَيْتَ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمَا مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدٍ^(١)!

تريد أن تدخل الجنة وآلاف المعاصي قد ارتكبتها! بل ملايين المعاصي لو حسبتها، وآدم بذنب واحد خرج من الجنة، ولم يسامح نوحًا في كلمة حين قال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ﴾ [هُود: ٤٥]، فكان الرد الحاسم عليه: ﴿يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ * [هُود: ٤٦، ٤٧]، وكذلك قال آدم وزوجه: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

لا بد أن نقف مع أنفسنا هذه الوقفات لتتوب إلى الله تعالى، ونرجع إليه، ونعرف آثار المعاصي في النفس وفي الحياة، في الفرد وفي المجتمع؛ فالمعاصي هي الشؤم على الإنسان، والشؤم على الأسرة، والشؤم على الجماعة، والشؤم على الأمة، والشؤم على الإنسانية،

(١) الأبيات لمحمود الوراق، كما في العقوبات لابن أبي الدنيا (١١٠)، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، نشر دار ابن حزم، بيروت، ط ١، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، وعيون الأخبار (٤٠٣/٢)، نشر دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ.

والشؤم على البيئة، والشؤم على كل شيء، ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ [الرُّوم: ٤١]، أي: بمعاصيهم ليزيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون، ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشُّورَى: ٣٠].

تذكّر أيّها الأخ المسلم، تذكّر هذا كلّه لبيعثك على التّوبة إلى الله؛ لترجع إلى الله بعد أن شردت من الله.

معنى التّوبة:

التّوبة معناها: الرجوع بعد شرودك، بعد بُعدك عن الله، ترجع إليه تقف على بابه، ترتمي في ساحته، وتقول: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

نسأل الله تعالى أن يتوب علينا توبة نصوحاً، وأن يغفر لنا ما مضى، وأن يُصلح لنا ما بقي، وأن يجعل يومنا خيراً من أمسنا، وغدنا خيراً من يومنا، ويُحسن عاقبتنا في الأمور كلّها، ويجرنا من خزي الدُّنيا وعذاب الآخرة.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله تعالى لي ولكم، فاستغفروه إنّه هو الغفور الرحيم، فادعوه يستجب لكم.



الخطبة الثانية

أمّا بعد، فيا أيّها الإخوة المسلمون:

محنتان:

قدّر الله لي في هذا الصيف أن أبتلى بمحنتين: محنة خارج دار العرب والمسلمين، ومحنة في دار العرب والمسلمين، وأحمد الله تعالى أن خرجت منهما أصفى جوهرًا، وأصلب عودًا، وأشدّ قوّة؛ فالمحن لا تزيد المؤمنين إلّا إيمانًا وثباتًا في الخير، وعزيمة على الرُّشد، كما وصف الله تعالى المؤمنين بعد غزوة أحد فقال تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۖ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةِ رَبِّهِمْ فَفَضِّلُوا وَلَمْ يَمَسَّ سَمُّهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَهُ ۗ﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤]، وقال تعالى بعد غزوة الأحزاب: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ۗ﴾ [الأحزاب: ٢٢].

كانت المحنة الأولى - أيّها الإخوة - في لندن؛ فقد عقد اللوبي الصهيوني هناك العزم على أن يمنعني من دخول لندن، وكنا في لندن قد دعينا لنعقد دورة المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث هناك، وهذا المجلس كنا نعقدّه في البلاد الأوروبية، مرّة عقدناه في ألمانيا، ومرّة عقدناه في فرنسا، ومرّة عقدناه في إسبانيا، ومرّة عقدناه في السويد، وهكذا.

اللوبي الصهيوني وراء هذه المحنة:

وهذه المرّة أردنا أن نعقدّه في بريطانيا، وكنا عقدنا جلسة تأسيس المجلس الأولى فيها، ودعانا لنعقد جلسة الافتتاح عمدة لندن، ولبيّنا

الدعوة، ولكن اللوبي الصهيوني ثار ثائره، وجُن جنونه، وأراد أن يمنعني من دخول لندن، فدخلت لندن ولم يمنعني أحد، بل استقبلوني في المطار: نواب العمدة ورجاله، وأدخلوني قاعة التشريفات الكبرى، وهكذا. ثم أرادوا أن يخرجوني بعد أن دخلت! ورفع هذا اللوبي دعوة إلى المدعي العام، يطلبون إخراجي من لندن.

يريدون أن يمنعوني من بريطانيا كما مُنعت قبل ذلك من أمريكا، ولكن بحمد الله رُفضت هذه الدعوة، وقامت معركة سياسية كبيرة بين الحكومة والمعارضين، انتهت إلى مجلس العموم، وكان زعيم المعارضين - وهو يهودي يرأس حزب المحافظين - يبذل كل جهده لإخراجي من هناك.

سبب المحنة: أنني أدفع المقاومة:

وظللت عدة أيام والشغل الشاغل للصحافة والإذاعة والتلفزيون بقنواته المختلفة هو: يوسف القرضاوي؛ الذي يشجع الإرهاب، ويشجع العمليات الاستشهادية، ويؤيد المقاومة الإسلامية، يؤيد حماس، ويؤيد الجهاد الإسلامي، ويؤيد حزب الله، ويقف ضد إسرائيل، وضد السلام مع إسرائيل، ولكن الله تعالى - أيها الإخوة - نصرني على هؤلاء، بمجرد أن لقوني وأجروا معي حوارات مختلفة، واستمعوا إلى خطبتي في المسجد المركزي الكبير، وسألوني أسئلة محرّجة أجبت عنها بصراحة وقوة، فلم يجد هؤلاء إلا أن يغيّروا موقفهم، وأصبحت الصحافة التي تهاجمني تدافع عني، الرجل الذي حاورني من التلفزيون حوارًا طويلًا، قال لي في نهاية الحوار: أشهد - يا أستاذ - أنني تعلمت منك الكثير في هذا اللقاء.

وهذا من إنصاف القوم.

موقف عمدة لندن:

كان عمدة لندن «كين ليفينجستون» وهو رجل شهم، يعتبر الشخصية الثالثة أو الرابعة سياسيًا في إنجلترا، قد تبني الدفاع عني، واستقبلني في قاعة البلدية، وقال: أنا أستقبلك في القاعة التي رفضت أن يدخلها بوش، هكذا وقف الرجل وقفة صلبة في الدفاع أمام هذا اللوبي الصهيوني، وأتاح لي فرصة أخرى لمؤتمر عن الحجاب، كنت المتحدث الرئيسي فيه، ودعاني إلى مؤتمر في شهر أكتوبر القادم.

هكذا يدافع الله عن الذين آمنوا.

حاخامات يعارضون إسرائيل:

وكان من العجب أنني وجدت عددًا من حاخامات اليهود يقفون بجانبني، اليهود الذين يعارضون قيام إسرائيل ويرون أن قيامها مصيبة على اليهود، وكارثة على اليهود، وأنها هي التي ستعجل بنهايتهم، هؤلاء الحاخامات وجدتهم معي في افتتاح المجلس الأوروبي للإفتاء، وفي بعض المحاضرات كانوا موجودين، وأصرُّوا أن يودِّعوني في المطار، ثمانية منهم ظلُّوا في المطار حتَّى دخلت إلى الجوازات.

هذه محنة أنهاها الله على خير خارج ديار المسلمين.

وهناك عقدنا مجلسنا الأوروبي وأنهيناه، وعقدنا - أيضًا - جلسة تأسيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، وجاء أكثر من مائتين وخمسين عالمًا من أنحاء العالم، وقام الاتحاد المبارك على بركة الله.

كان هذا فضل من الله تعالى.



المحنة الثانية:

ثم ابتليت - أيها الإخوة - بمحنة أخرى داخل بلاد العرب والمسلمين،
محنة بين قومي وأهلي، وشاعرنا العربي طرفة بن العبد يقول:
وظَلُمَ ذُو الْقُرْبَى أَشَدُّ مَضَاضَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الْحُسَامِ الْمُهَنْدِ^(١)

سبب هذه المحنة:

بدأت هذه المحنة بكلمة قلتها في نقابة الصحفيين في مصر، بعد
محاضرة احتشد لها جمهور ضخم، معظمهم من الكتاب والصحفيين،
وسئلت سؤالاً عن قتال جنود الاحتلال في العراق، وقاتل المدنيين منهم؟
وأجبت بما أجبت به، قلت: الأمريكيون في العراق غزاة، والغزاة
يجب أن يقاوموا، هل هناك في العراق مدنيون من الأمريكيين أم أنهم
كلهم دخلوا مع جيش الاحتلال؟

وذكرت أن الإسلام لا يقاتل المدنيين ولا يقتلهم، ذكرت بذلك
الأحاديث الشريفة التي تنهى عن قتل النساء والصبيان والشيوخ، والرهبان
في الصوامع والفلاحين الحرّاث في أراضيهم، والتجار في متاجرهم،
ذكرت هذه النصوص، وقلت: لكن من عاون المقاتلين فهو عسكري.
هذا أمر.

وكان السؤال: هل يجوز التمثيل بالجثث بحال من الأحوال، وهناك
نهي صريح، وأحاديث صحيحة صريحة تنهى عن المثلة، حتى ولو كان
أعداء المسلمين يمثلون بجثثهم.

(١) ديوان طرفة بن العبد ص ٢٧، تحقيق مهدي محمد ناصر الدين، نشر دار الكتب العلمية،
بيروت، ط ٣، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

وأخذ بعض النَّاس جزء من الكلمة وقطعوها عن سياقها على طريقة «لا تقربوا الصَّلَاة»، وقالوا: إنَّني أُجيز قتل المدنيين بإطلاق بدون هذا السياق، وبدون هذه القيود التي تقيد الموضوع؛ ليرجوا مقولة يريدون فيها أن يصطادوا في الماء العكر، أو أن يعكروا الماء ليصطادوا فيه.

هكذا قالوا ممَّا اضطرني أن أعقد مؤتمرًا صحفيًا هنا في النادي الدبلوماسي في الدوحة، وأفسّر ما أردته، وقد قيل: إنَّه تراجع، وما تراجعت.

من هو المدني؟ ومن هو العسكري؟

لكن القضية هي قضية من هو المدني؟

هل المهندس الذي يجيء مع الجيش ليصلح الدبابة إذا عطبت، هل هذا المهندس مدني أم عسكري؟ مَنْ هو المدني؟ وَمَنْ هو العسكري؟ القضية كلُّ من يقاتل أو يعاون المقاتلين فهو عسكري، أنا أريد أن أسأل النَّاس هؤلاء: هل شارون عندهم مدني أم عسكري؟ ماذا يقولون في شارون؟ ما هي المدنية وما هي العسكرية؟

وخصوصًا في عصرنا، والحرب لم تعد واحد يضرب واحدًا بالسيف أو بالرمح أو الحربة.

لا، أصبحت الحرب تخدمها مؤسسات عدّة، وأفراد من كلِّ ناحية.

لا بدّ أن نحدّد مَنْ هو المدني، وَمَنْ هو العسكري.

لمن توجّه هذه الضربة؟

ومع هذا وجدنا طائفة من العِلْمانيّين تنتهز هذه الفرصة تحاول أن تضرب ضربتها، لا في يوسف القرضاوي، ولكن في الدعوة الإسلاميّة، والرسالة الإسلاميّة.

يريد هؤلاء أن ينتهزوا هذه الفرصة ليقولوا: إِنَّ الإسلام ليس يسر،
حتّى التيار الوسطي والتيار المعتدل، كلُّ هؤلاء إرهابيون.

ومعاذ الله أن نكون إرهابيين؛ نحن ضد الإرهاب، ونحن ضد
العنف، وأحمد الله أن مقالاتي ومحاضراتي وخطبي وكتبي وبرامجي
التلفزيونية كلّها مكشوفة على الملأ، يعرف الناس موقفني، ولكن هؤلاء
لا يريدون أن يفهموا.

يأكلون من كلامي ويطلبون محاكمتي:

حتى إنّ صحيفة إماراتية منذ أيام قد طالبت الضحية الأمريكي
الرهينة الذي قُتل في العراق أن يرفعوا دعوى ضدي، لماذا؟

لأنّ فتواي هي التي تسببت في ذبح هذه الرهينة!

يا عجباً، كأنّ أبا مصعب الزرقاوي ينتظر فتواي حتّى ينفذ ما يريد!
لقد قتل أمريكيين من قبل، وقتل إيطاليين، وقتل أتراكاً، وقتل
باكستانيين، وقتل نيبالين، ولم تكن فتوى مني ولا كلمة مني،
وبالأمس قتلوا الرهينتين الإيطاليتين، وقد طالبت مطالبة ملحة
بالإفراج عنهما.

هؤلاء النّاس لا أدري ما يقولون؟ بأي لغة يخاطبون النّاس؟

كأنّما يظنون أنّ النّاس لا عقول لهم!

وأعجب لهذه الصحيفة ولبداءتها فقد أوسعتني سبّاً وشتماً، وقال لي
بعض النّاس: ألا تردّ على هذه البداءة؟ على هذه الشتيمة؟

قلت: كيف أردّ على السبّابين والشتامين؟

يسعني قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْنِئُ الْجَاهِلِينَ﴾ [القصص: ٥٥]، ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان: ٦٣].

الشاعر العربي يقول:

لو كلُّ كلب عوى ألقمته حجرًا لأصبح الصخر مثقالاً بدينار^(١)
لا، لا تتسع الحياة ولا الأعمار لردّ على هؤلاء، وكلُّ إناء ينضح
بما فيه.

نسيت هذه الصحيفة أنّها ظلت عدّة سنوات تنشر لي كلّ يوم مقالاً،
وكانت تبذل الجهود لتستكتبني، أو لتجري معي حواراً، ثمّ هي الآن
تقول عني ما تقول، يا عجباً!

الفرق بين الوجود الأمريكي في العراق وفي قطر:

ووجدت بعض الكتاب يقول: ماذا يقول القرضاوي في القوات
الأمريكية أو الوجود الأمريكي في قطر؟

يريدون أن يخرجوني ويريدون أن يضيّقوا عليّ الخناق، وأنا أريد أن
أقول لهؤلاء: لا تخلطوا الحابل بالنابل، ولا تلبسوا الحقّ بالباطل.

هناك فرق بين الوجود الأمريكي في العراق، والوجود الأمريكي في
قطر؛ الوجود الأمريكي في العراق دخل نتيجة غزو عسكري ظالم قهر
البلاد، وقهر أهلها، حتّى احتلّ الأرض، برغم أنف أهلها، وبرغم

(١) القائل: يوسف بن علي بن محمد الأديب، انظر: البلدانات للسخاوي ص ٢٣٤، تحقيق،
حسام بن محمد القطان، نشر دار العطاء، السعودية، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

الشرعية الدولية، وبرغم أنف الملايين من الجماهير التي ثارت وتظاهرت في كل مكان.

أمّا الوجود الأمريكي في قطر هذا نتيجة اتفاقات بينه وبين حكام البلد، بناء على اعتبارات رأوها، وهم يتحملون مسؤوليتها أمام الله وأمام الشعب وأمام التاريخ، وإن كنت أنا شخصيًا أكره الوجود الأمريكي في قطر، وأكره الوجود الأمريكي في الخليج، وأكره الوجود الأمريكي في بلاد العرب وفي بلاد المسلمين، وبلاد «الواق الواق» في اليابان أو في غيرها.

أكره الوجود الأمريكي في كل مكان، ولكن هذا شيء وقتال هؤلاء شيء آخر.

لست مدّاحًا لأحد:

وبعض الناس قالوا: لماذا سكت العلماء أيام صدام حسين، الذين يقولون الآن بقتال الوجود الأمريكي. أين كانوا أيام صدام حسين؟

وأقول لهؤلاء: إن هذا الصوت لم يصدر منه في يوم من الأيام كلمة مدح أو ثناء لصدام حسين، بل كنت في معركة مع الخليجيين عامّة، الذين كان كثير منهم أبواقًا لصدام حسين، هؤلاء الذين يشتمون صدام حسين اليوم، كانوا يمدحونه ويوسعونه ثناء وإطراء أيام صولته وجولته، لعلّ هذا المنبر هو المنبر الوحيد الذي لم ينافق أحدًا، ومعظمكم يعايشني ويسمعني منذ سنوات ما مدحت صدام حسين، وأحمد الله أنني في حياتي لم أشتغل مدّاحًا لأحد، لا حاكمًا ولا محكومًا، لا في مصر ولا في قطر، ولا في أي بلد من البلدان.

لقد أتممت الثامنة والسبعين من عمري، وأحمد الله أنني عشت فيها عزيزاً كريماً، لم أحن رأسي لمخلوق، ولم أعفر جبهتي إلا لله راکعاً أو ساجداً، لا يستطيع أحد أن يتهمني أنني مالأت أحداً أو نافقت أحداً، وكلكم شاهدون على ذلك.

إنني أعيش بالإسلام وللإسلام وحده، ولا أستطيع إلا أن أكون كذلك.

أتمنى أن تُختم حياتي بالشهادة:

لقد هدّني الموساد يوماً بالتصفية الجسدية، ووقفت على هذا المنبر وقلت: إنني لا أخاف الموساد ولا التهديد بالموت، مرحباً بالموت في سبيل الله، والله ثمّ والله ثمّ والله: إنني لأتمنى أن تُختم حياتي بالشهادة في سبيل الله.

صوتي كان أعلى الأصوات:

هؤلاء الذين يريدون أن يجعلوني من أتباع صدام، ويقولون: أين كان هذا الصوت أيام الهجوم على الكويت وغزو الكويت؟

والله لقد كان صوتي أول الأصوات التي ارتفعت بالتنديد بغزو الكويت والمعارضة لصدام.

ومن هذا المنبر، صدرت أول خطبة وأقوى خطبة في مقاومة الغزو، وكانت خطبتي تذاع في الإذاعة الكويتية الخاصة، في كل ساعة يعيدون خطبتي!

لقد دعا صدام علماء المسلمين في مؤتمرات شتّى وألحوا عليّ، ألح عليّ السفير العراقي هنا في قطر أن أحضر، فلم أحضر، ورصد

الراصدون من رجال الحكم العراقي من حضر وقالوا: كلُّ العلماء استجابوا لنا إلا عالمين اثنين: أبا الحسن الندوي في الهند، ويوسف القرضاوي في قطر.

لم أستجب وأنا إلى الآن لم أزر العراق في حياتي.

مَنْ يَتَّهَمُنِي بِأَنِّي مَالَتْ هَذَا أَوْ ذَاكَ؟!

خطيب مهووس:

أحبُّ أن أقول - أيُّها الإخوة: هناك خطيب مهووس في الكويت دعا من فوق المنبر حكومة قطر أن تسحب مني الجنسية القطرية، كأن الجنسية القطرية ثوب يُخلع ويُلبس، وهؤلاء نسوا أنني قطري حقًّا، وأنِّي أصبحت أحمل الجنسية القطرية كما يحملها أي قطري.

إن في قطر رجالاً دافعوا عني أيام عبد الناصر، ودافعوا عني أيام بوش أيضًا.

أراد عبد الناصر أن يسحبني من قطر لأذهب من الدار إلى النار، إلى السجن الحربي، ورفضت قطر، وكان ذلك موقفًا مشرفًا لقطر.

وأراد بوش وأتباعه شيئًا واحدًا من قطر: أن تُسكت لسان القرضاوي! فلم تقبل قطر ولا أمير قطر، ولم تفرط في حقِّي وأنا أشكر لهم ذلك، فمن لم يشكر النَّاس لم يشكر الله.

وأحبُّ أن أرخي العنان إلى هؤلاء الذين يطالبون بإسقاط الجنسية عني، وأفترض المستحيل، وعلماءونا يقولون: فرض المستحيل جائز، هب أن قطر استجابت لمنطق هؤلاء الحمقى، وسحبت جنسيتي.

والله إن هذا لا يخيفني؛ إن أرض الله واسعة؛ الله تعالى يقول:
﴿يَعْبَادِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَأَعْبُدُونَ﴾ [العنكبوت: ٥٦]، ﴿قُلْ
يَعْبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ
وَسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرُهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

هل تعجز الأرض على سعتها أن تهیی لي كوخاً يسعني حيّاً، أو قبراً
يسعني ميتاً؟!

لن تضيق الأرض بذلك، وأنا أؤكد ما قاله إمامنا الشافعي رحمته الله حينما قال:
أمطري لؤلؤاً جبال سرنديب وفيضي آبار تبريز تبراً
أنا إن عشت لست أعدم قوتاً وإذا مت لست أعدم قبراً
همّتي همّة الملوك، ونفسي نفس حُرّ ترى المذلة كُفراً
وإذا ما قنعت بالقوت عمري فلماذا أهابُ زيّداً وعمراً^(١)

أنا لا أخاف أحداً إلّا الله، لقد اتخذنا شعاراً للاتحاد العالمي لعلماء
المسلمين يتمثل في هذه الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ
وَيَخْشَوْنَهُ، وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ [الأحزاب: ٣٩].

إنّ الذي يحزُّ في نفسي: أنّي وجدت الإعلام البريطاني في جملته
أعدل وأصدق من الإعلام العربي والخليجي في جملته.

الإعلام البريطاني الذي شنّ عليّ الغارة عدّة أيام بمجرد أن قابلوني
وحادثوني وحاوروني غيّرُوا كلامهم تماماً، ولكن الإعلام العربي للأسف
يغالط ويكذب ويزوّر، ويقولني ما لم أقل.

(١) ديوان الشافعي ص ١١٨، تحقيق د. مجاهد مصطفى بهجت، نشر دار القلم، دمشق، ط ١،

وهذا من عجائب الدنيا، أنا لا يهمني هذا، بحسبي أن أرضي الله تعالى، لا يهمني رضا الناس.

ومن في الناس يُرضي كلَّ نفسٍ وبين هوى النفوسِ مَدَى بَعِيدٍ^(١)

رضا الناس غاية لا تدرك، ولكنني أهتمُّ بأن أرضي الله تعالى، إذا رضي الله عني فما يهمني سخط الخلق، وإذا سخط الله عليَّ، فما ينفعني رضا الناس.

إنَّ إرضاء الله تعالى هو الغاية والهدف، ولا يهمني أن تنتهي حياتي بموت في سبيل الله، أسأل الله أن يختم لي به.

وأنشد هنا ما قاله الصحابي الجليل خبيب بن عدي، الذي قدَّم إلى الخشبة ليُصلب فكان نشيده:

ولست أبالي حين أُقْتَلُ مسلماً على أيِّ جنْبٍ كان في الله مَضْرَعِي
وذلك في ذاتِ الإله وإن يشأ يُبارِكُ على أوصالِ شِلْوٍ مُمَرَّعٍ^(٢)

* * *

(١) البيت لناصيف اليازجي.

(٢) رواه البخاري في المغازي (٣٩٨٩).

أركان التوبة النصوح

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

في الخطبة الماضية تحدثنا عن التوبة، عن ضرورة التوبة، ووجوب التوبة لكل المؤمنين، ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١]، وأن أحدًا لا يستغني عن التوبة بحال، وأن مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ مَعْصُومٌ مُبَرِّأٌ فَهَذَا نَفْسُهُ ذَنْبٌ يَسْتَوْجِبُ التَّوْبَةَ، الكل مدعو إلى التوبة، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

تحدثنا عن التوبة باعتبارها عبادة من العبادات الباطنة، فقد شُغِلَ النَّاسُ بِالْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ عَنِ الْعِبَادَاتِ الْبَاطِنَةِ، وبأعمال الجوارح عن أعمال القلوب، وأعمال القلوب هي الأساس، أساس القبول عند الله أن يكون العمل الصالح صادرًا عن قلب منيب، ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٣٣]، ﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٩]، وأول منزل من منازل أعمال القلوب، وأول عمل يجب أن يبدأ به السالك إلى الله وَجَلَّ جَلَالُهُ طريق العبادة والاستقامة هو التوبة، فما حقيقة التوبة؟

حقيقة التوبة:

حقيقة التوبة تضمُّها أركانٌ ثلاثة: الندم على ما فات وما وقع في الماضي، والإقلاع عن المعصية في الحال، والعزم المصمَّم على عدم العودة إلى الذنوب في المستقبل، هذه هي أركان التوبة الثلاثة.

الركن الأول الندم:

أن يندم الإنسان على ما فرَّط في جنب الله، وما قصَّر في حقوق عباد الله، أن يستحضر ذنوبه بين عينيه، ألا ينسى هذه الذنوب، أن يتذكَّرها ويعرف عقوبة الله عليها، ويعرف أضرار هذه الذنوب عليه وعلى الأمة كلها، أضرارها في الدنيا وأضرارها في الآخرة، وأن كل ما ينزل به وبالناس من مصائب إنما سببه الذنوب والمعاصي، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَمِمَّا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

أي إنَّه لا يؤاخذنا بكل شيء، وقد قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ﴾ [النحل: ٦١]. ولكن الله يعفو عن كثير، ويتجاوز عن كثير، لو أخذ النَّاسَ بذنوبهم لهلك كل من في هذه الأرض وما عليها، ولكن لولا شيوخ رُكَّع، وأطفال رُضَّع، وبهائم رُتَّع، وشباب خُشَّع لَصَبَّ على النَّاسِ العذاب صبًّا، فالله يكرم خلقه بالصالحين والضعفاء من خلقه.

أثر الذنوب في قسوة القلوب وظلمتها:

الذنوب هي سر البلاء، فعلى الإنسان أن يستحضر قبح الذنوب. ألف الإمام ابن القيم كتابه (الداء والدواء)، أو (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي)، ذكر فيه عشرات العواقب الوخيمة والأضرار الأليمة للذنوب، أكثر من مائة أثر للذنوب في حياة الإنسان وحياة الأمة.

على الإنسان أن يستحضر هذه العواقب، وأن الذنوب - كما قال بعض السلف - أولها قسوة، وآخرها نقمة وشقوة. القسوة التي يجدها الإنسان في قلبه فلا يبكي لما يراه، لا يتأثر بما حوله، لا يعتبر بالناس يذهبون إلى القبور ولا يجيئون، يمر على وادي الموتى ويرى الحُفَر تضم أعظم النَّاس، الذين تركوا وراءهم ما تركوا، وهو مع هذا لا يجد قلباً يخشع، ولا عيناً تدمع، هذه القسوة من آثار المعصية.

قال الله تعالى في شأن جماعة من أهل الكتاب: ﴿فِيمَا نَقُصُّهُمْ مِّثْقَهُمْ لَعَنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣]. وقال في شأن بني إسرائيل: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤]. ولكن قلوب بعض النَّاس تقسو وتشتد حتى تكون أقسى من الحجارة الصِّمَاء، فالقسوة من آثار الذنوب.

ومن آثار الذنوب: الظُّلْمة، السواد الذي يغمر القلب. جلس الإمام الشافعي أمام الإمام مالك، وقرأ عليه (الموطأ)، فوجد مالك فيه فطنة وذكاءً وتوقُّداً، فقال له: يا بني، إنني أرى على وجهك وقلبك نوراً؛ فلا تطفئه بظلمة المعصية. وقال الشافعي في ذلك:

شَكُوتُ إِلَى وَكَيْعِ سُوءِ حِفْظِي فَأَرْشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
وَأَخْبَرَنِي بِأَنَّ الْعِلْمَ نُورٌ وَنُورُ اللَّهِ لَا يُهْدَى لِعَاصٍ^(١)

المعصية تطفئ نور الوجه ونور القلب!

والمعصية تخرج الإنسان من عز الطاعة إلى ذل المعصية، كان

(١) انظر: المحمدون من الشعراء للقفطي ص ١٣٨.

الحسن البصري ينظر إلى أولئك الأمراء والطغاة الذين يحكمون الناس في عصره فيقول: والله وإن ركبوا الخيول، وهملجت بهم البراذين، وصار حولهم الخدم والحشم، إن ذل المعصية لا يفارقهم^(١).

يجب على الإنسان أن يستحضر شؤم المعصية، لا ينسى الذنوب، وأن الله تعالى يؤاخذ بها، لا يستهين بالذنوب، كان بعضهم يقول: إن الله عاقب آدم وأخرجه من الجنة بلقمة أكلها مخالفاً، وعاتب نوحاً بكلمة حين قال: ﴿إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ﴾ * قَالَ يَنْفُخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَتَّخِذْ مَالَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿هود: ٤٥، ٤٦﴾. وحذره من عاقبة هذه الكلمة. ويقول في هذا القائل الصالح:

يَا نَازِرًا يَزْنُو بِعَيْنِي رَاقِدٍ وَمُشَاهِدًا لِلْأَمْرِ غَيْرَ مُشَاهِدٍ
تَصِلُ الذُّنُوبَ إِلَى الذُّنُوبِ وَتَرْتَجِي نَيْلَ الْجَنَانِ بِهَا وَفَوْزَ الْعَابِدِ
وَنَسِيتَ أَنَّ اللَّهَ أَخْرَجَ آدَمًا مِنْهَا إِلَى الدُّنْيَا بِذَنْبٍ وَاحِدٍ^(٢)

أخرج بذنب واحد، وأنت تصل عشرات الذنوب ومئاتها وآلافها، وترتجي نيل الجنان، إن السفينة لا تجري على اليبس، فلا بد أن يستحضر الإنسان آثار الذنوب، ويستحضر أن الله تعالى معاقب عليها في الدنيا وفي الآخرة.. يستحضر هذا ولا يغيب عن وعيه.

ولا بد للإنسان أن يستحضر ضعفه عن احتمال عذاب الله، وكما يقول الإمام الغزالي: إذا كان الإنسان لا يتحمل لكمة على وجهه،

(١) الحكم الجديرة بالإذاعة لابن رجب ص ٣١، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، نشر دار المأمون، دمشق، ط ١، ١٩٩٠م.

(٢) من شعر محمود الوراق. انظر: عيون الأخبار (٤٠٣/٢).

ولا يتحمّل ضربة للشمس، ولا يتحمّل قرص نملة؛ فكيف يتحمّل النار وعذابها وأهوالها^(١)؟

وكما قال ذلك الرجل الصالح:

جِسْمِي عَلَى الْبَرْدِ لَيْسَ يَقْوَى
وَلَا عَلَى أَيْسَرِ الْحَرَارَةِ
فَكَيْفَ يَقْوَى عَلَى جَحِيمٍ
وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ^(٢)؟

هذا الاستحضار هو الذي يورث ذلك الندم، وتلك الحسرة في القلب، أن يتقطع قلب الإنسان حسرات على ما فرّط في جنب الله وَعَجَلَ.

مصيبة الكثير من الناس هو الغفلة، أنّه يذنب وينسى الذنب كأنه لم يفعل، لا بدّ من استحضار الذنوب هذا أمر مهم حتّى يورث الحسرة والندامة.

وقد روي في الحديث: «الندم توبة»^(٣). أي إنّ الركن الأعظم في التوبة هو الندم، كما ورد: «الحج عرفة»^(٤). أي الركن الأعظم، وإن كان هناك أركان أخرى، فأول التوبة الندم، هذا الشعور النفسي الذي يؤرق على الإنسان ليله، وينغص عليه نهاره.

وصف الله حال التائبين الذين تخلفوا عن النبي ﷺ في غزوة العسرة،

(١) إحياء علوم الدين (٥٣٤/٤)، نشر دار المعرفة، بيروت.

(٢) مرشد الزوار إلى قبور الأبرار (٤٣٨/١).

(٣) رواه أحمد (٤٠١٢)، وقال مخرّجوه: صحيح. وابن ماجه في الزهد (٤٢٥٢)، وابن حبان في الرقائق (٦١٤)، والحاكم في التوبة والإنابة (٢٤٣/٤)، وصحّح إسناده، ووافقه الذهبي، عن ابن مسعود.

(٤) رواه أحمد (١٨٧٧٤)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود (١٩٤٩)، والترمذي (٨٨٩)، والنسائي في (٣٠١٦)، وابن ماجه (٣٠١٥)، جميعهم في مناسك الحج، عن عبد الرحمن بن يعمر.

غزوة تبوك، وصف نفسيّتهم فقال: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

هذه هي حالة التائب، تضيق عليه الأرض على سعتها، تضيق عليه نفسه، ولا يجد أمامه إلا باب الله يقرعه، ويقول ما قاله آدم وحواء: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

هذا الندم، هذه الحسرة التي تكوي القلب كيًا، أن يغسل الإنسان ذنوبه بدموعه، أن يتذكّر ما مضى منها فتدمع عينه، ويفزع قلبه، هذا أوّل التوبة، هذا هو الركن الأول: الندم، الحسرة، الحزن، الأسى على ما فات.

الركن الثاني الإقلاع عن الذنوب:

أن يقلع الإنسان عن ذنوبه بالفعل، فصدق الندم يؤدي إلى أن يُقلع، فالتوبة ليست كلامًا يُقال، وليست دعوى تُدعى.

بعض الناس يذهب إلى شيخ من الشيوخ ويقول له: توبّني يا سيدي الشيخ. وكيف يتوبّه؟ يقول له: قل: تبت إلى الله، ورجعت إلى الله، وندمت على معصية الله، وعزمت على طاعة الله، وبرئت من كل دين يخالف دين الإسلام. هل مجرد قول هذا الكلام هو التوبة؟! لا، التوبة إقلاع عن الذنب بالفعل، أمّا أن تتوب ولا زالت حلاوة الذنب في قلبك، ولا زلت متأرجحًا تفعل أو لا تفعل؟ وما زال لك حنين إلى الماضي، وما زلت تقدّم رجلاً، وتؤخّر أخرى، وما زال الحبل بينك وبين الشيطان ممدودًا؛ فهذه ليست توبة.

لا بد أن تقطع الحبل، لا بدّ أن تُغيّر طريقتك، لا بدّ أن تُغيّر بيئتك،

لا بدّ أن تغيّر أصحاب السوء، غيّر الأماكن التي كنت فيها، اصطحب أناسًا جُددًا، اذهب إلى أماكن جديدة، غيّر حياتك، التوبة تغيير وتجديد، هذه هي التوبة، وإلا فإن التوبة تحتاج إلى توبة، وكما قال بعض السلف: إن استغفارنا يحتاج إلى استغفار آخر، لأنّه استغفار باللسان، وليس استغفارًا نابغًا من القلب.

التوبة الحقيقيّة أن تصدر من هاهنا، من أعماق قلبك، أن تحس بحاجتك إلى الله وَجَّكَ فتنتلق من هذه الخشية لتقرع باب الله تائبًا مستغفّرًا، فتقلع عن المعصية، غير الطريق، هذا هو الركن الثاني.

الركن الثالث العزم على عدم العودة إلى المعصية:

تترك المعصية في الحال وتقلع عنها، وتعزم على ألا تعود إليها أبدًا. قالوا: كما لا يعود اللبن إلى الضرع إذا خرج منه. تعزم على هذا، المهم أن تكون عند التوبة صادق العزم، قد تضعف بعد ذلك، وتزل قدمك، ويغريك الشيطان فتسير وراءه، ولكن لا يمنعك هذا من التوبة.

يقول الإمام الغزالي: إذا اتّخذت المعصية حرفة، والعودة إليها حرفة فقاومها بأن تتخذ التوبة والعودة إليها حرفة أيضًا، عُد إلى التوبة ولا بدّ أن تنتصر على الشيطان يومًا^(١).

وما يدريك؟ لعلك تتوب بالفعل، وتعزم على ألا تعود إلى المعاصي، ثمّ يوافيك الأجل في هذه الحالة فتكون قد متّ على توبة نصوح، ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٥]، والأواب: صيغة مبالغة من الأوب وهو الرجوع،

(١) منهاج العابدين للغزالي ص ٨٠.

فالآوَاب كثير الأوبة والرجعة إلى الله، كلَّما أذنب ذنبًا علم أن له ربًّا يغفر الذنوب ولا يبالي، فرجع إليه وتاب، فإذا وقع مرَّة أخرى علم أن له ربًّا يغفر الذنوب ولا يبالي، فعاد إليه وتاب، وهكذا.

وهذا ما أزعج إبليس لعنه الله، أنَّ النَّاس كلَّما أذنبوا تابوا فيتوب الله عليهم، لأنَّ التوبة النصوح مقبولة لا محالة، إذا صحَّت التوبة بأركانها فإنَّ الله سُبْحَانَهُ يقبلها.

وقد قيل للمرأة الصالحة رابعة العدوية: إذا تبتُ تاب الله عليَّ؟ فقالت له: يا غافل، بل إذا تاب الله عليك تبت، أمَّا سمعت قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨]؟ أي إنَّ الله إذا وفَّقك للتوبة فهذا دليل القبول، كونه وفَّقك إلى أن تتوب وتقول من سويداء قلبك: يا رب. فهذا دليل أنه وفَّقك، وأنه قبل منك، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾.

إذا ثبت توبة صادقة فقد غُسلت عنك ذنوبك، وفي الحديث: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»^(١). والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

حكوا عن الإمام أبي إسحاق الإسفراييني - وكان من الراسخين في العلم والعمل - أنه قال: سألت الله تعالى ثلاثين سنة أن يرزقني توبة نصوحًا، ولكنِّي لم أجد أنني وفقت إلى هذا، ولم يجب الله دعائي، وكم أجاب الله لي من دعاء، فيا ربِّ لِمَ لم تجب لي هذه الدعوة؟

قالوا: فرأى في منامه أن قائلًا قال له: أتدري يا أبا إسحاق ماذا تطلب

(١) رواه ابن ماجه في الزهد (٤٢٥٠)، والطبراني (١٥٠/١٠)، والبيهقي في الشهادات (١٥٤/١٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٠٨)، عن ابن مسعود.

بالتوبة النصوح؟ إِنَّكَ تطلب أن يحبك الله وَحَّكَ، أن تكون في زمرة المحبوبين، وتكتب في ديوان المحبوبين من الله، ألم تقرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾^(١)؟

هذه هي التوبة بأركانها.

شروط التوبة:

وللتوبة شروط، منها: إذا كانت هناك حقوق فلا بد أن تردّها، وأهم الحقوق حقوق العباد، فحقوق الله تعالى إذا تبت توبة نصوحاً يمكن أن يغفرها لك؛ بل هو يغفرها لك، وهو أهل التقوى وأهل المغفرة.

حتى الصلوات الفائتة اختلف العلماء: هل يجب أن تُقضى؟ قال بعضهم: يجب أن تُقضى^(٢). وبعضهم قال: بحسبك أن تكثر من النوافل والتطوعات، وتحرص على السنن والمستحبات فيعوض ذلك ما فات^(٣).

المهم هو حقوق العباد، وخصوصاً الحقوق المالية، فهذه الحقوق هي التي تقصم ظهور العباد، فإن أحداً يوم القيامة لا يتنازل عن حقه، ﴿لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: ٣٣].

(١) منهاج العابدين ص ٧٨.

(٢) وبه قال جمهور أهل العلم، ومنهم الأئمة الأربعة، انظر: المجموع شرح المذهب (٧١/٣)، نشر دار الفكر، بيروت.

(٣) وبه قال ابن حزم. انظر: المحلّى بالآثار (١٩٩/٢)، نشر دار الفكر، بيروت. وذهب إليه ابن تيمية. انظر: الاختيارات الفقهية لشيخ الإسلام ابن تيمية ص ٤٠٤، تحقيق علي بن محمد البعلي، نشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٨م.



إخلاص النية

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لا زلنا نتحدث عن العبادة، وعن العبادات الباطنة، وعن أعمال القلوب، وقلنا: إِنَّ الْعِبَادَةَ لَا تُقْبَلُ إِلَّا بِالْإِخْلَاصِ، ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾ [البينة: ٥]. فالإخلاص هو العبادة الأولى، أن تكون لله، أن يكون قلبك لله، أن تكون نيتك وعملك لله، أن يكون محياك ومماتك لله، ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿[الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

لذلك كان الأمر الأول الذي يُطلب من كل مسلم أن يصحح نيته، أن يجرد نيته لله، وأن يفتش عن بواعث نفسه، فلا يضحك على نفسه، ولا يُزَوِّر على الخلق فضلاً عن أن يُزَوِّر على ربه، ماذا تريد بعملك؟ إِيَّاكَ أَنْ تَطْلُبَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ، إِيَّاكَ أَنْ تَطْلُبَ بِجِهَادِكَ أَوْ بِدَعْوَتِكَ أَوْ بِعِبَادَتِكَ وَجْهَ النَّاسِ أَوْ مُحَمَّدَتَهُمْ، أَوْ الشَّهْرَةَ عِنْدَهُمْ، أَوْ الْجَاهَ لَدَيْهِمْ، اجْعَلْ عَمَلَكَ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، هَذَا هُوَ الْإِخْلَاصُ، أَنْ تَخْلُصَ نَفْسَكَ وَعَمَلَكَ وَنِيَّتَكَ حَتَّى يَكُونَ لِلَّهِ وَجْهَكَ، وَأَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَحْدَهُ

غايته، وأن تكون الجنة وجهتك، وأن يكون رضاه نصب عينيك، هذا هو الإخلاص.

أهمية الإخلاص:

لا بدّ أن يكون وراء كل عمل من أعمال الآخرة: النيّة الخالصة المجردة لله وَعَلَى، وإلا رُدَّ عليك عملك كما يرد الصيرفي النّقّاد العملة الزائفة، وإن كان فيها من الصور ما في العملة الصحيحة، ولكنه لا يروج عليه الزيف، يكشفه من نظرة، كذلك لا يروج الزيف عند الله تبارك وتعالى، ولا يقبل من العمل إلّا ما كان خالصاً لوجهه، وإلا قال: اسحبوا هذا إلى النار؛ مهما قدّم من عمل! فهؤلاء المراءون أول من تُسعر بهم النار يوم القيامة.

من ثمرات الإخلاص:

ثمرّة الإخلاص أن يُقبل عملك عند الله تعالى. ولكن الإخلاص لا تقتصر ثمرته على الآخرة فقط؛ بل تجد ثمرة الإخلاص في هذه الحياة، تجد عاجل بشرى المخلص في هذه الدنيا، فالمخلص إذا نزلت به كربة أو أحاطت به أزمة فإن إخلاصه ينجيه، وسيكون الإخلاص طوق النجاة وسفينة الإنقاذ له.

انظر إلى أولئك الثلاثة أصحاب الغار الذين حدّثنا النبي ﷺ، عنهم، الذين دخلوا غارًا فجاءت صخرة فأطبقت عليهم، وسدّت باب الغار، وكادوا يهلكون، وقال كل منهم لصاحبه: من عمل عملاً لوجه الله تعالى فليذكره. فخير ما يتوسل الإنسان به إلى الله تعالى أن يتوسل إليه بعمل صالح، والعمل لا يكون صالحاً إلّا إذا كان خالصاً لوجه الله،



فذكر أحدهم بره بوالديه وكيف سهر عليهما الليل ينتظرهما وقد ناما والحليب في يديه، وقف وهذا القدح في يديه، صبر طوال الليل حتّى استيقظا فسقاها، وقال الرجل: اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك؛ ففرج عنا ما نحن فيه. فانزاح ثلث الصخرة، ولكن بحيث لا يستطيع أحدهم أن يخرج.

وذكر الثاني قصّة أخرى، أنّه كان يحب امرأة وتمكن منها، جاءته في وقت أزمة وشدة تطلب منه الغوث والمعونة، ولكنّه ساومها على نفسها، وأبى أن يعينها إلّا أن تمكّنه من نفسها، وتحت ضغط الضرورة وقهر الحاجة: مكنته المرأة من نفسها، حتّى إذا كان بين شُعبها الأربع قالت له: يا هذا، اتق الله ولا تفض الخاتم إلّا بحقه. فما إن قالت له هذه الكلمة؛ حتّى تركها وأعطاه ما تريد، وفوق ما تريد؛ حينما ذكّرت به بالله ﷻ - وقد عاش عمره يشتهيها - قال: اللهم إن كنت تعلم أنّي فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه. فانفرج ثلث آخر من الصخرة، ولكن بحيث لا يستطيع أحدهم أن يخرج.

وذكر الثالث قصة أخرى، أنّه استأجر أجيرًا فأعطاه أجره، ولكن الرجل استقل هذا الأجر وقال: هذا لا يكفي. قال: هذا ما اتفقت معك عليه. فأبى الرجل أن يأخذه وتركه، ولكن هذا الشخص استثمر هذا القدر من أجرة الرجل، اشترى به وباع فزاد ونما، وظل ينمو ويتضاعف؛ فاشترى له به أرضًا وبقرًا وغنمًا وإبلًا، وصار له مال كثير، ولم يحضر صاحب المال، ولكن الشخص كان ينمي هذا المال كله لحسابه في غيبته، حتّى جاءه في يوم من الدهر وقال له: يا فلان، أتذكر أنّي من سنة كذا وكذا اشتغلت عندك وكان لي عندك قدح من طعام أو نحوه؟ قال له:

نعم أذكره. قال: فأعطني حقي. قال: تعال أعطك حقك. فذهب معه فقال له: انظر هذه الأرض، وهذه الأبقار، وهذه الأغنام، وهذه الإبل، وهذه الزروع والثمار؛ أتراها؟ قال: نعم. قال: هي حقك. قال: أتتهزأ بي لأنني فقير؟ قال: لا، هذا حقك، ما كان لك من أجر استثمارته فهو لك وأنا أنتظر من يومها. قال الرجل: اللهم إن كنت تعلم أنني فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه. فانفرج باقي الصخرة، وانفتح الباب، وخرج هؤلاء ممّا كانوا فيه^(١). إنّه الصدق والإخلاص، أن يفعل الإنسان العمل ابتغاء وجه الله، هنالك ينجيك الإخلاص عند الشدة؛ حينما تتوسل إلى الله بما قدمته من عمل ابتغاء وجهه.

الإخلاص يمنح صاحبه القوّة:

الإخلاص أيضًا يُعطي الإنسان قوّة وقدرة؛ لأنّه يريد وجه الله تبارك وتعالى، فهو يستمد قوته من قوّة من يعمل له، حكى الإمام الغزالي حكاية هي رمز لكن فيها عبرة، أن رجلاً سمع بشجرة يعبدها الناس، فأخذ فأسه وذهب إليها يريد أن يقطعها، فقابله الشيطان في الطريق قال: أين تذهب؟ قال: أريد أن أقطع هذه الشجرة التي يعبدها الناس. قال له: وما يفيدك قطعها؟ لعلك لو قطعتها يزرعون شجرة أخرى ويعبدونها، ألا أدلك على ما هو أفضل لك؟ قال: لا تدلني. قال: اسمع مني. فساومه على أن يعطيه كل يوم دينارًا، فبدأ الرجل يلين، بريق الدينار بدأ يؤثر عليه، فقال له: لا مانع أن آخذ الدينار فأنتفع منه لأهلي وأتصدق منه على المساكين، وفعلاً تخلى عن قطع الشجرة بعد أن انتظم له الدفع مدة من الزمن.

(١) متفق عليه: رواه البخاري في البيوع (٢٢١٥)، ومسلم في الرقاق (٢٧٤٣)، عن ابن عمر.

ثم بعد ذلك لم يأت الدينار فانتظر يوماً فيوماً وفي اليوم الثالث أخذ فأسه وذهب! في المرة الأولى حينما قابله الشيطان متمثلاً في صورة إنسان تصارعاً فصرعه الرجل؛ وكان كالريشة في يديه، وفي هذه المرة قابله الشيطان وأراد أن يصده عن قطع الشجرة أيضاً؛ فتصارعاً، فصرعه الشيطان؛ وكأن الرجل ريشة في يديه، انقلب الحال!

فوقف الرجل متعجباً وقال له: يا هذا، في المرة الأولى تصارعنا فصرعتك، وفي هذه المرة تصارعنا فصرعتني؛ ما الذي حدث؟ قال: في الأولى خرجت تريد قطع الشجرة غضباً لله، غضبت لله وللتوحيد، أما هذه المرة فكان غضبك للدينار، حينما غضبت لله كان لك من القوة ما جعلني كالريشة بين يديك، وحينما غضبت للدينار كانت قوتك من قوة الدينار؛ فكنت كالريشة في يدي^(١)!

الإخلاص إذن هو الذي يعطي الإنسان قوة، الأنبياء لأنهم يعملون لله لم يبالوا بما يصيبهم في سبيل الله، وحينما تحدى فرعون سحرته أن يقتلهم ويصلبهم في جذوع النخل لم يبالوا به، ونظروا إليه من علياء وقالوا: ﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَاقْصِ مَا أَنْتَ قَاصٍ إِنَّمَا نَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ ﴿٧٢﴾ إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿٧٣﴾. الإخلاص لله أعطاهم هذه القوة.

الإخلاص يمنح صاحبه السكينة:

الإخلاص يعطي الإنسان أيضاً الراحة والسكينة والطمأنينة النفسية، فالذي يعمل لله عرف غايته وحددها، فلم يعيش في صراع نفسي تتنازعه

(١) إحياء علوم الدين (٤/٣٧٧).

الرغبات، وتتقاذف به الوجهات، يُشَرِّق حينًا ويُغَرِّب حينًا، يرضي زيدًا أم يرضي عمروًا، لا.

المخلص يعمل لله، تحددت غايته ووجهته فلم يتقسم قلبه بين هذا وذاك كما حكى القرآن الكريم: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر: ٢٩]. العبد الذي له عدة أسياد، وليسوا أسيادًا متفقين؛ بل متشاكسون متنازعون، هذا يقول له: شرِّق. وهذا يقول له: غَرِّب. فهُمُّه شعاع وقلبه أوزاع؛ احتار بين هذا وذاك، والعبد الذي له سيّد واحد عرف ما يرضيه وما يسخطه؛ فاستراحت نفسه!

كذلك أمر المؤمن والمُشرك، وأمر المخلص والمرائي، المخلص عرف وجهته فاستراحت نفسه، أمّا الآخرون فيحتارون أي الرغبات يقدمون، وأي الوجهات تهمهم أكثر من غيرها، ومن يرضون من الناس؟! ورضا النَّاس غاية لا تُدرَك، وكما قال الشاعر:

إِذَا رَضِيتُ عَنِّي كِرَامَ عَشِيرَتِي فَلَا زَالَ غَضَبَانَا عَلَيَّ لِنَائِمِهَا^(١)

وقال الآخر:

وَمَنْ فِي النَّاسِ يُرْضِي كُلَّ نَفْسٍ وَبَيْنَ هَوَى النُّفُوسِ مَدًى بَعِيدٌ^(٢)؟

لهذا كان هم المخلصين أن يرضوا الله قبل كل شيء، ولا يهتمهم بعد هذا رضي النَّاس أم سخطوا، بل إنَّ الذي يعمل على إرضاء الله يتولى الله تعالى إرضاء النَّاس عنه، الله هو الذي يفتح له القلوب لتحبه ببركة إخلاصه، هذا هو شأن الإنسان المخلص لا يبالى، يقول ما قال ذلك

(١) من شعر أبي العيناء، انظر: زهر الآداب وثمر الألباب للحصري (٣٢٧/١)، نشر دار الجيل، بيروت.

(٢) من شعر ناصيف اليازجي.

العبد الصالح، وهذا شعر قيل في بعض المخلوقين، قاله أبو فراس في مدح سيف الدولة الحمداني، ولكن الصالحين أخذوه وناجوا به الله وَعَجَّلَ؛ فهو به أحق وأولى، يقول قائلهم مناجياً ربه:

فليتك تحلو والحياة مريّة وليتك ترضى والأنام غضابٌ
وليت الذي بيني وبينك عامرٌ وبينني وبين العالمين خرابٌ
إذا صحّ منك الودّ فالكلُّ هينٌ وكلُّ الذي فوق الترابِ ترابٌ^(١)
هذا هو الإخلاص.

الإخلاص يجعل العمل مستمراً:

الإخلاص أيضاً يعطي الإنسان الاستمرار في العمل، لا ينقطع ولا يتوقف، ولا يتردد ولا يتراجع القهقري، إنه يعمل لله ووجه الله باقٍ، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، من يعمل للعالم لا يمكن أن تزول دنياه، ومن يعمل لوجهه فلا بد أن يعلن أن يتغير فلا بد أن يعلن، ولكن من يعمل لله يبقى عمله، ولهذا كان من كلمات السلف: ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل. ما كان لله دام واتصل؛ لأنه يدوم بدوام وجه الله وَجْهَهُ، هذا هو الإخلاص.

تأثير النية في الأعمال:

إن للإخلاص ثمرات في الدنيا قبل الآخرة ينبغي للإنسان أن يحرص عليها، لهذا كان تصحيح النية حتى تخلص لله تبارك وتعالى: هو أول ما يهم الإنسان المؤمن أن يصحح نيته، فإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل

(١) ديوان أبي فراس الحمداني ص ٤٨، شرح د. خليل الدويهي، نشر دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٢، ١٩٩٤م.

امرئ ما نوى، ولكن هذا في الأعمال الصالحة تؤثر فيها النية، فلا قبول إلا بالنية.

كما تؤثر النية في الأعمال المباحة، تنقلب المباحات إلى طاعات، والعادات إلى عبادات، إذا عملت العمل العادي الدنيوي بتبغى وجه الله، تبغى به هدفًا يرضى الله عنه، وإذا سعت في دنياك وفي معاشك، وفي طلب رزقك، لهدف يرضى الله عنه: لتعف نفسك، لتغني أهلَكَ، لتعود بالخير على المسلمين، لتقوي اقتصاد الأمة الإسلامي حتى تكتفي اكتفاء ذاتيًا عن غيرها، إذا عملت عملك هذا تبغى به وجه الله، تبغى به هذه الأهداف؛ فإنه يكون عبادة، ويتحوّل إلى عبادة.

النية تحول العادة إلى عبادة:

وهذا من أعظم ما جاء به الإسلام: أن النية تحوّل العادة إلى عبادة، فالتاجر في متجره، والزارع في مزرعته، والكاتب في مكتبه، والطالب في مدرسته، والموظف في ديوانه، وكل إنسان في عمله يتعبد لله، الدنيا تصبح محرابًا كبيرًا ومسجدًا، كل إنسان يؤدي دوره ويصبح به عابدًا لله وَعَلَى، هذا ما جاء به الإسلام.

ولهذا حينما مر أحد النَّاس على الصحابة وكانوا مع النبي ﷺ، فنظروا إلى هذا الشاب، وهو مفتول الذراعين، قوي البنية، وقالوا: لو كان شبابه وجلده في سبيل الله. أي في الجهاد، فقال ﷺ: «إن خرج يسعى على أبوين كبيرين؛ فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على عيال؛ فهو في سبيل الله، وإن كان يسعى على زوجته يعفُّها؛ فهو سبيل الله، وإن كان يسعى على نفسه ليُغنيها عن الحرام - وعن مدِّ الأكفِّ للنَّاس - فهو

في سبيل الله، وإن كان يسعى رياءً ومفاخرةً فهو في سبيل الشيطان»^(١).
 النية إذن تجعل عمله الدنيوي عبادة، وتجعله جهادًا في سبيل الله.
 ومن هنا كان على الإنسان وهو يزاوُل عمله الدنيوي: أن يستحضر
 الأهداف الدينية التي جاء بها الإسلام؛ حتى يشعر أنه يتعبد لله ويجاهد
 في سبيل الله.

بل أكثر من ذلك، إن الشهوات التي يقضيها الإنسان؛ إذا كانت
 شهوات في الحلال، وأراد بها الخير؛ كأن يأتي الرجل زوجته، يريد أن
 يعفَّ زوجته ويحصن نفسه ويحصنها؛ يكون ذلك عبادة، وهذا ما قاله
 النبي ﷺ وهو يعدد للصحابة أنواع الصدقات التي يمكن للإنسان أن
 يتصدق بها كل يوم، غير الصدقات المالية فيقول: «وفي بُضع أحدكم
 صدقة». البُضع: أي الفرج. قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته
 ويكون له فيها أجر؟! قال: «نعم؛ أليس إذا وضعها في حرامٍ كان عليه
 وزر؟ فكذلك إذا وضعها في حلالٍ كان له أجر، أتحسبون الشرَّ
 ولا تحسبون الخير»^(٢).

النية لا تؤثر في المحرمات:

النية إذن تؤثر في المباحات والعادات، ولكن هناك قسمًا من الأعمال
 لا تؤثر فيه النية وهو المحرمات، فالمحرمات لا تؤثر فيها النية، لا يجوز

(١) رواه الطبراني في الكبير (١٢٩/١٩)، وفي الأوسط (٦٨٣٥)، وفي الصغير (٩٤٠)، وقال
 المنذري في الترغيب والترهيب (٣٣٥/٢): رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح. وقال
 الهيثمي في مجمع الزوائد (٧٧٠٩): رواه الطبراني في الثلاثة، ورجاله الكبار رجال الصحيح.
 عن كعب بن عجرة.

(٢) رواه مسلم في الزكاة (١٠٠٦)، وأحمد (٢١٣٦٣)، عن أبي ذر.

للإنسان أن يرتكب حراماً بنية حسنة، أن يأكل الربا مثلاً لبني مسجداً، أو يقدم هذا المال لعمل من الأعمال الخيرية، لا، «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»^(١)، الإسلام يشترط شرف الغاية ونظافة الوسيلة، لا يقبل المبدأ الذي عُرف عند الأوروبيين وغيرهم: أَنَّ الغاية تبرر الوسيلة، تصل إلى الحق بطريق الباطل، لا، لا بدَّ أن يكون هدفك حقاً وطريقك حقاً، لا بدَّ من الغاية الشريفة والوسيلة النظيفة، وإلا فإن الإسلام يرفض أن تصل إلى الخيرات عن طريق الحرام، فلا يجوز أن ترتكب حراماً باسم النية الحسنة، فنيّتك عندئذ مرفوضة في نظر الإسلام، فالنية تؤثر في العبادات، بل هي الشرط الأوّل لقبولها، وكذلك تؤثر في المباحات والعادات تقلبها إلى قربات وطاعات، ولكنّها لا تؤثر في المعاصي والمحرمات.

أسأل الله ﷻ أن يفقهنا في ديننا، وأن يغفر لنا ما مضى، ويصلح لنا ما بقي، فاستغفروا الله تعالى يغفر لكم، وادعوه يستجب لكم.

* * *

(١) رواه مسلم في الزكاة (١٠١٥)، وأحمد (٨٣٤٨)، عن أبي هريرة.

الخطبة الثانية

أما بعد، فيا أيُّها الإخوة المسلمون:

إنَّ الذي يسمع ويقرأ الآن ما يُذاع وما يُنشر، ويطالع أحوال العالم، ومنها عالمنا العربي والإسلامي: يرى أنَّه ما زال الدم الإسلامي أرخص الدماء على وجه الأرض، ولا يزال الإنسان المسلم هو أهون النَّاس في هذه الدُّنيا، هكذا هان المسلمون على أنفسهم؛ فهانوا على النَّاس، وهكذا ضيعوا ما بينهم وبين الله؛ فضاع ما بينهم وبين الناس!

كل القضايا ساخنة، لها أهميتها، يتحدث عنها العالم، ويهتم النَّاس بها، وتجد لها أنصارًا وأعوانًا؛ إلا قضايا المسلمين، لا زال أبنائنا وإخوتنا في الأرض المقدسة، في أرض النبوات، في الأرض التي بارك الله فيها للعالمين، لا زال أشبال الحجارة يعملون ويكافحون، ولكنَّهم لا يجدون من العالم النصير الذي تجده القضايا الأخرى، هذا هو وضعنا!

حينما يتحرك المسلمون في أي بلد يُسحقون سحقًا، ويُدقون دقًّا، ولا تتحدث الدُّنيا عن ذلك، رأينا في التلفزيونات؛ حينما طالبت ليتوانيا بالاستقلال وبحق تقرير المصير: قُوبلت بمقابلة حسنة واعتُبر هذا أمرًا مشروعًا، ولكن حينما طالب المسلمون في أذربيجان بحقوقهم سُحقوا، كما رأينا اللافتات: للنصارى الحرية، وللمسلمين جنازير الدبابات. هذا هو الوضع!

في كشمير - وهي أرض ومنطقة إسلامية في الأساس - يطالب المسلمون بحق تقرير المصير، أن يستقلُّوا أو يُضمُّوا إلى باكستان، أو

يحدث استفتاء كما يطلب العالم كله، يُضربون ضرباً، ويُقتلون قتلاً، والعالم لا يحرك ساكناً، كذلك المسلمون في يوغسلافيا، والمسلمون في بلاد كثيرة!

ما الذي حدث؟ إنها المؤامرة التي أشار إليها الحديث النبوي، الذي رواه الإمام أحمد، وأبو داود عن ثوبان عن النبي ﷺ: «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها». قالوا: أمن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن». قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت»^(١). العلة علة نفسية، علة أخلاقية، ينبغي أن يعود الناس إلى قلوبهم؛ فيخلصوها من حب الدنيا ومن كراهية الموت، وأن يتوحد المسلمون على كلمة سواء، وأن يعتصموا بحبل الله جميعاً ولا يفرقوا، هنالك يكونون قد نصرُوا الله فينصرهم الله، ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ﴾ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿[الحج: ٤٠].

اللهم إنا نسألك العفو والعافية، في الدين والدنيا والآخرة، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، واجعلنا من الراشدين فضلاً منك ونعمة، اللهم اجمع كلمتنا على الهدى، وقلوبنا على التقى، وأنفسنا على المحبة فيك، وعزائمنا على عمل الخير وخير العمل، اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك: إخواننا في فلسطين، وإخواننا في أفغانستان، وإخواننا في إريتريا، وإخواننا في كل مكان، اللهم خذ

(١) سبق تخريجه ص ٣٤.



بأيديهم إلى مواطن النصر، واحرسهم بعينك التي لا تنام، واكلاًهم في
كنفك الذي لا يُضام، ربنا اغفر لنا ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبّت
أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين، اللهم آمين.

* * *





شكر الله

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

تحدثنا في الأسبوع الماضي عن الصبر، وعرفنا أَنَّ الصبر تترتب عليه خيرات الدنيا والآخرة، فلا يفلح الإنسان في دنياه إِلَّا بالصبر، ولا يفوز في آخرته إِلَّا بالصبر، ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾ [الفرقان: ٧٥]، ﴿وَجَزَّيْنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]، ﴿وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٦]، ﴿وَإِنْ تَصَبَرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

الصبر ضرورة من ضرورات هذه الحياة.

وَقَلَّ مَنْ جَدَّ فِي أَمْرٍ يَحَاوِلُهُ وَاسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إِلَّا فَازَ بِالظَّفْرِ^(١) والصبر ضرورة من ضرورات الدين، سواء كان صبرًا على الطاعة أم كان صبرًا عن المعصية، أم كان صبرًا على البلاء، أم كان صبرًا على الدعوة إلى الله، وعلى مشاق الدعوة، وما يعترض سبيلها من عقبات وعراقيل، لا بدَّ في هذا كله من الصبر.

(١) البيت من شعر محمد بن يسير مولى الأزدي، كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة (٨٦٨/٢)،

نشر دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣هـ.

ولذلك كان أشد الناس حاجة إلى الصبر هم المسلمون: دعاة الحق، وكان الأنبياء أشد الناس حاجة إلى الصبر؛ لأنهم أشد الناس بلاء في هذه الحياة، كما جاء في الحديث: «أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل»^(١).

وفي الحديث الآخر: «يُبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان دينه صلَبًا اشتدَّ بلاؤه، وإن كان في دينة رقة - أي: ضعف - ابتلي على قدر دينه، وما يزال البلاء ينزل بالعبد، حتَّى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»^(٢).

الجمع بين الصبر والشكر:

هذا هو الصبر، ولكن الإيمان نصفان: نصف صبر، ونصف شكر، وذلك أنَّ الحياة قسمان: ابتلاء وعافية، الإنسان إمَّا في نعماء أو في بأساء، إمَّا في سرَّاء أو ضرَّاء، لا بدَّ أن يختلف عليه هذان الأمران كما يختلف عليه الليل والنهار، والمؤمن مع الابتلاء بالصبر، ومع العافية بالشكر، مع الضرَّاء بالصبر، ومع السَّرَّاء بالشكر، فهو صبور شكور.

ولذلك جمع الله بين الصبر والشكر في كتابه فقال: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥، لقمان: ٣١، سبأ: ١٩، الشورى: ٣٣]. صبار على البلاء، شكور على النعماء، وهذا هو شأن المؤمن.

وجاء في الحديث الصحيح الذي رواه صهيب عن النبي ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن! إنَّ أمره كله له خير، وليس ذلك لأحدٍ إلَّا للمؤمن، إنَّ أصابته سرَّاء شكر فكان خيرًا له، وإنَّ أصابته ضرَّاء صبر فكان خيرًا له»^(٣).

(١) رواه أحمد (١٤٨١)، وقال مخرَّجوه: إسناده حسن. والترمذي في الزهد (٢٣٩٨)، وقال: حسن

صحيح. والنسائي في الكبرى في الطب (٧٤٨١)، عن سعد بن أبي وقاص.

(٢) رواه أحمد (١٦٠٧)، وقال مخرَّجوه: إسناده حسن. عن سعد بن أبي وقاص.

(٣) رواه مسلم في الزهد والرقائق (٢٩٩٩)، وأحمد (١٨٩٣٤)، عن صهيب الرومي.

فالمؤمنُ على خير دائماً وأبداً، في السراء وفي الضراء، في النعماء وفي البأساء، في اليسر والعسر، في الغنى والفقر، في الرخاء والشدة هو دائماً على خير.

هو في حالة السراء والرخاء شكور، كثير الشكر لله وَعَلَّك، وفي حالة البؤس والضراء كثير الصبر، لا يجزع، ولا يسخط، راضٍ بقضاء الله تعالى وقدره. شعاره: **إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ**، كما قال الله تعالى **مُقْسِمًا: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾**. اللام للقسم، والنون للتوكيد، **﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾** الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ * [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

إحاطة النعم بالإنسان:

آفة النَّاس أَنَّهُمْ كَثِيرًا مَا يَتَخَلَوْنَ عَنِ خُلُقِ الْمُؤْمِنِينَ، فَهُمْ يِبَالِغُونَ فِي تَعْظِيمِ الْمَصَائِبِ، وَفِي تَقْلِيلِ النِّعَمِ، قَدْ تَنَزَّلَ بِالْإِنْسَانِ مُصِيبَةٌ فَيُكَبِّرُهَا وَيُكَبِّرُهَا، وَيَنْسَى نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى بِجَوَارِهَا، تَنَزَّلَ بِالْإِنْسَانِ نِعَمٌ وَتَحِيطَ بِهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَلَكِنَّهُ مَعَ هَذَا لَا يَنْظُرُ إِلَيْهَا، وَلَا يَهْتَمُّ بِهَا، وَلَا يَعْرِفُ قَدْرَهَا.

هذا مع أن نعم الله تغمر الإنسان من قرنه إلى قدمه، لو نظر أي واحد منا إلى نعم الله تعالى عليه؛ لوجدناها محيطة به، منذ وُلِدَ وإلى أن يموت، بل قبل أن يُولَدَ حينما كان جنيناً في بطن أمه، حينما كان نطفة فعلاقة فمضغة، حينما كان ببيضة مُلَقَّحة؛ مَنْ الَّذِي خَلَقَهُ وَسَوَّاهُ وَعَدَّلَهُ، وَنَفَخَ فِيهِ الرُّوحَ، وَتَوَلَّاهُ وَهُوَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ: يَرَعَاهُ، وَيُهَيِّئُ لَهُ الْغِذَاءَ وَأَسْبَابَ الْحَيَاةِ وَالْحَرَكَةِ؟! اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي هَيَّأَ لَهُ هَذَا كُلَّهُ.

فإذا نزل الإنسان من بطن أمّه هيأ الله له وسيلة الغذاء، أجرى له عرقين رقيقين في صدر أمه، يجريان لبنًا خالصًا: دافئًا في الشتاء، باردًا في الصيف، كيّفه الله ﷻ بدون تكييف ولا ثلاجة ولا تبريد، لا تملك الأم أن تمتنع منه، الله هو الذي هيأ له الغذاء؛ حيث لا سنّ له تقطع، ولا يد له تبطش، ولا قدم له تسعى، تولّى الله الإنسان منذ كان جنينًا فوليدًا، فريضعًا ففطيمًا، فصبياً فيافعًا، فشابًا فكهلاً.

نعم الله علينا تحيط بنا، لو نظرت إلى أيّ حاسة من الحواس التي تملكها: كم تساوي هذه الحواس؟ بكم تباع إحدى عينيك؟ بكم تباع إحدى أذنيك؟ بكم تباع حاسة الشم أو حاسة الذوق؟ بكم تباع طرفًا من أطراف يديك أو رجلتك؟ بكم تباع كلية من كليتيك؟ بكم تباع أي عضو من أعضائك؟

الإنسان إذا يملك في جسمه هذا ثروة تُقدّر بملايين، وعشرات الملايين، ومئات الملايين، ولكنّه لا يقدرها حق قدرها، لا يقدرها إلا إذا حرّمها، إذا حرّمت هذه النعمة عرفت قيمتها، فالصحة تاج على رؤوس الأصحاء لا يراه إلا المرضى كما يقولون.

لا يرى هذا التاج: تاج الملوك، كأن الضير هو الذي يعرف قيمة الصحة، فالإنسان يشكو دائمًا ممّا ينقصه، يقول: ليس عندي كذا وكذا، وأريد كذا وكذا. ينظر إلى المفقود، ولا ينظر إلى الموجود!

هل عرفت قيمة ما عندك؟ كل إنسان عنده الكثير، ومن فضل الله ﷻ أنّه إذا حرم الإنسان من ناحية: أعطاه من نواحي أخرى، قد يُحرم المال ولكنّه يُعطى الصحة، قد يُحرم الصحة ولكنّه يُعطى الذكاء، قد يُحرم الذكاء ولكنّه يُعطى الأسرة، قد يُحرم هذا ولكنّه يُعطى حبّ الناس، فنعم الله كثيرة جدًا.

تسخير الكون للإنسان:

هذا الكون كله هو نعم مسخرة لنا، كل ما فوقنا وما تحتنا، وما عن أيمننا وما عن شمائلنا من هذا الكون مُسَخَّر لخدمتنا، لمصلحتنا، ليس لله مصلحة فيما حولنا، لا، إِنَّه تعالى يُطْعِم ولا يَطْعَم، إِنَّه الغني عن كل من سواه وما سواه، ويحتاج إليه كل مَنْ عداه وما عداه، الله هو الغني الحميد، لا حاجة له من هذا الكون، وليس للملائكة حاجة في هذا الكون، الحاجة حاجتنا، المصلحة مصلحتنا، الشمس والقمر، والليل والنهار، وكل شيء في هذا الكون أُعِدَّ إعدادًا لخدمنا.

نحن على ظهر هذه الكرة الأرضية، لو عرفنا: كيف أعدَّ الله هذه الأرض؟ كيف علقها في الفضاء؟ كيف وضع قوانين الجاذبية التي تحفظها؟ وكيف أمسكها الله أن تزول؟ وكيف وضع من السنن ما يحفظها ويحفظ عليها الحياة، فلا تتجمد من شدة البرد، ولا تحترق من شدة الحر؟ لو كانت قريبة من الشمس أكثر ممَّا هي عليه لاحتترقت، ولو كانت بعيدة من الشمس أكثر ممَّا هي عليه لتجمدت، لو كانت تدور بسرعة أكثر أو أبطأ ممَّا هي عليه لحصل الهلاك من هذا أو من ذاك، لو كانت أكبر ممَّا عليه من هذا الحجم لتغير الوضع، لو كان حجم البحار أكبر ممَّا هو الآن لغرقت الأرض، ولو كان أقل ممَّا هو الآن لتغيّرت الأوضاع، لو كان الأكسجين بنسبة أكثر ممَّا هو الآن لاحتترقت الأرض!

كل شيء محسوب بحساب، بمقدار، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ، نَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾ [المؤمنون: ١٨]، كل شيء بقدر ليكون في مصلحة الإنسان.

نعم الله كثيرة على الناس، ولكن الناس لا يحسون بها، انظر إلى هذه النعم: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤].

حاول في يوم أن تمسك بدفتر وقلم، وتحصي: كم نعمة جاءتك في هذا اليوم؟ ستجد الكثير الكثير، يكفي أن الله كفَّ عنك سوءًا كثيرًا كان يمكن أن يحدث لك، فإذا كفَّ الله عنك السوء، وسلَّمك من المكروه، وسلَّم أهلك وأولادك، وأبقاكم على العافية فهذه نعمة من نعم الله تعالى الكثيرة جدًّا، ولكن الناس لا يقدرونها، بطر الناس النعم وكفروها.

لو نظر الناس إلى ما هم عليه الآن، ونظروا إلى ما كان عليه آباؤنا وأجدادنا لعلموا أنهم يعيشون عيشة الملوك، إنَّ الواحد منا الآن يعيش أحسن ممَّا كان يعيش هارون الرشيد مثلاً، لأن هارون الرشيد لم يكن عنده مكيف يُلطِّف له الجو، ولم تكن عنده ثلاجة تُبرِّد له الماء، ولم تكن عنده سيارة تنقله بسرعة، ما كانت عنده هذه الأزرار التي تضع يدك عليها فتبرد لك ما تريد أن تبرده، وتسخن لك ما تريد أن تسخنه، وتطهو لك ما تريد أن تطهوه، وتغسل لك ما تريد أن تغسله، لا، فهذه عيشة ملوك، نحن نعيش في نعم عظيمة ولكن الناس لا يقدرونها، هل عرف الناس قيمة النعم التي يتقبلون فيها؟!

كثير من الناس نسوا ما كان عليه آباؤهم، بل كثير من الناس نسوا ما كانوا هم أنفسهم عليه من ثلاثين أو أربعين سنة؛ بعد أن أصبحوا

يلعبون بالملايين، ويبعثرون الأموال ذات اليمين وذات الشمال، ويأكلون الحرام، ويستكثرون على خلق الله، ويمنعون حق الله، ولا يؤدّون زكاة المال، ولا يطهّرون أنفسهم ولا ثرواتهم، أين شكر الله ﷻ؟ مَنْ مِنَ النَّاسِ يشكرُ النّعم؟

كيفية شكر النّعم:

١ - الشكر بالقلب:

إنَّ شكر النّعمة يقتضي أولاً أن تعترف بصاحبها، أن تعترف بأنَّ النّعم من الله ﷻ، لا (بشطارتك) ولا بمهارتك، الله تعالى يقول: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]. الله هو واهب النعم، النّعم الخاصّة والنعم العامّة.

إذا نظرت إلى نعمة الثروة، نعمة الغنى، نعمة السعة التي أفاء الله بها على هذه البلاد.. الله هو الذي وهبها، هل أنت الذي خلقت البترول ووضعته في باطن الأرض؟

ليس هناك إنسان صنع البترول، الله هو الذي خلقه، كان الناس في هذه البلاد منذ قرون يمشون على هذا الذهب الأسود تحت أقدامهم، ولا يعرفون أنّهم يمشون على كنوز، حتّى شاء الله أن يفجرها في مثل هذه الأوقات، الله هو الذي ساق هذه النّعم إلى الناس.

يجب أن تعترف بأنّ هذه النّعم كلها من الله، لا بدّ من هذا الاعتراف بقلبك أنّ الله هو صاحب النّعمة، ولا تقول كما قال قارون حينما نصحه قومُه: أن يتقي الله في ماله، ويحسن كما أحسن الله إليه، ولا يبغى الفساد في الأرض، قال لهم: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص: ٧٨]. جمعت هذا

المال بفكري واجتهادي وعبريتي، لا، المال مال الله، وهو الذي يهبه لمن يشاء، ويسوقه إلى عباده.

وحتى إذا كان عندك ذكاء وعندك قدرة، مَنْ الذي وهبك الذكاء؟ وَمَنْ الذي أعطاك القدرة؟ وَمَنْ الذي هباً لك السُّبل؟ وَمَنْ الذي خلق هذا المال نفسه؟ هل أنت الذي خلقت المال؟ هل أنت الذي فجرت الينابيع في الأرض؟ هل أنت الذي أخرجت الزرع من الحب؟

الله هو الذي صنع هذا كله، ﴿وَأَيُّهُمُ الْأَرْضُ أَلَمِيتُهُ أَحْيَيْنَهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٣ - ٣٥]، وما عملته أيديهم، إنما عملته يد الله، ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ * وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ * وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبٌ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٧١ - ٧٣]، يد الله هي التي عملت هذا كله.

﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾، انظروا كيف يذلل الله البقرة أو الثور أو الجمل لصبي صغير يقوده أو يسوقه، هذا الحيوان الضخم صاحب هذه القوة الكبيرة يُذللّه الله حتّى يتحكّم فيه صبي، ويسوقه بزمام، أو يقوده بخطام.

٢ - الشكر باللسان:

أول طريق الشكر إذاً أن تعترف بفضل صاحب النعم، أنّها من الله، وهذا أمر قلبي اعتقادي يتلوه أمر آخر قلبي لساني، أن تقول بلسانك: الحمد لله. أن تستشعر أنك دائماً مُنعم عليك، تستشعر الرضى، تستشعر أنك في نعم كثيرة، فتقول: الحمد لله.

علمنا الله حينما افتتح كتابه بسورة الفاتحة، وحينما بدأ الفاتحة

بعد البسملة بالحمد، وسُميت سورة الحمد، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، ليدخل الإنسان الحياة من الجانب المشرق المضيء، لا من الجانب القاتم المظلم، فتقول: الحمد لله.

ولذلك علمنا الإسلام إذا أكلنا أن نقول: الحمد لله. وإذا شربنا أن نقول: الحمد لله. وإذا قمنا من نومنا نقول: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»^(١). وإذا أصابنا ما نحب نقول: «الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات»^(٢). وإذا أصابنا ما نكره نقول: «الحمد لله على كل حال»^(٣). إذا ركبنا الدابة أو السيارة نقول: «الحمد لله، سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون»^(٤). تحمد الله على كل شيء.

الحمد هو شعار أهل الجنة، حينما يدخلون الجنة يقولون: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر: ٣٤]، ﴿دَعَوْهُمْ فِيهَا سُبْحَنَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

على الإنسان أن يعترف بقلبه بأن النعم كلها من الله، يعترف بأن النعم كثيرة عنده، ويقول بلسانه: الحمد لله. فاللسان يعبر عن شعور القلب، الشعور الغامر بفضل الله تعالى عليه، وإحسانه إليه، وعظيم رحمته به.

(١) رواه البخاري في الدعوات (٦٣١٢)، عن حذيفة.

(٢) رواه ابن ماجه في الأدب (٣٨٠٣)، والحاكم في الدعاء (٤٩٩/١)، وصححه إسناده، وسكت عنه الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٦٥)، عن عائشة.

(٣) جزء من الحديث السابق.

(٤) رواه مسلم في الحج (١٣٤٢)، وأحمد (٦٣١١)، عن ابن عمر.

٣ - الشكر بالجوارح:

ثم على الإنسان بعد ذلك أن يستخدم النعمة فيما خلقت له، أي في طاعة الله، أي فيما يحب الله تعالى ويرضاه، لا تستخدم نعم الله في معصية الله، عيب عليك، حرام عليك أن يعطيك الله نعمة ثم تستخدمها فيما يُضاد محبته وأمره ﷻ، أيجوز أن يعطيك إنسان شيئاً فتستعمله ضده؟ كذلك لا يجوز أن تبغض إلى الله بمعصيته، وهو يتقرب إليك ويتحَبَّب إليك بنعمته، كما في الأثر الإلهي: «أخلق ويُعبد غيري، وأرزق ويُشكر سواي، خيرني إلى العباد نازل، وشهرهم إليَّ صاعد، أتحب إليهم بنعمي، وأنا الغني عنهم، ويتبغضون إلي بالمعاصي، وهم أفقر شيء إلي»^(١).

أليق هذا؟ أن ينزل خير الله إليك في كل وقت ليلاً ونهاراً، يده سحاًء ملأى، لا تغيضها نفقة، وإنما تفيض بالخير دائماً، يُنزل إليك الخير وأنت تُصعد إليه الشر؟ بل ينبغي أن تُصعد إليه الكلم الطيب والعمل الصالح، ترفعه إليه سبحانه.

الشكر أن تستخدم النعمة في طاعة الله، وهبك الله عقلاً فينبغي أن تفكر به فيما ينفعك في دينك، في دنياك، لمصلحتك، لمصلحة أسرتك، لمصلحة أمتك، أمّا أن تفكر به في الشر، في تدبير المكائد لخلق الله، في تدبير المعصية وتدبير ظروفها، في الإفساد في الأرض، لا يجوز.

أعطاك الله أموالاً فلا يجوز لك أن تنفقها في معصية الله، لا يجوز لك أن تنفقها في شرب المسكرات، أو فعل المنكرات، لا يجوز لك أن تبعتها فيما لا يحل ولا يرضي ربك، إنها ودیعة في يديك، إنك أمين

(١) انظر: مدارج السالكين (٢١٢/١).



صندوق، إنَّك مستخلف في هذا المال؛ فلا يجوز أن تعبت به عبث السفهاء، وإلا استحققت أن تُغل يدك، ويُحجر عليك.

هذا المال مال الله ومال الأمة، لا يجوز أبدًا ما نراه ونقرؤه ونسمع عنه، من أولئك العابثين الذين يبددون الثروات والأموال في أوروبا وأمريكا وغيرها، هؤلاء قد كفروا بنعمة الله، ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].





خلق الشكر

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

من أخلاق المؤمنين التي نفتقدها في عصرنا هذا عند الكثيرين من الناس - إلا من رحم ربك - خلق الشكر، الشكر لنعمة الله وَعَبَّكُ، مع أن نعم الله تعالى على الناس لا تُعد ولا تُحصى، كما قال الله وَعَبَّكُ: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

نعم الله على الناس كثيرة، وانظر أيُّها الإنسان المسلم فيما يغمرك من نعم الله وَعَبَّكُ، ستجد الكثير الكثير.

في أحسن تقويم:

أَوَّلُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْكَ أَنَّهُ خَلَقَكَ، أَوْجَدَكَ مِنْ عَدَمٍ، أَبْرَزَكَ إِلَى حَيْزِ الْوُجُودِ وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١]، ﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَّاءٍ مَهِينٍ﴾ ﴿فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ﴾ إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٠ - ٢٣]، نعمة الخلق والإيجاد هي النعمة الأولى.

والنعمة الثانية أنه خلقك إنساناً، بشراً سوياً، خلقك في أحسن تقويم، صورك فأحسن صورتك: ﴿خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿[الأنفطار: ٧، ٨]، كَرَّمَكَ بالعقل، وَفَضَّلَكَ بالتكليف كما قَالَ وَعَجَلَ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

العقل والبيان:

أعطاك العقل، به تميز، به تدرك، وبه تعرف حقائق الأشياء، وتستدل بالأثر على المؤثر، وتربط بين الأسباب والمسببات، وتنطلق من المقدمات إلى النتائج، وتختار بين البدائل، بهذا العقل أنت مُكَلَّف، أنت مُثاب، أنت مُعاقب.

عَلَّمَكَ البيان، ﴿الرَّحْمَنُ﴾ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿[الرحمن: ١ - ٤]:

البيان النطقي بهذا اللسان الذي تترجم به عما في نفسك، وتتكلم به لغة مؤلفة

من كلمات وحروف، تدون به العلوم، وتنقلها من جيل إلى جيل. والبيان الخطي بالقلم الذي به تكتب وتسطر، ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١]، ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿[العلق: ٣ - ٥].

الخلافة في الأرض:

خلقك الله إنساناً، وعَلَّمَكَ البيان، وجعلك في الأرض خليفة؛ تعمرها بإذن الله، وتقيم فيها الحق والعدل، وتحكم فيها بما أنزل الله!

استخلفك في الأرض، وهي منزلة تطلعت إليها الملائكة، واشترأت إليها أعناقهم، ورنّت إليها أعينهم، وقالوا: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿البقرة: ٣٠﴾.

اختارك الله لهذه الخلافة، وسخر لك - لتقوم بحققها - كل ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، أسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة: كل ما حولك، كل ما تحت قدميك وما فوق رأسك، وما عن يمينك وما عن شمالك، وما بين يديك وما من خلفك، كل هذا في خدمتك، النجوم تهديك، والأنهار تسقيك، والبحار مسخرة لتجري فيها سفنك، والأرض خلقها الله ذلولاً؛ لتمشي في مناكبها، وتأكل من رزقه، والأنعام تخدمك وهي صحيحة، وتأكلها وهي ذبيحة، كل ما في الكون مُفَصَّلٌ على قدّك، مُهيأ لخدمتك، مسخر لمنفعتك.

سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض:

انظر إلى الأرض وما حولها! كل ما حولك مخلوق ليعمل هذه الأرض التي أنت عليها، جُعِلَت الشمس على مسافة معينة من الأرض؛ لو قربت أو بعدت ما أدت الخدمة لك، وما قامت الحياة النباتية ولا الحيوانية على الأرض! لو اقتربت من الأرض قليلاً لاحتقرت من شدة ضوئها وحرارتها، ولو بعدت قليلاً لجمدت الأرض! لو سارت الأرض بسرعة أكثر أو أقل ما حدثت هذه الحياة، وما أدت هذه المخلوقات الخدمة لك كما أرادها الله ﷻ.

كل ما في الكون مُفَصَّلٌ مُقَدَّرٌ ليؤدي لك الخدمة، لتعيش وتستمتع،

﴿الَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَهْرَهُ وَبَاطِنَهُ﴾ [لقمان: ٢٠]، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤]!

كل ما في الكون خُلق لخدمتك أيها الإنسان، فهل قدّرت هذه النعمة؟ هل عرفت قيمة هذه النعم المحيطة بك؟

انظر إلى لقمة الخبز التي تأكلها! هذه اللقمة لو تأملت فيها كم من الأيدي عملت؛ حتّى وصلت إليك، وساقها الله إليك، كم من الناس عملوا في تهيئة الأرض التي أنبتتها، وفي رعايتها حتّى أثمرت، ثمّ تنقيتها حتّى طُحنت، ثمّ أرسلت إليك من أوروبا أو من أمريكا، تحملها البواخر تجري في البحر بنعمة الله، هذه اللقمة التي تأكلها كم من الناس عمل فيها! كم من قوانين الله وسننه خدمها حتّى أتت إليك! ثمّ أنت تأكلها ولا تشعر بنعمة الله فيها.

وإذا أكلت هذه اللقمة فإنّك تضعها في معدة لا تعرف ماذا تصنع، هذه المعدة في داخلك إنّها أعظم معمل كيماوي في العالم، إنّك تقذف إليها بأنواع من البروتينات والنشويات والسكريات والفيتامينات وغيرها، أنواع مختلفة متجانسة وغير متجانسة، لا تبالي بعد ذلك ماذا تصنع، تنام وهي تعمل، هذا المعمل الإلهي يعمل بغير إذنك، وبغير أمرك، وبغير إرادتك، يطحن ويمضغ، ويحوّل الأشياء إلى عجينة دون أن تفكر

أنت، ودون أن تشعر أنت، فهو يعمل سواء كنت قاعدًا أم قائمًا، يقظان أم نائمًا، حتّى تتحول هذه اللقمة إلى عجينة، والعجينة إلى دم، والدم يجري في عروقك ويمدك بأسباب الحياة والبقاء والقوة، هل تُقدّر أن تفعل شيئًا من هذا؟

هل تُقدّر نعم الله عليك؟

أفقر النَّاس لو عرف قيمة ما يملك من نعم لعرف أنّه يملك الملايين، بل البلايين، بكم مليون تبيع إحدى عينيك؟ وبكم مليون آخر تبيع العين الأخرى؟ بكم مليون تبيع أذنيك؟ وبكم مليون نبيع حاسة الشم أو حاسة الذوق أو حاسة اللمس، أو عضوًا من أعضائك، أو العقل الذي تفكر به؟ كم تملك من أشياء تُقدّر بمئات الملايين وأنت لا تدري! لو أن إنسانًا ساومك على أن يسلبك إحدى الحواس أو أحد الأعضاء بملايين هل توافق على هذا؟ أنت إذن تملك ملايين تمشي بها بين النَّاس وأنت لا تدري.

الصحة نعمة، والعقل نعمة، والمال نعمة، والأولاد نعمة، والحياة الزوجية نعمة، النعم كثيرة كثيرة، وخاصة في عصرنا هذا، كم من النعم تغمرنا من رؤوسنا إلى أقدامنا! إنّ الله تعالى قال للناس في العهد المكي: ﴿لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٨]. وماذا كان عندهم من نعيم؟ قالوا: إذا كان للمرء لقمة تغذيه وثوب يواريه، وكنّ يؤويه؛ فهذا من النعيم الذي يُسأل عنه يوم القيامة! فماذا عن النعيم الذي نعيش نحن فيه اليوم؟ فيم نعيش؟ وماذا نركب؟ وماذا نسكن؟ أيّ نعيم نحن فيه؟! ماذا نجيب إذا سألنا الله عن هذا النعيم؟ إنّ النعم كثيرة.

نعمة الهداية للإسلام:

ثم تأتي النعمة العظمى، أعظم النعم وأفضلها على الإطلاق، وهي نعمة الهداية إلى الإسلام، ما قيمة النعم كلها إذا عاش الإنسان كافرًا ومات كافرًا، يعبد الأصنام، أو يعبد الأوهام، أو يعبد الصلبان، أو غير ذلك من الخلق، يعبد غير الله؟ ما قيمة هذه النعم كلها إذا لم تتوج بالنعمة العظمى نعمة الإيمان؟ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ ﴿فَضَّلَا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَ اللَّهُ﴾ [الحجرات: ٧، ٨]، ﴿يَمُنُونَ عَلَيْكَ أَنَّا أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَن هَدَيْكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧].

إنها نعمة الهداية إلى الإيمان، إلى الإسلام، إلى هذا الدين العظيم الذي أتم الله به المنة وأكمل النعمة علينا به، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥١، ١٥٢]، أي في مقابل بعثة محمد ﷺ معلمًا ومزكياً لكم اذكروني اذكركم، واشكروا لي ولا تكفرون، إنها نعمة عظيمة.

شكر القلب:

هذه النعم ماذا تستحق منا؟ إنها تستحق الشكر، صاحبها يستحق أن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر، وأن يطاع فلا يعصى، إنه الله.

وأول معاني الشكر أن نحس من أعماق قلوبنا، ونوقن يقيناً لا شك فيه أنه تعالى صاحب النعم، أن مصدر النعم الأول هو الله ﷻ، وهذا

ما علمه لنا القرآن حين قال: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣]. إذا أسدى إنسان إليك خدمة وقدم لك معروفًا فلا بأس أن تشكره؛ بل ينبغي أن تشكره، ولكن اشكر الله تعالى الذي ساقه إليك، وهياه لخدمتك، كل النعم أصلها من الله وَعَلَيْكُمْ، فلا بد أن تشكر الله بقلبك، أن تحس بقلبك، ومعنى أن تحس أنك لا تستطيع أن توفيه حقه مهما صنعت، لأنك إذا وفقت إلى الشكر؛ فهذه نعمة أخرى تستحق الشكر، ولهذا يقول الشاعر:

إذا كان شكري نعمة الله نعمةً عليّ له في مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضلِهِ وإن طالت الآماد واتسع العمرُ؟!
لك الحمد مولانا على كل نعمةٍ ومن جملة النعماء قولي: لك الحمد^(١)

فأنت إذا عرفت قدر الله، ومقدار نعمه فهذه نعمة جديدة تستحق أن تُشكر، فالنعم لا تتناهى، هذا الإحساس، الاعتراف لله تعالى بفضل الله تعالى هو واجب الشاكر الأول.

شكر اللسان:

ثم بعد ذلك يأتي شكر اللسان، بأن تقول دائماً: الحمد لله. لا تستغني عن الحمد لله، بدأ الله كتابه بسورة الحمد ليعلمنا أن نحمده: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿[الفاتحة: ١، ٢]. لنستشعر دائماً جانب النعمة.

وكان النبي ﷺ أكثر الناس حمداً لله، وعلمنا أن نحمد الله في كل حال، وفي كل حين، وعلى كل شيء، كان ﷺ إذا أصابته نعمة يقول:

(١) هو محمود الوراق، كما في الفاضل للمبرد ص ٩٥.

«الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات»^(١). وإذا أصابه ما يكره قال: «الحمد لله على كل حال»^(٢). فهو يحمد ربه في السراء والضراء، في النعماء والبأساء، في الشدة والرخاء.

إذا قام المسلم من النوم قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»^(٣). وإذا أكل وشبع قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين»^(٤). وإذا شرب شربة ماء قال: «الحمد لله الذي جعله عذبًا فرائًا برحمته، ولم يجعله ملحًا أجابًا بذنوبنا»^(٥). وإذا ركب دابته أو سيارته قال: «الحمد لله، سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون»^(٦). وإذا أكل طعاما قال: «الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام، ورزقني من غير حول مني ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر». قال: ومن لبس ثوبًا فقال: «الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقني من غير حول مني، ولا قوة، غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»^(٧). وهكذا، إنه حماد دائمًا، لسانه مشغول رطب بحمد الله وَعَلَى.

(١) سبق تخريجه ص ٢٧٤.

(٢) جزء من الحديث السابق.

(٣) رواه البخاري في الدعوات (٦٣١٢)، عن حذيفة.

(٤) رواه أحمد (١١٢٧٦)، وقال مُخَرَّجوه: إسناده ضعيف. وأبو داود في الأُطعمة (٣٨٥٠)، والترمذي في الدعوات (٣٤٥٧)، وسكت عنه. وابن ماجه في الأُطعمة (٣٢٨٣)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٤٤٣٦)، عن أبي سعيد الخدري.

(٥) رواه الطبراني في الدعاء (٨٩٩)، وأبو نعيم في الحلية (١٣٧/٨)، والبيهقي في الشعب باب تعديد نعم الله (٤٤٧٩)، وضعفه الألباني في الضعيفة (٤٢٠٢)، عن أبي جعفر مرسلًا.

(٦) رواه مسلم في الحج (١٣٤٢)، وأحمد (٦٣٧٤)، عن ابن عمر.

(٧) رواه أبو داود في اللباس (٤٠٢٣)، وأبو يعلى (١٤٨٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٠٤٢): حسن لغيره. عن أنس.



دخل أحدهم على بعض الصالحين وقد أنهكه المرض، ولم يبق في جسمه عضو لا يشتكى منه، ولكنه كان دائم الحمد لله، فقال: يا هذا، علام تحمد؟ فقال: ويحك! أحمده على أن جعل لي لسانًا يذكره، وقلبًا يشكره! هؤلاء هم الحمّادون.

شكر الجوارح:

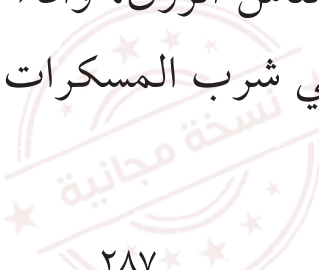
ثم بعد اللسان تأتي الجوارح، كيان الإنسان كله يجب أن يشكر الله، يجب أن تشكر الله بعقلك؛ فلا تفكر إلا في طاعة الله، وأن تشكر الله تعالى بقلبك وببيدك، وبقدميك وبجوارحك كلها؛ فتستعملها في طاعة الله لا في معصية الله، شكر النعمة أن تستخدمها فيما خلقت له، وكل شيء خلق لطاعة الله:

فإذا استخدمت النعمة في معصية الله فقد كفرت نعمة الله تعالى عليك.
وإذا آتاك الله العقل فاستخدمته في الشر، استخدمت ذكاءك في إضرار الناس، في تدبير طرق المعصية؛ فأنت قد كفرت نعمة الله وعقل!

وإذا آتاك الله العلم فلم تستعمل العلم إلا في الشر فقد كفرت نعمة الله تعالى عليك!

وإذا آتاك الله الصحة فاستخدمتها في معصية الله فقد كفرت نعمة الله تعالى عليك!

وإذا وسع الله على الناس الرزق، وأفاء عليهم من فضله فاستخدموا الأموال في المعاصي، في شرب المسكرات، وفعل المنكرات فقد كفروا نعمة الله تعالى عليهم.



يجب أن تُستخدم النعمة في طاعة الله، فإذا استخدم الناس النعمة في طاعة الله حفظ الله النعمة عليهم، وأدامها لهم، وزادهم منها، كما قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّتْ رِبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]. فمن شكر النعمة فقد استحق أن تبقى له النعمة، وأن يزيده الله منها، ومن كفرها فهو جدير بأن تُزال عنه النعمة، أو تصبح النعمة نقمة عليه، تصبح سوط عذاب عليه، كما قال الله في شأن قوم: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [التوبة: ٥٥]. أصبحت الأموال والأولاد أداة عذاب لهم، لم تصبح وسيلة سعادة، وإنما وسيلة نكد وشقاء.

التحذير من كفر النعمة:

إن على الناس أن يُقدِّروا نعم الله تعالى عليهم؛ وهي كثيرة، وخاصة نحن في عصرنا نعم الله تعالى علينا لا يحصيها عد، ولا يُحيط بها حد، فهل آن لنا أن نشكر نعمة الله ﷻ؟ أم نحن ممن يكفرون النعمة فيستحقون بذلك النعمة، كما قال الله تعالى في شأن أهل سبأ: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُّوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ، بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبُّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٥، ١٦].

بدّل الله نعمهم، وغير ما بهم؛ لأنهم غيروا ما بأنفسهم!

أعرضوا عنه فأعرض عنهم، كفروا نعمته فأنزل بهم نقمته، ولذلك قال: ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ مَا كَفَرُواْ وَهَلْ نُجْزِيْ إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٧].

وفي سورة أخرى يضرب الله لنا مثلاً بقرية بطرت، وكفرت،

وجحدت بأنعم الله تعالى فجرّ ذلك عليها الوبال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

تجديد الشكر:

إن خلق المؤمن هو الشكر، أن يشكر الله، كلما أتته نعمة جديدة جدد شكرًا لله وعجلًا، وليس كأولئك الذين كلما أحدث الله لهم نعمة أحدثوا بها معصية، والعياذ بالله.

على المؤمن أن يجدد الشكر لله تعالى دائمًا؛ ليكون كأولئك الأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه، ذكر الله نوحًا فقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]. وذكر الله إبراهيم فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ * شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجْتَبَنَاهُ وَهَدَيْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿ [النحل: ١٢٠، ١٢١].

وذكر الله سليمان عليه السلام حينما جاءه عرش بلقيس من اليمن إلى الشام في لمح البصر أو هو أقرب، ووجده حاضرًا بين يديه، لما رآه قال: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠].

الله يبتلي الناس بالنعماء كما يبتليهم بالبأساء، يبتليهم بالعافية كما يبتليهم بالمصائب، فإذا ابتلاهم بالعافية فلكي يعلم علم ظهور ووجود: أيشكرون أم يكفرون؟! أيتبعون الرسول أم ينقلبون على أعقابهم خاسرين؟! ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥].

إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الشَّاكِرِينَ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ عَلَى شُكْرِهِمْ: فِي الدُّنْيَا يَجْزِيهِمْ بِبَقَاءِ النِّعْمَةِ وَزِيَادَتِهَا، وَفِي الْآخِرَةِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، إِذَا دَخَلُوهَا كَانَتْ تُحِيَّتُهُمْ سَلَامًا: ﴿دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرُ دَعَوْنَهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ١٠]، هذا هو شأن المؤمن الحمد في الدنيا وفي الآخرة.

لا تقابلوا الإحسان بالإساءة:

يَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُؤْمِنُونَ: اشْكُرُوا نِعَمَ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَوْقِفُنَا مِنْ رَبِّنَا أَنْ تَنْزِلَ عَلَيْنَا نِعْمَهُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، وَأَنْ تَصْعَدَ إِلَيْهِ مَعَاصِينَا مِنَ الْأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ، كَمَا جَاءَ فِي الْأَثَرِ الْإِلَهِيِّ فِي ذَلِكَ الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: «إِنِّي وَالْجَنِّ وَالْإِنْسَ فِي نَبَأٍ عَظِيمٍ: أَخْلَقَ وَيَعْبُدُ غَيْرِي، وَأَرْزُقُ وَيَشْكُرُ سِوَايَ، خَيْرِي إِلَى الْعِبَادِ نَازِلٌ، وَشُرْهُمَ إِلَيَّ صَاعِدٌ»، مَعَاصٍ لَا تَنْتَهِي تَصْعَدُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ، «أَتُحِبُّ إِلَيْهِمْ بِنِعْمِي وَأَنَا الْغَنِيُّ عَنْهُمْ، وَيَتَبَغَضُونَ إِلَيَّ بِالْمَعَاصِي وَهُمْ أَفْقَرُ شَيْءٍ إِلَيَّ»^(١).
أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ يَكُونُ مَوْقِفُنَا مِنَ اللَّهِ؟

يَنْعَمُ عَلَيْنَا فَتَقَابُلُ النِّعْمَةِ بِالْإِعْرَاضِ عَنْهُ وَالْمَعْصِيَةِ لَهُ، أَهَكَذَا يَكُونُ الْأَمْرُ؟! تَأْكُلُ تَمْرِي وَتَعْصِي أَمْرِي؟! تَأْكُلُ خَيْرِي وَتَشْكُرُ غَيْرِي؟! تَأْكُلُ خَيْرَ اللَّهِ وَلَكِنْ تَشْكُرُ غَيْرَ اللَّهِ وَلَا تَشْكُرُ اللَّهَ؟! تَأْكُلُ تَمْرَ اللَّهِ وَتَعْصِي أَمْرَ اللَّهِ؟!

إِنْ شُكِرَ النِّعْمَةُ هُوَ الْوَاجِبُ الْأَوَّلُ، وَاجِبُنَا نَحْوَ اللَّهِ وَجَلَّ، وَقَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا بِنِعَمٍ كَثِيرَةٍ أَعْظَمُهَا التَّوْحِيدُ، أَعْظَمُهَا الْإِيمَانُ، أَعْظَمُهَا

(١) انظر: مدارج السالكين (١/٢١٢).

الهداية إلى رسالة الإسلام؛ فيا أيُّها الإخوة المسلمون، اشكروا الله تعالى على نعمه، وادعوا الله تعالى أن يعينكم على ذلك، فقد كان النبي ﷺ يقول: «اللهم اجعلني لك شَكَارًا، واجعلني لك ذَكَارًا»^(١). وكان يقول دبر الصلاة: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك»^(٢).

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الشاكرين؛ إنه سميع قريب، ادعوا الله تعالى يستجب لكم.



(١) رواه أحمد (١٩٩٧)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في أبواب الوتر (١٥١٠)، والترمذي في الدعوات (٣٥٥١)، وقال: حسن صحيح. وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٨٥)، عن ابن عباس.

(٢) رواه أحمد (٢٢١١٩)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح. وأبو داود في الصلاة (١٥٢٢)، والنسائي في السهو (١٣٠٣)، وابن خزيمة (٧٥١)، وابن حبان (٢٠٢٠)، كلاهما في الصلاة. عن معاذ بن جبل.

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

إذا كان من حق الله تعالى علينا أن نشكره ونذكره دائماً أبداً؛ فلا يعني هذا ألا نشكر الناس الذين جعلهم الله وسائل وأدوات في وصول بعض نعمه إلينا، فمن أسدى إليك معروفاً أو قدّم لك خدمة فمن أدب الإسلام أن تشكره.

شكر من أحسن إليك:

ليس من شأن المؤمن أن يجحد النعم وأن يستخف بمن قدّم إليه نعمة أو ينساها، بل المسلم يشكر الناس كما يشكر الله، وقد قال رسول الله ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»^(١). أي ليس بشاكر لله، وليس بمؤد لله حق الشكر من لا يشكر الناس ويُقدّر لهم معروفهم.

وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَى الْمَصِيرِ﴾ [لقمان: ١٤]. فكما طلب الشكر لنفسه ﷻ طلب الشكر للوالدين؛ لأن حقهما يأتي دائماً بعد حق الله تبارك وتعالى، ثم تأتي حقوق الناس بعد ذلك، فمن أدى إليك جميلاً فلا تنس أن تشكره.

وقد قال ﷺ: «من صنع إليكم معروفاً فكافئوه، فإن لم تستطيعوا فقولوا: جزاك الله خيراً»^(٢).

(١) رواه أحمد (١٠٣٧٧)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط مسلم. وأبو داود في الأدب (٤٨١١)، والترمذي في البر والصلة (١٩٥٤)، وصحّحه. عن أبي هريرة.

(٢) رواه أحمد (٥٣٦٥)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود (١٦٧٢)، والنسائي (٢٥٦٧)، وابن حبان (٣٤٠٨)، ثلاثتهم في الزكاة، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٢١)، عن ابن عمر.

أقل ما يجب في مقابلة المعروف أن تدعو لصاحبه، أن تقول له: جزاك الله خيرًا. فإذا دعوت له حينما تعجز عن مقابلة المعروف بمثله فهذه الدعوة كافية، هذا الدعاء مبالغة في الشناء، فهذا هو شأن الإنسان المسلم.

فضائل شهر رجب:

هناك تنبيه أحب أن أنبه عليه أيضًا: بعض الناس يوردون في فضل شهر رجب أحاديث كثيرة ما أنزل الله بها من سلطان، معظمها أحاديث موضوعة، أو لا أصل لها، أو واهية جدًا.

كل ما صح من شهر رجب أنه أحد الأشهر الحرم، هو شهر حرام من الشهور التي ذكرها الله في كتابه: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة: ٣٦]. فهذه الأربعة: رجب، وذو القعدة وذو الحجة، والمُحَرَّم. فرجب شهر حرام ولذلك يُشرع فيه الصيام، ولكن لم يشرع صيامه كله كما يفعل بعض الناس؛ يصومون رجب وشعبان ورمضان الأشهر الثلاثة متتالية، لم يصح هذا عن النبي ﷺ، ولا عن أصحابه، بل صح عنهم عكس هذا، إنما يصح أن يصوم من رجب ويكثر منه، ويصوم من شعبان ويكثر منه، على أن يفطر فيهما بعض الأيام؛ فهذا هو الأولى، ونسأل الله ﷻ أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

اللهم اجعل يومنا خيرًا من أمسنا، واجعل غدنا خيرًا من يومنا، وأحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة!

اللهم طهر أقوالنا من اللغو، وطهر أعمالنا من العبث، وطهر ألسنتنا من الكذب، وطهر أنفسنا من الضعف، وطهر قلوبنا من



الغش، وطهّر أعيننا من الخيانة، وطهّر عبادتنا من الرياء، وطهّر حياتنا
من التناقض!

اللهمّ حبّب إلينا الإيمان وزينه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر والفسوق
والعصيان، واجعلنا من الراشدين فضلاً منك ونعمة!

اللهمّ اجعل كلمة الإسلام هي العليا، واجعل كلمة الذين كفروا هي
السفلى!

اللهمّ انصرنا على أعدائك أعداء الإسلام حيثما كانوا، اللهمّ انصرنا
عليهم في كل مكان!

اللهمّ إنّنا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة يا رب
العالمين!

ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا
غلاً للذين آمنوا؛ ربنا إنّك رؤوف رحيم.

* * *



خصائص الأمة الإسلامية^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

لِلْإِسْلَامِ أَهْدَافٌ أَسَاسِيَّةٌ، وَمَقَاصِدٌ كَلِيَّةٌ يَسْعَى إِلَيْهَا، وَيَعْمَلُ عَلَى تَحْقِيقِهَا، أَوَّلُ هَذِهِ الْمَقَاصِدِ:

الإنسان الصالح:

أَنْ يُكُونُ الْفَرْدُ الصَّالِحُ، الْإِنْسَانُ الصَّالِحُ، الْإِنْسَانُ الَّذِي جَعَلَهُ اللَّهُ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ، وَسَخَّرَ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ، هَذَا الْإِنْسَانُ هَدَفٌ أَوَّلٌ لِلْإِسْلَامِ.

وَهُوَ إِنْسَانٌ عَقِيدَةٌ وَإِيمَانٌ، وَإِنْسَانٌ نُسْكٌ وَعِبَادَةٌ، وَإِنْسَانٌ خُلِقَ وَفُضِّلَ، وَإِنْسَانٌ رِسَالَةٌ وَمَنْهَجٌ، وَإِنْسَانٌ عَقْلٌ وَعِلْمٌ، وَإِنْسَانٌ ثَقَافَةٌ وَحَضَارَةٌ، وَإِنْسَانٌ أُسْرَةٌ وَمَجْتَمَعٌ، وَإِنْسَانٌ أُمَّةٌ وَإِنْسَانِيَّةٌ، وَإِنْسَانٌ عِمَارَةٌ وَإِنْتِاجٌ، هَذَا هُوَ الْإِنْسَانُ الَّذِي يَعْمَلُ الْإِسْلَامُ لِيَكُونَ هَدَفًا مِنْ أَهْدَافِهِ.

(١) أُلْقِيَتْ فِي مَسْجِدِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ بِالْأُحُدَةِ، بِتَارِيخِ ٤ صَفَرٍ ١٤٣٣هـ الْمَوْافِقِ ٣٠ دَيْسَمْبَرِ

الأمة الصالحة:

ولكن الإسلام لا يقف عند هذا الحد، إنَّه لا يريد فردًا صالحًا فقط، ولا أسرة صالحة فقط، ولا مجتمعًا صالحًا فقط، بل إنَّه يريد أُمَّة صالحة، أُمَّة كبرى في طول هذا الكون كله وعرضه، هذا ما يريده الإسلام، يريد إنشاء هذه الأُمَّة الصالحة؛ لتحمل رسالتها في هذا الكون كله.

ومن هنا كانت أُمَّة الإسلام أُمَّة رسالة، ليست أُمَّة جنس معيَّن، ولا أُمَّة لسان معيَّن، ولا أُمَّة طبقة معيَّنة، لا، بل هي أُمَّة تحمل رسالة الإسلام، رسالة القرآن، رسالة مُحَمَّد ﷺ، فهي أُمَّة تنتمي إلى معاني عظيمة، وقيم مثلى، لا تنتمي إلى أرض ولا تراب، إنَّما تنتمي إلى هذه المعاني العظمى، والقيم المثلى، هذه هي الأُمَّة التي يكوِّنها الإسلام، ويعمل على إيجادها، لتقوم بأمانتها، وتتبوأ مكانتها في هذه الأرض.

وأُمَّة الإسلام موجودة بالفعل، فكلنا نؤمن بأننا أمة الإسلام، أُمَّة القرآن، أُمَّة مُحَمَّد ﷺ؛ هل يشك أحد في هذا؟ شرقًا أو غربًا، عجمًا أو عربًا، أينما كنا، حيثما تحدثت ألسنتنا، تحدَّثنا بالعربيَّة أو بالعجمية؛ فنحن نؤمن بأننا أُمَّة هذا الدين، كما أنَّ الله تعالى امتنَّ علينا بإيجاد هذه الأُمَّة.

خصائص أُمَّة الإسلام:

وأُمَّة الإسلام لها خصائص تميِّزها عن غيرها، لا تلبس بالأُمم الأخرى أو تذوب فيها، بل لها خصائصها المُميِّزة لها، المَقوِّمة لكيانها.

١ - الرِّبَّانِيَّة:

أول خصائص الأُمَّة الإسلامية أنَّها أُمَّة ربَّانيَّة، مَنْ الَّذِي أنشأ هذه

الأمّة؟ أنشأها الله تبارك وتعالى، الله تعالى يقول: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. فالذي جعلنا أمة هو الله ﷻ، الله هو جاعل هذه الأمّة، وهو صانع هذه الأمّة، فهذه أمة تنتسب إلى الله، أمة مجعولة من الله ﷻ، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾.

ولذلك يقول: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. كنتم في علم الله ﷻ، فهو الذي جعلنا خير أمة، أمة أُخرجت، فهذه أمة مجعولة مُخرجة، أمة ربّانيّة الأصل، ليست كالنبات الذي يخرج في البريّة لم يزرعه زارع، ولم يتعهّده مُتعهد، ولم يغرسه غارس، ولم يسقه ساقٍ، ولم يريعه راعٍ، ولكن هذه الأمّة هي التي غرسها الله، وهو الذي سقاها، وهو الذي رعاها، فهي أمة ربّانيّة، أخرجها الله، ﴿أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾، لم تخرج بنفسها، ولكن الله تعالى هو الذي أخرجها.

وأخرجها لمن؟ أخرجها للناس، لم يخرجها لنفسها، لا تعيش لنفسها، لا تحتكر الخير لنفسها، لا؛ بل هي أمة ﴿أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، لكل الناس، لإسعاد الناس، لنفع الناس، لهداية الناس، لتنوير الناس كل الناس، هذه طبيعة الأمّة الإسلاميّة، وهذه أوّل خصيصة لها، أنّها أمة ربّانية صانعها هو الله.

٢ - الوسطيّة:

ومن خصائص الأمّة الإسلاميّة أنّها أمة وسطيّة، ومعنى وسطيّة: أنّها أمة لا تميل إلى اليمين، ولا تميل إلى الشمال، أمة تمشي في الطريق الوسط، لا تنحرف يمينًا ولا يسارًا، الله تعالى هو الذي رسم لها هذا الطريق، هذا المنهج، هو منهج إلهي وضعه القرآن؛ فعرفت منه أن هذا حلال وهذا حرام، وهذا فرض وهذا مُستحب، وهذا مكروه وهذا مباح،

كل الأمور مُفَصَّلة لها، فهي تمشي على هذا الصراط المستقيم، ليست حرةً في أن تفعل ما تشاء، لا، بل هي ملتزمة بهذا المنهج الإلهي، ثم هي حرة في كل أفعالها بعد ذلك.

ولذلك علّمنا القرآن أن الإنسان إذا صَلَّى ولو كان وحده، لو كنت تصلي في قعر بيتك، وتقرأ الفاتحة في صلاتك كل يوم، لو اقتصر على الفرائض ستقرأها سبع عشرة مرة، تقول: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿[الفاتحة: ٦، ٧].

أنت وحدك؛ فلماذا لا تقول: إِيَّاكَ أعبد، وإِيَّاكَ أستعين، اهْدِنِي الصراط المستقيم؟ لأنك لا تتحدّث عن نفسك، وإنما تتحدّث باسم الجماعة، أنت عضو في جماعة، إِيَّاكَ أن تنسى هذا، لست تعيش وحدك، لا يوجد في الإسلام إنسان يعيش وحده، ولذلك لا بدّ أن تستحضر الجماعة دائماً. حتى في صلاة الجماعة، إذا جئت متأخراً لا تصلي منفرداً، فالنبي ﷺ يقول: «لا صلاة لمنفردٍ خلف الصف»^(١). لا بدّ أن تنضم إلى الصف، أو تشد واحداً منه لتصلي بجواره، هذه هي الروح الجماعية، والشعور الجماعي، والتفكير الجماعي، والسلوك الجماعي الذي يُعلّمه الإسلام للمسلم.

﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: هذا الطريق المستقيم طريق الأمة، ليس طريقك وحدك، لا تسير في الطريق وحدك، وإلا سألت نفسك: لماذا أسير وحدي؟ لماذا ليست الأمة معي؟

(١) رواه أحمد (١٦٢٩٧)، وقال مخرّجوه: إسناده صحيح، رجاله ثقات. وابن ماجه في إقامة الصلاة (١٠٠٣)، وقال ابن الملقن في البدر المنير (٤٧٤/٤): قال الإمام أحمد: حديث حسن. وصحّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٨٢٢)، عن علي بن شيان.

﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: ليس صراطى وحدي، هو صراط أناس قبلي، ساروا فيه من أمم شتى، لست أنا مُنشؤه، ولا أنا ممثله وحدي، لا، بل هو صراط ﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]. فهو صراطٌ مسلوكة، ومسلوكة لأناس كبار، على رأسهم أنبياء الله ورسله، ووراءهم الصديقون والشهداء والصالحون، ليس طريق المغضوب عليهم، ولا طريق الضالين، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

والمغضوب عليهم: هم الذين عرفوا طريق الحق ولم يسلكوه، بل وقفوا ضده، كما كان شأن اليهود، والضالون: هم الذين جهلوا طريق الحق، وبعدوا عنه، كأكثر النصارى. فأنت تطلب من الله أن تمشي في طريق المُنعم عليهم، وليس طريق المغضوب عليهم ولا الضالين، هذا هو شأن الإنسان المسلم.

ولذلك من خصائص الأمة أنها أمة وسطية، أمة متوازنة، أمة معتدلة، هي أمة الاعتدال والتوازن، كما قال تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٧ - ٩]. هكذا أمة الإسلام، لا تخسر الميزان، إذ لا بد أن يكون الميزان معتدلاً تماماً، أن تكون الكفتان متساويتين، حتى يعطي كل ذي حق حقه.

هذه هي الأمة الإسلامية، أمة وسط، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣]. لا فردية فقط، ولا جماعية فقط، لا روحية فقط، ولا مادية فقط، لا مثالية فقط، ولا واقعية فقط، لا دنيوية فقط، ولا دينية فقط؛ بل هي أمة متوازنة بين ذلك كله، تأخذ من كل شيء

نصيبها، هي وسط في كل شيء، ولذلك نحن في حياتنا نؤمن بمبدأ الوسطية، ونرى أنه مبدأ إسلامي حقيقي، ليس مبدأ دخيلاً على الأمة، وإنما هو من حقيقة دين الأمة، وعقيدة الأمة، وشرعية الأمة، ورسالة الأمة.

﴿لَنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]: تشهد الأمة الوسط على الأمم كلها، فالأمم إما تسببت يميناً أو تسببت يساراً، والأمة الشاهدة على الجميع، المقبول شهادتها عند الله هي أمة الإسلام، الأمة التي حفظ الله دينها فلم يتغير ولم يتبدل، ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

لم يُحفظ كتاب أمة إلا كتاب أمة الإسلام، استحفظ الله من قبل أهل التوراة توراتهم؛ فلم يحفظوها وضيّعوها، أمّا الإسلام فالله هو الذي وعد بحفظه، ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾، الجملة الاسمية، والتأكيد بأن، واقتران الخبر باللام، كل هذه تأكيدات على أن الله يحفظ هذا الكتاب فلا يضيع.

ولذلك ترى الأمة تتهافت على هذا الكتاب، الآلاف، وعشرات الآلاف، ومئات الآلاف يحفظون القرآن. كنت في ليبيا فقالوا لي: عندنا مليون يحفظون القرآن، وبدأنا في المليون الثاني. قلت: لعلكم تبالغون. قالوا: لا، بل أسماء الحافظين موجودة في أرشيف: اسم الحافظ، ووظيفته، وبلده، وسنّه.

هذا مليون من بين ستة ملايين في ليبيا؛ فما بالك في مصر، وباكستان، وفي غيرها من بلاد العالم؛ كم شخصاً فيها يحفظ هذا القرآن الكريم؟

إِنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الدِّينَ الْوَحِيدَ الَّذِي حَفَظَهُ اللَّهُ، فَلَا تُضَيِّعُ أَصُولُهُ، وَلَا تُضَيِّعُ فُرُوعُهُ، وَلَا يُضَيِّعُ عِلْمُهُ، وَلَا يُضَيِّعُ عِلْمَاؤُهُ، فَالْوَسْطِيَّةُ مِيزَةٌ وَخَصِيصَةٌ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

٣ - الدعوة:

وَمِنْ خَصَائِصِ الْأُمَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ: أَنَّهَا أُمَّةٌ دَعَاةٌ، أُمَّةٌ رِسَالَةٌ، أُمَّةٌ نَصِيحَةٌ، أُمَّةٌ الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، أُمَّةٌ التَّوَأَصِي بِالْحَقِّ وَالتَّوَأَصِي بِالصَّبْرِ، كُلُّ هَذِهِ تَعْبِيرَاتٌ إِسْلَامِيَّةٌ عَنْ وَظِيفَةِ الدَّعَاةِ.

النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ». قَالُوا: لِمَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «لِلَّهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَتِهِمْ»^(١).

وَالْقُرْآنُ يَقُولُ فِي سُورَةِ الْعَصْرِ: ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ١، ٢]. كُلُّ إِنْسَانٍ خَاسِرٌ وَضَائِعٌ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣]. هَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ لَا يَخْسِرُونَ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ، تَمَسَّكُوا بِالْإِيمَانِ، ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، لَيْسَ مَجْرَدُ إِيمَانٍ، بَلِ الْإِيمَانُ الْمُنْتَجِ، ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾.

وَلَيْسَ هَذَا فَقَطْ، بَلِ ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾، الْحَقُّ الَّذِي قَامَتْ بِهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، يُوصِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِهِ، فَلَيْسَ هُنَاكَ أَحَدٌ أَصْغَرُ مِنْ أَنْ يُوصَى، وَلَيْسَ هُنَاكَ أَحَدٌ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يُوصَى، كُلُّ وَاحِدٍ يُوصَى وَيُوصَى، وَالتَّوَأَصِي بِالْحَقِّ يَحْتَاجُ إِلَى صَبْرٍ، إِلَى اسْتِمْرَارٍ ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ﴾، لَا تَسْتَطِلُّ الطَّرِيقَ وَتَسْتَبْعِدُهُ، وَتَقُولُ: عَمِلْتُ مَا عَلَيَّ، وَلَا فَائِدَةَ، فَهَذَا مَا جَاءَ بِهِ الْإِسْلَامُ، دِينَ الدَّعَاةِ.

(١) رواه مسلم في الإيمان (٥٥)، وأحمد (١٦٩٤٠)، وأبو داود في الأدب (٤٩٤٤)، والنسائي في البيعة (٤١٩٧)، عن تميم الداري.

ويقول تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. وكلمة (مِنْ) في هذه الآية إما أنها للتبويض، أي: ليكن بعض منكم، أو أنها للتجريد، كما تقول: ليكن لي منك الأخ الوفي، أو ليكن لي منك الصديق الحميم. أي: كن أنت الصديق الحميم، أي: كونوا أمة تدعو إلى الخير، وتأمر بالمعروف، وهذا هو الأولى بالآية؛ لأنه قصر الفلاح على هؤلاء، ومعنى هذا أن غيرهم ليسوا مفلحين، وليس هذا هو المقصود، وإنما المقصود أن الأمة كلها تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وحتى لو قلنا: إن (مِنْ) للتبويض. فهذا يعني أن على الأمة أن تكون مجموعة متخصصة في الدعوة، وفي الأمر والنهي.

الدعوة إذن وظيفة الأمة، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة إسلامية، كثير من الناس لا يهتم بها، ويظن أنه ما دام يصلي ويصوم ويحج؛ فقد عمل ما يجب عليه!

وهذا غير صحيح؛ فكما أن عليك أن تصلح نفسك، عليك أيضاً أن تصلح غيرك، لا تترك الفساد يستشري في المجتمع، وأنت تتفرج ولا تعمل شيئاً، الذي أفسد المجتمعات الإسلامية، وجعل الجبابة يستمرئون الفساد والظلم، والبغي في الأرض، والاستكبار بغير الحق هو هذه الفكرة التي يقول صاحبها: عليّ أن أصلي، ولا شأن لي بهذا الفساد. لا، أنت عليك دعوة، ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥]، لا تترك الظالم، لا تظلم ولا تجعل غيرك يظلم، كن ضد الظالم، لا تقل: لا شأن لي به. ليس هذا في الإسلام أبداً.

ولذلك فالثورات التي قامت في بلادنا الإسلامية: في مصر، وفي تونس، وفي ليبيا، وفي اليمن، وفي سوريا هي كلها ثورات إسلامية، وكان يجب أن تقوم، والإسلام يفرض عليها أن تقوم لتؤدي دورها، وقد قامت والحمد لله، وأدت دورها، وانتصرت ثلاث منها، واثنان ستنتصران لا محالة، أوكد لكم أن الثورة ستنتصر في اليمن، وأن الثورة ستنتصر في سوريا، لا بد من هذا، سنة الله في خلقه، ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣]، وعد الله، ووعد الله لا يخلف أبداً، ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: ٩٨]، ﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٦]، فالأمة الإسلامية أمة دعوة، أمة أمر بالمعروف ونهي عن المنكر.

وليس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة لبعض الناس دون بعض، بل هي وظيفة عامة، فرض عين على الجميع، كل واحد يدعو على قدر ما يستطيع، العالم بقدر علمه، وكذلك متوسط العلم وقليله، كل إنسان يدعو بما لديه من علم: قل أو كثر، هذه وظيفة عامة للأمة الإسلامية.

وقد وصف الله تعالى المؤمنين فقال: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّاجِدُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١١٢]، وقال: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ٧١]. فالدعوة ليست وظيفة رجالية، بل هي وظيفة الرجال والنساء، هي وظيفة الأمة، والله تعالى يقول: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠]. قدّم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مع أن الإيمان بالله هو الأصل، ولكن

لأنَّ الأمة تتميز بأنَّها أُمَّة دعوة، أُمَّة آمرة بالمعروف، وناهية عن المنكر، فهذا من خصائص الأُمَّة الإسلاميَّة.

٤ - الوحدة:

ومن خصائص الأمة الإسلاميَّة أنَّها أمة واحدة، مهما اتَّسعت أطرافها في مشارق الأرض ومغاربها هي أُمَّة واحدة، سواء كنت في قطر، أو مصر، أو باكستان، أو المغرب، أو الصين، أو أمريكا، أو أوروبا، أو أستراليا، أو في أيِّ مكان في العالم، فأنت جزء من الأُمَّة الإسلاميَّة، ما دمت تشهد أن لا إله إلاَّ الله، وأنَّ مُحَمَّدًا رسول الله، هذه هي أُمَّتنا، أُمَّة واسعة.

وهي حقيقة وليست وهمًا، كلنا نحس بهذه الأُمَّة، ونحن في كل جمعة ندعو للمسلمين في أنحاء الأرض: أن ينصر الله ضعيفهم، وأن يأخذ عدوهم أخذًا أليماً شديداً، وأن يُهيئ الله للمسلمين من أمرهم رشداً، في كل جمعة ندعو للمسلمين: كل المسلمين، فالأُمَّة الإسلاميَّة حقيقة دينيَّة، وحقيقة تاريخيَّة، وحقيقة جغرافيَّة، وحقيقة اقتصاديَّة، وحقيقة سياسيَّة، هي أُمَّة كاملة المعاني تماماً، هذه هي أُمَّتنا.

نقول: آخر ما يُميِّز هذه الأمة أنَّها أُمَّة واحدة، والقرآن الكريم يقول: ﴿إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢]، ويقول: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ [المؤمنون: ٥٢]. كأنما يُشير إلى أنَّ العبادة والتقوى لا تتَّمان إلاَّ بالوحدة، أُمَّة واحدة، فلا يجوز أن تُجزَّأ، ولا يجوز أن تُقسَّم بحالٍ من الأحوال.

ومن هنا فالمسلمون الآن آثمون؛ لأنَّ أُمَّتهم مُمزَّقة، ينبغي أن يكون بينهم قدر من التكافل والتقارب والتوحد، ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً،

هذه الوحدة فريضة إسلامية، يجب أن يتوحد المسلمون في شكل من الأشكال، بحيث يكون بينهم أكثر ممّا بين (منظمة التعاون الإسلامي) التي كان اسمها قبل ذلك (مُنظمة المؤتمر الإسلامي)، فغيّروه إلى اسم أحسن قليلاً.

ولكن التعاون ينبغي أن يصبح اتّحاداً، يجب أن تترقى الأمة من التعاون إلى الاتّحاد بشكل من الأشكال، وليس هذا كثيراً، فالصين مليار وثلاثمائة ألف، وليس بعيداً ولا غريباً أن يصبح المسلمون دولة كبرى في شكل من الأشكال، أو دول بينها قدر من الاتحاد الفيدرالي أو الكونفدرالي.

والإسلام يحب أن يتّحد المسلمون، ولا يحب التفرّق فيما بينهم، والنبى يقول: «لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض»^(١). ويقول: «سباب المسلم فسوق، وقتاله كفر»^(٢). لا يجوز للمسلم أن يقاتل أخاه المسلم أو يسبه، بل يجب أن يتقرّب المسلم إلى أخيه المسلم، وأن يصفح المسلم أخاه المسلم، وأن يعفو المسلم عن أخيه المسلم، لا ينبغي أن يتقاتل الناس بعضهم مع بعض، خصوصاً أمة مُحمّد، أمة القرآن، أمة الإسلام.

هذه الأمة لا بدّ أن تتوحد، وأن تقف صفّاً واحداً، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُم بُنْيَنٌ مَّرْصُوفٌ﴾ [الصف: ٤].

إذا اعتدى عليهم معتدٍ يجب أن يقفوا صفّاً واحداً، كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً، كما علّم النبى ﷺ الأمة حين قال:

(١) متفق عليه: رواه البخاري في العلم (١٢١)، ومسلم في الإيمان (٦٥)، عن جرير.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري (٤٨)، ومسلم (٦٤)، كلاهما في الإيمان، عن ابن مسعود.

«المؤمن للمؤمن كالبنيان، يشد بعضه بعضاً». وشبَّك بين أصابعه^(١).
هكذا ينبغي أن تكون الأمة، «مثل المؤمنين في توادهم وتعارفهم
وتراحمهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر
الجسد بالسهر والحمى»^(٢).

هذه هي أمة الإسلام كما يجب أن تكون، ونحن علينا أن نسعى في
تقوية عضد أمة الإسلام، وشد أزر أمة الإسلام، ومواجهة الأعداء الذين
يريدون أن يفرقوا بين أبناء هذه الأمة بكل وسيلة.

هناك أعداء يقفون ضد وحدة هذه الأمة، لا يريدون أن تتوحد الأمة
أبدًا، يريدونها متفرقة دائمًا، ونحن نسعى إلى توحيد هذه الأمة.

وهي أمة الوحدة، وأمة التوحيد، يكفي أن تجمعها (لا إله إلا الله،
مُحمَّد رسول الله)، أن يجمعها القرآن، أن تجمعها سنة مُحمَّد ﷺ، أن
تجمعها شريعة الإسلام، أن تجمعها المقاصد الكلية للشريعة الإسلامية،
أن يجمعها علماء الأمة، نحن أمة واحدة فعليًا أن نتوحد، وأن يقف
بعضنا بجوار بعض، لا يعادي بعضنا بعضًا، ولا يقاتل بعضنا بعضًا؛
كيف يقاتل الأخ أخاه؟ مهما تعادت الأمة في وقت من الأوقات يجب
أن تصطلح، والقرآن يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾
[الأنفال: ١]، ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾
[الحجرات: ١٠].

(١) متفق عليه: رواه البخاري في الصلاة (٤٨١)، ومسلم في البر والصلة (٢٥٨٥)، عن أبي موسى
الأشعري.

(٢) متفق عليه: رواه البخاري في الأدب (٦٠١١)، ومسلم في البر والصلة والآداب (٢٥٨٦)، عن
النعمان بن بشير.



أَسْأَلُ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ يَهْدِيَ أُمَّتَنَا إِلَى صِلَاحِ أَمْرِهَا، وَالِاتِّحَادِ
فِيهَا بَيْنَهَا، حَتَّى تَقْوَى شَوْكَتُهَا، وَتَصْبَحَ أُمَّةً قَوِيَّةً، لَا يَسْتَطِيعُ أَعْدَاؤُهَا أَنْ
يُفَرِّقُوا بَيْنَهَا أَبَدًا؛ لِأَنَّهَا تَقُومُ عَلَى الْإِيمَانِ، وَتَقُومُ عَلَى الْعِلْمِ وَالنُّورِ
وَالْبَصِيرَةِ، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ
الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ
اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ فَاسْتَغْفِرُوهُ؛ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ.

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

ثورة تونس:

في ربيعنا العربي انتصرت ثورات ثلاث، انتصرت ثورة تونس بحمد الله وَجَّكَ، وأقامت دولتها الديمقراطية بمؤسَّساتها الثلاث: مؤسَّسة الرئاسة، ومؤسَّسة المجلس التشريعي، ومؤسَّسة مجلس الوزراء، وندعو الله لهم أن توفَّق هذه الدولة الجديدة في مهمتها؛ حتَّى يطعم الشعب من جوع، ويأمن من خوف، ويتحرر من كل سوء وشر، ندعو الله لهم بالتوفيق الدائم في مراحل حياتهم.

ثورة مصر:

وانتصرت كذلك ثورة مصر، وقامت فيها مرحلتان من الانتخابات التشريعية، ورأينا النَّاسَ يقبلون على الانتخابات بفرح، وشوق، وحب، وعزيمة ماضية، يرون أنَّ الانتخابات انتخاباتهم، لا انتخابات تُزوَّر عليهم، ولا يُغصبون عليها، ولا يُجبرون على انتخاب فلان أو علان، ولذلك انشرح صدري، وابتسم ثغري، واطمأنَّ قلبي وأنا أتابع هذه الانتخابات، وبقيت المرحلة الثالثة من الانتخابات ستأتي عن قريب، ثمَّ تأتي انتخابات مجلس الشورى، وانتخابات الرئاسة، وكلها تضمن لمصر كل الخير.

اطمئنوا على مصر أيُّها الإخوة، أنا لست خائفًا على مصر، مصر بخير، هناك بعض الأشياء تُحدث شوشرة وضجَّة على النَّاس، ولكن



البلد بخير، نحن مطمئنون إلى هذا الشعب، ولا بد أن يستقيم أمر هذا الشعب، بمسلميه ومسيحييه، وإسلامييه وليبرالييه، الكل سيقف في جبهة واحدة، أنا مطمئن إلى هذا، لن يستطيع المرجفون، والمندسّون أن يعوّقوا مسيرة الشعب، الشعب ماضٍ في طريقه، وهو مستمر إن شاء الله، ستمضي المسيرة إلى نهايتها بإذن الله، وننتظر كل خير لهذا الشعب.

ونطلب من المجلس العسكري أن يعود إلى ما كان عليه في أوّل الأمر، قد كان مجلسًا طيبًا وسمحًا مع الناس، وليس له ظاهر وباطن، ليس له وجه منظور ووجه خلفي، نريد الحياة الطيبة المتماسكة التي يتآزر فيها المسلمون: ظهرًا لظهر، وقلبًا لقلب، هذا ما نريده لمصر العزيزة.

ثورة ليبيا:

انتصرت كذلك ثورة ليبيا - البلد الثالث - بعد أن قدّم ما قدّم، وبعد أن فعلت كتائب القذافي ما فعلت، استحلّت دماء الناس، وأموالهم، وأرضهم، استحلّت كل شيء، ولكن الله تعالى نصر هذا الشعب الليبي، وهو شعب طيب، فيه مليون قارئ يحفظ القرآن الكريم، هذا الشعب الذي زرته وقابلته في بني غازي وفي طرابلس: شعب جدير أن ينتصر، ولذلك وقفنا معه من أوّل يوم، ونرجو أن يستمر في طريقه حتّى يُسَلِّم الأمر لأهله، يجب على الذين معهم الأسلحة أن يتركوها لأهلها، ويدخلوا في دائرة الشعب، لا يستمسك أحد بسلاحه، ليس من حقّ أحد أن يحمل سلاحًا ضد أحد، السلاح لوزارة الدفاع، ووزارة الداخلية، هذا ما نريده لليبيا.

ثورة اليمن:

وننتظر من اليمن أن يُسلّم لهؤلاء الشباب، مئات الآلاف والملايين في ثماني عشرة محافظة، يجب أن تُسلّم إليهم الأمانة، فهم أهل لها، وقد صبروا في هذه الأشهر الطويلة على الجوع، وصبروا فيها على البرد، وصبروا فيها على القتل، هذا شعب عظيم، له الحق في أن يقود نفسه، وأنا أنتظر عن قريب أن ينتصر هذا الشعب.

ثورة سوريا:

بقي الشعب السوري، وهذا الشعب هو أهلٌ لأن ينتصر، لقد بذل هذا الشعب من نفسه، من دمه، من قوته، من حياته، من حياة رجاله ونسائه، وشبابه وشيوخه وأطفاله، أكثر من ستة آلاف، غير عشرات الآلاف المطروحة في السجون والمعتقلات، إلى متى هذا؟! لما لا يُسلّم هذا الشعب أمر نفسه؟

نحن عندنا أمل كبير في بعثة الجامعة العربيّة في سوريا: أن تنظر في هذا الأمر بعين العدل والإنصاف، وما يلقاه هذا الشعب من شهور طويلة، أن لهذا الشعب أن ينتصر، وأن يستريح، وأن تُردّ الأمور إلى أهلها، لا بدّ للشعب أن ينتصر، ولا بد لبشار الأسد أن ينتهي أمره.

ليست البلاد الإسلاميّة في حاجة إلى أن تحكمها الأسر، انتهى عهد الأسر الحاكمة، انتهت أسرة زين العابدين، وانتهت أسرة مبارك، وانتهت أسرة القذافي، وانتهت أسرة عليّ عبد الله صالح، أو يجب أن تنتهي؛ فلم يعد لها مكان، يكفي أسرة بشار الأسد ما يقارب خمسين عامًا، بشار الأسد نفسه انتهى، كان مُقدّرًا له عشر سنوات، وانتهت السنوات العشر.

لا بد أن يُسلّم الأمر للشعب، لا بدّ أن يحكم الشعب السوري نفسه بنفسه، ليس من حقّ أحد أن يحكمه رغماً عنه، الشعوب هي التي تحكم نفسها بمن تختارهم، هي صاحبة الكلمة، هي صاحبة النفوذ، فأعطوا الشعب السوري حقّه.

ويا أيّها الإخوة الممثلون للجامعة العربيّة؛ كونوا أقوياء، وكونوا شجعاناً، وثبتوا ما ترونه، واحرصوا على أن تروا الحقيقة، وأن تلتقوا بأبناء الشعب وتسمعوا منه، إذا لم تلتقوا أنتم بأبناء الشعب فمن يلتقي به؟ أنتم أصحاب الحق، التقوا بأبناء الشعب واسمعوا منهم، والتقوا بهم في كل مكان؛ حتّى تعرف الأمة ماذا يجري في سوريا، وإن سوريا لأهل لأن تلحق بمصر، وتلحق بتونس، وتلحق بالبلاد الحرة، وإنّها لفاعلة إن شاء الله.

تفجير الكنائس في نيجيريا:

بقي أمر أحب أن أنبّه عليه: في نيجيريا، وهي بلد إفريقي غالبيّته مسلمة، في هذا البلد سمعنا أن بعض المسلمين يسمونهم جماعة (بوكو حرام) نسفوا فيه بعض الكنائس.

ونحن لا نقبل هذا أبداً، لا نقبل أن تنسف كنيسة في بلد إسلامي، الإسلام يحافظ على الكنائس ويحرسها، هو الذي يحميها، لا يجوز أن يُعتدى على كنيسة، الكنائس في حماية المسلمين، في حماية المجتمع المسلم، مَنْ يفعل هذا في كنيسة يخرج على تعاليم الإسلام، ولا يمثل إلّا نفسه، ولا يمثل الأمة الإسلاميّة، الأمة الإسلاميّة ترفض هذا وتنكره.

وقد عاشت الكنائس في ديار الإسلام قروناً طويلة يعبد النصارى ربهم فيها على طريقتهم، لا يتدخل المسلمون في شأنهم، لهم ما لنا،

وعليهم ما علينا، هذا ما اقتضاه العهد الذي بيننا وبينهم، عهد الذمة، ونحن الآن لا نقول: عهد الذمة. لأنهم أصبحوا يخافون من هذه الكلمة، ولا يحبونها، مع أن الذمة تعني العهد، عهد الله، وعهد رسوله، وعهد جماعة المسلمين، فلا داعي لهذا الاسم.

رأى سيدنا عمر بعض النصارى يكرهون كلمة الجزية، فقال: لا داعي لتسميتها بذلك، هؤلاء الجماعة حمقى، رضوا بالمعنى، وأبوا الاسم^(١).

فإن كانوا لا يحبون كلمة الذمة فلا ضرورة منها، هم أهل دار الإسلام، فالفقهاء - بكل مذاهبهم ومدارسهم - مجمعون على أن أهل الذمة أهل دار الإسلام، ومعنى هذا أنهم مواطنون، من أهل الوطن، لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، إلا ما اقتضاه التميز والاختلاف في الدين، لكل دين فرائضه ومحرماته، يُحلل ما أحله دينه، ويحرم ما حرمه دينه، ويعمل بما يوجبه دينه، هذا هو الإسلام العظيم.

نسأل الله تعالى أن يلهم المسلمين رشدهم، وأن يفتح لهم فتحاً مبيناً، وأن يهديهم صراطاً مستقيماً، وأن ينصرهم نصراً عزيزاً، وأن يتم عليهم نعمته، وينزل في قلوبهم سكينة، وينشر عليهم فضله ورحمته؛ إنه سميع قريب.

(١) انظر: المغني لابن قدامة (٢٠٧/١٣)، ونصب الراية (٣٦٣/٢)، تحقيق محمد عوامة، نشر مؤسسة الريان، بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، والخراج لأبي يوسف ص ٢٠، والأموال لابن زنجويه (١٣١/١)، تحقيق شاكر ذيب فياض، نشر مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، ط ١، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.



تأملات قرآنية في صلاة الجمعة^(١)

الخطبة الأولى

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ * فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ٩، ١٠]. إلى الآية الأخيرة من سورة الجمعة.

أنزل الله آية في سورة الجمعة وفي صلاة الجمعة، نادى الله فيها عباده بهذا النداء الإلهي الذي تكرر في القرآن أكثر من تسعين مرة: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ نداء جديد في الجزيرة العربية، بل هو نداء جديد في العالم كله، كان العالم يتنادون بالقوميات والجنسيات والبلديات، يا أهل كذا، ويا قبيلة كذا، ويا بلد كذا، أمّا هذا النداء فهو نداء جديد، لا ينتسب إلى بلد ولا إلى شعب، ولكن ينتسب إلى الإيمان.

(١) أُلقيت في المسجد العمري بغزة، في فلسطين المحتلة، بتاريخ ١٠ مايو ٢٠١٣ م.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، هذا نداء جديد جاء به القرآن وحده، وكثره عشرات المرات، جاء في القرآن المدني، لم يجىء في القرآن المكي، لأنه يخاطب المجتمع، فلم يكن للمسلمين قبل العهد المدني مجتمع، كانوا أفراداً مؤمنين، ولكن قام المجتمع حينما هاجر الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة، وفي المدينة نزلت هذه الآيات: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

وبماذا آمنوا؟ آمنوا بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً ورسولاً، وبالقرآن إماماً ومنهاجاً، أصبح هؤلاء ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ مصطلحاً جديداً، إذا قيل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾. عُرِفَ مَنْ هُم الَّذِينَ آمَنُوا، ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [الحج: ٣٨]، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، المؤمنون هم الذين آمنوا، ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ [غافر: ٣٥]، الذين آمنوا هم أصحاب الرؤية المعبرة، ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسِيرَیَ اللَّهِ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥]، رؤية المؤمنين بجوار رؤية الله ورسوله، ولذلك أخذوا من هذا الإجماع، إجماع الأمة المؤمنة له قيمة، إذا أجمع المؤمنون على شيء فله اعتباره.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، هذا نداء جديد، ظلَّ القرآن عشر سنوات يردده في كل مناسبة، إذا حدث للمسلمين نصر يُهتَّهَم بالنصر، وإذا حدث لهم انكسار يعزيهم بالانكسار، ويبيِّن لهم: لماذا انكسروا؟ انكسروا في غزوة أحد فلا بدَّ أن يعرفهم الله ﷻ: لماذا انكسروا؟ يقول: انكسرتم لأنكم غلبتم أنفسكم على دينكم، لم تطيعوا أمر الرسول لكم، وذهبتكم إلى الغنائم، وهكذا.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، بهذا النداء نادى الله أمّة الإسلام كلها لتقيم صلاة الجمعة، وهذه الصلاة تميّز بها المسلمون، ما عُرِف في دين من

الأديان، ولا الأديان السماوية نفسها هذا العيد الأسبوعي، أن يجتمع المسلمون في مساجدهم لأداء هذه الصلاة.

الأصل في صلاة الجمعة:

والأصل في صلاة الجمعة أن تؤدى في أكبر مسجد في البلد، كان الصحابة كلهم يؤدون صلاة الجمعة في جامع الرسول في المدينة، كل أهل المدينة يجتمعون في الجامع النبوي، وكل أهل مكة يجتمعون في الجامع الحرام، وهكذا كان أهل مصر القديمة يجتمعون في جامع عمرو بن العاص، ولما بنى أحمد بن طولون جامع كان المسلمون يجتمعون فيه، وحينما جاء المعز لدين الله وبنى القاهرة كانوا يجتمعون في الجامع الأزهر، فالأصل أن يجتمع المسلمون في صلاة الجمعة.

وليس الأصل كما نرى المسلمين الآن يقيمون مسجداً في ظل عمارة أو بناية ويصلّون فيه الجماعة، ليس هذا هو الأصل، الأصل أن تُصلي جماعات كبيرة، الإسلام يُجمّع الأمة، لا يفرّق الأمة أبداً، فتجتمع الأمة في هذه الصلاة.

أول ما نزل في صلاة الجمعة هذه الآيات: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾. وهذا يُشعرنا أن هناك نداءً لهذه الصلاة ينادي المؤمنين، أهل الإيمان هم الذين يُدعون، أمّا الذين لا إيمان لهم فلا يُدعون، هم خارج الإطار، الذين يُدعون ليأتوا إلى المسجد هم أهل الإيمان، يدعون الدنيا إلى الآخرة، يتركون أمر الحياة الدنيا ليؤدوا هذه الفريضة.

ومعنى هذا أن المؤمنين يشتغلون بالدنيا، فالإسلام لم يجرى لنغادر الحياة الدنيا ونقطع حبالنا معها بالكلية، لا، بل الإسلام دنيا وآخرة، هذا

هو الأصل في الإسلام، وقد ذكر القرآن من دعاء المؤمنين أنهم يقولون: ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١]. فالمسلم لا يطلب الدُّنْيَا وحدها، ولا الآخرة وحدها، وإنما يطلب الدارين معًا.

ولهذا علّمنا الرسول ﷺ أن نقول: «اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر»^(١). فالمسلم يطلب الدارين معًا.

ولذلك حينما يستجيب الله لهؤلاء المؤمنين الذين يطلبون الحسنتين، ويجمعون بين الدارين يجمع الله لهم ما أرادوا ويقول: ﴿فَأَنذَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٨]. يؤتيهم الله ما طلبوا، يؤتيهم الدنيا، ويؤتيهم الآخرة.

وهكذا كان الصحابة رضوان الله عليهم يطلبون الدُّنْيَا والآخرة، وكان من قولهم: اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واعمل لآخرتك كأنك تموت غدًا^(٢). فكانوا يعملون لدينهم، ويعملون لدنياهم، ليس هناك أحد منهم يعيش للدين فقط، لا، فليس هناك دين بلا دنيا، الدين يحتاج إلى دنيا تقويه.

ترك الدنيا للكفار:

ولذلك أخطأ كثير من المسلمين حينما أعرضوا عن الدُّنْيَا وتركوها للكفار، ملكها الكفار وطرّدوا منها المسلمين، وما هذا شأن المسلمين، شأن المسلمين أن يقيموا حضارة تجمع بين العلم والإيمان، وبين العدل

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٦٨)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه الحارث في مسنده (١٠٩٣) البغية، موقوفًا على عبد الله بن عمرو.

والإحسان، بين الدين والدنيا، هذه هي حضارة المسلمين، حضارة ربّانيّة، حضارة إنسانيّة، حضارة عالميّة، حضارة أخلاقيّة، حضارة وسطية تجمع بين الأمور التي يظنها الناس لا تلتقي أبدًا، ولكنها تلتقي في الإسلام، فالإسلام يجمع بين المثاليّة والواقعيّة، وبين الربّانيّة والإنسانيّة، بين الروحيّة والماديّة، بين الدينيّة والديويّة، بين الفرديّة والجماعيّة، بين كل الأشياء التي يظنها الناس تتنافى بعضها مع بعض، ولكن الإسلام يجمع بين هذه الأشياء، كما جمعها النبي ﷺ، وكما جمعها أصحابه رضوان الله عليهم، وكما جمعها المسلمون في العصور الأولى، جمعوا بين الدُّنيا والآخرة.

كان المسلمون هم الأمّة الأولى، الأمّة الأولى في العلم، في الطب، في الصيدلة، في الفيزياء، في الكيمياء، في الفلك، في علوم البحار، كانوا هم سادة العالم، أخذوا من اليونان ومن الهند ومن الروم ومن الفرس، ومن كل البلاد، لكنهم علّموا الأمم، بعدما أخذوا ما أخذوا وهذبوه وأضافوا إليه علّموه غيرهم، اخترع المسلمون علم الجبر.

تعرفون لماذا اخترعوا علم الجبر؟ ليحلوا مشاكل في الفقه، فمحمد بن موسى الخوارزمي كان فقيهاً وكان رياضياً، وهو الذي اخترع علم الجبر، وألّف كتاباً نصفه فقه، ونصفه جبر، والذين أخرجوا كتابه من المصريين العلميين لم يعلقوا على النصف الخاص بالفقه بكلمة واحدة لأنّهم لا يعرفون في الفقه شيئاً، أمّا النصف الآخر الخاص بالجبر فقد ملؤوه تعليقات لأنّهم أهل علم، فلم يكن عندنا فصل بين الفقه والعلم.

نحن أضفنا إلى الحضارة الإنسانيّة علومًا جديدة، أنّ الدين عندنا لا يتعارض مع الفكر، أنّ العقل والدين شيء واحد، كلاهما هبة من الله،

وهبات الله لا تتعارض، العلم لا ينافي الدين، والدين لا ينافي العلم، العلم عندنا دين، والدين عندنا علم، هذا ما جاء به الإسلام.

ولذلك نادى الله أمة الإسلام: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة: ٩] اتركوا الدنيا، وأقبلوا على الآخرة، اتركوا أمر المادّة وعودوا إلى الروح وإلى الحياة الحقيقيّة، حياة القلوب، حياة الإيمان، ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾، وذروا الشراء، فمن يبيع يشتري بالطبع، البيع والشراء من أمور الدنيا، ولكن البيع أهم من الشراء، لأنّك في الشراء تدفع، وفي البيع تقبض، والإنسان أحب إليه أن يقبض من أن يدفع، ولذلك قال: ﴿وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾. اتركوا كل ما تكسبون فيه الدنيا، وأقبلوا على الله.

هذا ما أمر به الإسلام، أن نقيم هذا اليوم من أيّام الأسبوع، تجتمع فيه الأمة، تسعى إلى ذكر الله، تستمع إلى ذكر الله، إلى هذه الخطبة الأسبوعيّة، النَّاس يذكّرون فيها بالله، وبأوامر الله وبنواهي الله، بالإسلام العظيم، هكذا يتعلّم المسلمون كل أسبوع.

في أوائل القرن الماضي جاءت إلى مصر حملة تبشيريّة تدعو النَّاس إلى الدخول في النصرانيّة، وترك دين الإسلام، وذهبوا إلى القرى المصريّة يحدثون الناس، والناس صامتون فيظنون أنّ النَّاس اقتنعوا بالدين المسيحي وسيتركون الإسلام، حتّى إذا انتهى المتحدثون مرّ على الجالسين أحد النَّاس فوجدهم صامتين فقال: وحّدوا الله. فيقولون جميعاً: لا إله إلا الله. فيقول: صلوا على النبي. فيقولون جميعاً: ﷺ. وهذا يعني أنّ ما قاله المبشّرون ذهب هباءً، فالأمة متمسكة بدينها.



الدعائم الأربعة للإسلام:

لم يستطع هؤلاء المبشرون الذين جابوا مصر قراها ومدنها في الوجه البحري والصعيد أن يُنصّروا رجلاً واحداً، رغم أن الأمة كانت متخلفة علمياً، ولكنها كانت متمسكة بدينها.

وكان ممّا قاله رئيس هذه البعثة التبشيرية في تقريره: سيظل الإسلام صخرة عاتية تتحطم عليها سفن التبشير المسيحي، ما دام للإسلام هذه الدعائم الأربع: القرآن، والأزهر، واجتماع الجمعة الأسبوعي، ومؤتمر الحج السنوي.

الدعامة الأولى: القرآن، ما دام القرآن يُقرأ ويُسمع في بيوت الناس لا يمكن أن يسيطر هؤلاء على المسلمين، بل أقول والحمد لله: اتّسعت مناطق القرآن، أصبح حفاظ القرآن بالملايين، كنت في ليبيا فقالوا: نحن الآن سجّلنا المليون الأول من حفظة القرآن وبدأنا في المليون الثاني. قلت: أنتم تبالغون. قالوا: لا، نحن نتكلم عن ملفات، عندنا لكل حافظ للقرآن ملف: ما اسمه؟ وما أبوه؟ وأين يسكن؟ وما صفته؟ وله مكافأة سنوية من عندنا، انتهينا من المليون الأول وبدأنا في المليون الثاني.

هذا في ليبيا وهي بضعة ملايين، فكم يكون في مصر وهي تسعون مليوناً؟ وكم يكون في باكستان؟ عشرات الملايين من المسلمين في العالم يحفظون هذا القرآن، فثقوا أن الإسلام بخير.

والدعامة الثانية: علماء الأزهر، ما دام الأزهر في مصر يُخرّج العلماء يُعلّمون الناس، ويفتونهم في دينهم، ويجيبون عن تساؤلهم فلا يستطيع هؤلاء أن يسيطروا على المسلمين.

والدعامة الثالثة: اجتماع الجمعة الأسبوعي، ما دام المسلمون يجتمعون كل أسبوع يوم الجمعة، فرض على كل مسلم أن يذهب إلى المسجد، ويستمع إلى الإمام، ويجتمع مع إخوانه، أمة متفتحة، تفتح آذانها وعقولها وقلوبها لتستمع إلى القرآن الكريم، إلى السنة النبوية، إلى الخطيب، إلى الواعظ، ما دام هذا الأمر مفروضاً على كل مسلم، وما دام المسلمون يستجيبون لا يستطيع هؤلاء أن يسيطروا على المسلمين.

الدعامة الرابعة: مؤتمر الحج السنوي، ما دام المسلمون يأتون من كل فج إلى هذا المؤتمر يلتقون مع إخوانهم من المشارق والمغارب، من العرب والعجم، من كل بلاد العالم فهذا يُعطي المسلمين قوة، يعود المسلمون وهم أكثر تماسكاً، وأكثر إحساساً بأنهم أمة واحدة في العالم كله.

هذا ما يدعو إليه الإسلام أيها الإخوة، اجتماع الجمعة الأسبوعي، ﴿إِذَا تَوَدَّى لِّلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الجمعة: ٩]، خير لكم في الدنيا والآخرة، خير لكم أفراداً، وخير لكم مجتمعين.

﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، لا يريد الإسلام أن تقبعوا في المسجد، لا، لقد جئتم للاجتماع في هذا الوقت من يوم الجمعة، وتستمعوا موعظة الجمعة، وتصلوا صلاة الجمعة وما لها من سنن رواتب قبلية وبعديّة، ثم تنصرفوا بعد ذلك.

﴿فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾، في كل الأرض، الأرض هي مأواكم جميعاً، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [الملك: ١٥]، هيأ الله الأرض لتكون مائدة للجميع، ليست لفئة من الناس دون فئة، ولا لجنس من الناس دون جنس، لا للبيض دون السود، ولا للأغنياء دون

الفقراء، ولا للأقوياء دون الضعفاء، هي للكل، الأرض مطروحة للجميع، ذلّلها الله لكلّ الناس، لم يجعلها كلها حديدًا ولا ذهبًا، لو كانت كلها ذهبًا هل سنأكله؟ ما قيمة أن تكون الأرض كلها ذهبًا أو جواهر ماسية؟

هَيَّا اللَّهُ الْأَرْضَ لِنَحْرِثْهَا وَنَبْذِرَ فِيهَا الْبُذُورَ، وَنَأْكُلَ مِنْهَا الثَّمَارَ، ﴿وَأَيُّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ * لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ [يس: ٣٣ - ٣٥]، هَيَّا اللَّهُ لَنَا أَنْ نَزْرَعَ الْأَرْضَ وَنَأْكُلَ مِنْ ثَمَارِهَا، وَنَشْرَبَ مِنْ عَيُونِهَا وَآبَارِهَا وَأَمْطَارِهَا وَأَنْهَارِهَا، هَذِهِ سَنَنْ اللَّهُ ﷻ مُيَسَّرَةً لَّنَا.

خلق الكون لخدمة الإنسان:

كل الكون خلقه الله لخدمتنا، لا يحتاج الله تعالى إلى شيء من هذا الكون، هو خالق الكون، وهو غني عن كل ما فيه، ﴿يَتَأَيَّأُ النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ * إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر: ١٥ - ١٧]، إِنَّمَا خَلَقَ هَذَا الْكَوْنُ لِيَكُونَ فِي مَنَفْعَتِنَا، فِي خِدْمَتِنَا، الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ وَالْكَوَاكِبُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالْمَاءُ وَالْهَوَاءُ، كُلُّ مَا فِي هَذَا الْكَوْنِ هَيَّاَهُ اللَّهُ لخدمتنا، تأمل كلمة ﴿لَكُمْ﴾ في هذه الآيات: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَءَاتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٢ - ٣٤]. خلق الله لنا كل ما في هذا الكون ليكون في خدمتنا، النجوم تهدينا، والمياه تسقينا، والشمس

تضيء لنا وتعطينا الدفء، والهواء نتنفسه، كل هذا الكون في خدمتنا؛ فعلياً أن نشكر نعمة الله تعالى علينا.

لهذا كان علينا بعد أن نوّدي الصلاة أن نتشر في الأرض، ونبغي من فضله، ﴿فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾، الابتغاء من فضل الله كلمة قرآنية، اطلبوا الرزق، اطلبوا التجارة والصناعة والزراعة، كل عمل تطلب منه رزقك اسمه ابتغاء من فضل الله، ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهِجْرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الحشر: ٨].

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، لا تنسوا ذكر الله تعالى أبداً، مطلوب منا دائماً أن نذكر الله، وليس ذكر الله بمجرد الكلام، وإنما تذكروا الله بقلوبكم وعقولكم، ويظهر هذا على لسانكم حمداً لله، وتسبيحاً لله، وتهليلاً لله، وتكبيراً لله، أنتم مع الله ﷻ، وهو معكم، لن ينساكم، فلا تنسوه أبداً.

﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، تفلحون في الدنيا، وتفلحون في الآخرة، أراد الله لنا الفلاح في الدارين، لم يرد لنا أن نفلح في الآخرة ونخيب في الدنيا، لا ينبغي أن يكون المسلمون خائبين في الدنيا ولا في الآخرة، المسلمون يفلحون في الدارين، ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، لا بد أن نفلح في دنيانا وآخرتنا، هذا ما يجب أن يكون عليه المؤمن.

أمّا أن يقول: لا أريد الدنيا، أريد الآخرة فقط. لا، نريد أن تكون مفلحاً في دنياك وفي آخرتك، هكذا كان الأنبياء، وهكذا كان الصحابة، وهكذا كان الصادقون.

هذا ما طلبه القرآن منا لنقيم هذه الصلاة الأسبوعية العظيمة التي فرضها الله على أمة الإسلام، فرض الله علينا صلاة الجمعة لنجتمع في كل أسبوع مرة، يلتقي الأخ بأخيه فيضع يده في يده مصافحاً، وينظر إليه مبتسماً، وقلبه مع قلبه صافياً، أمة واحدة تركع ظهورها كلها لله، وتسجد جباهها كلها لله، تنحني كلها لله، فهي أمة ربّانية.

وهي أمة إنسانية تنتمي لآدم، «كُلُّكُمْ لآدم، وآدم من تراب»^(١)، هكذا قال النبي ﷺ في حجة الوداع لأُمّته، الأُمّة كلها أبناء آدم وحواء، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]. هذه هي الأُمّة الإسلامية.

أسأل الله تبارك وتعالى أن يجمع كلمة أمتنا على الهدى، وقلوبها على التقى، ونفوسها على المحبة، وعزائمها على عمل الخير وخير العمل، وأن يعينها على أن تقوم بما يجب عليها لتحرير فلسطين، وتحرير سوريا، وتحرير كل البلاد الإسلامية من كل ظلم غاشم، ومن كل استعمار ظالم، حتّى تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة أعداء الإسلام هي السفلى، اللهم آمين.

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه؛ إنّهُ هو الغفور الرحيم، وادعوه يستجب لكم.

(١) رواه أحمد (٨٧٣٦)، وقال مخرّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في الأدب (٥١١٦)، والترمذي في المناقب (٣٩٥٥)، وقال: حديث حسن. وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٨٧)، عن أبي هريرة.

الخطبة الثانية

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْمُسْلِمُونَ:

زيارة غزة أمنية تحققت:

كانت أمنية من أمنياتي أن أزور غزة التي زرتها منذ سنة ١٩٥٧م وسنة ١٩٥٨م من القرن العشرين الماضي، من سنين طويلة وأنا أتمنى ذلك، ومن سنين طويلة يدعوني إخواني في غزة إلى أن أزور غزة، حتّى هبّا الله لي هذه الفرصة فنعمت بزيارة غزة، وشممت ترابها وريحها، وشممت أزهارها وريحانها، ورأيت أرضها وسماها، ورأيت رجالها ونساءها، ورأيت شيوخها وأطفالها، ورأيت كل من فيها؛ فأحمد الله تبارك وتعالى أن هبّا لي هذه الزيارة.

هذه الزيارة زادتني إيماناً بأنّ هذه الأمة إلى خير، وأنّ هذه الأمة لن تموت أبداً، أمة الإسلام أمة حية لا يمكن أن تموت، هي الأمة الأخيرة، ليس هناك أمة بعد أمة مُحَمَّد، كان هناك أمة موسى، وأمة عيسى، وغيرها، انتهت هذه الأمم، الأمة الباقية هي أمة مُحَمَّد، كما قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١]. هذه الأمة أمة محمد.

وحينما ذكر الله تعالى الأنبياء والمرسلين قال لرسوله: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٨٩، ٩٠]. وكلّ الله قوماً برسالات الأنبياء جميعاً؛ مَنْ هم الموكّلون؟ أنتم يا أبناء غزة، ويا أبناء الإسلام في كل مكان، هؤلاء هم وكلاء الله تعالى في الأرض.

رأيت هؤلاء الوكلاء فابتسم ثغري، واطمأن قلبي، وانشرح صدري،
أن الأمة لا تزال بخير، كل الأمة، رجالها ونساؤها، وشيوخها وشبابها
ويافعوها، وصبيانها وأطفالها، كلهم إلى خير.

غزة على قلب رجل واحد:

رأيت الأمة الإسلامية في غزة على قلب رجل واحد والحمد لله، لم
أر شقاقاً بين الذين يعملون للجهاد في هذا البلد الكريم، كلهم يحملون
السلاح، مَنْ لم يحمله في يده يحمله في قلبه مستعداً به إذا نودي في أيّ
يوم، كل أبناء هذا البلد مستعد للجهاد، كبارهم وصغارهم.

هذا البلد الذي قدّم شهداءه راضياً؛ أحمد ياسين وعبد العزيز
الرنيتسي ومن معهم وكل من قبلهم ومن بعدهم من الإخوة الأحبة، قدّم
هؤلاء راضياً، ومستعد أن يُقدّم مثلهم وأكثر منهم إذا اقتضى الأمر، أمة
لا تبخل برجالها، ولا بشبابها، ولا بأنفسها من أجل حقها.

هذه هي غزة الحبيبة التي استقبلتنا بعيونها بقلوبها بأرواحها، هكذا
رأيت والله أبناء هذا البلد يستقبلوننا، كلهم ينظرون إلينا بعيون ملؤها
الحب، وبألسنة ملؤها الدعاء، وبقلوب فرحة بلقاء الإخوة الذين جاؤوا
من علماء الأمة من كل بلد، من آسيا وأفريقيا وأوروبا وأمريكا وأستراليا،
جاؤوا إلى هذا البلد، واستقبلهم أبناؤه بهذه الروح.

لقد لقيت أبناء غزّة، وسررت بأبناء غزّة، وسررت بما عند أبناء غزّة
من عزمٍ فتّيٍّ، ومن روح أبيٍّ، ومن جسم فتّيٍّ، ومن أنف حميٍّ، كل
ما يحتاج إليه الرجال للجهاد في سبيل الله رأيت في أبناء غزّة؛ فحمدت
الله تعالى أن أراني هذه الوجوه المؤمنة التي صبرت وصابرت ورابطت،

وقدّمت ما قدّمت، وانتصرت على سلاح إسرائيل، ومن وراء إسرائيل، وخرجت من معركتها بحمد الله تعالى وهي صامدة منتصرة، ولا تزال مُصرّة على المسيرة حتّى يأتي أمر الله وينتصر الحق على الباطل، وينتصر العدل على الظلم.

أنا أحيي أبناء غزة، وأدعو الله لهم أن يزيدهم قوّة على قوة، وصبراً على صبر، وأن يتمّ عليهم النصر حتّى يستعيدوا أرضهم كل أرضهم، ستعود كل فلسطين إلى أهلها، وسيأخذ كل واحد حقّه، لن يضيع الحق أبداً، يمكن أن يضيع فترة من الزمن، سنين تقصر أو تطول، نسأل الله أن يقصّرها، ولكننا سننتصر في النهاية.

أنا أنصح أبناء غزة أن يصبروا على ما هم عليه، وأن يستمروا في خطهم، يستمروا في بناء بلدهم، ويستمروا في المقاومة، نحن أبناء مقاومة، لن نتخلى عن المقاومة أبداً، فالذين يريدون أن نتخلى عن المقاومة يريدون أن نُسلم أنفسنا لأعدائنا، ونحن لن نُسلم، سنظل نحفظ بسلاحنا، بكل ما نقدر عليه من قوة، والحمد لله أصبح الإخوة يصنعون الأسلحة، صحيح ليست كأسلحة إسرائيل النوويّة، ولكنّها أقوى منها إن شاء الله، الله تعالى ينفخ في هذه الأسلحة فتقوى على أسلحة إسرائيل وتنتصر عليها.

ظلوا أيّها الإخوة مستمسكين بأسلحتكم، واعملوا على أن تتحدوا بعضكم مع بعض، على كل المؤمنين أن يجتمع بعضهم مع بعض، على كل الأقوياء أن تكون قوّتهم للجميع، واعملوا على أن تكون كل فلسطين بلداً واحداً وشعباً واحداً، هذا ما يسعى إليه الإخوة أبو العبد وأبو الوليد وأبو عبد الله وكل الإخوة الذين أعرفهم يسعون إلى المصالحة، لا ينبغي

أن يكون هذا الشعب شعبين، وأن يكون البلد الواحد بلدين، ولماذا لا نجتمع؟ إذا كان هدفنا واحدًا، وعدونا واحدًا، وعملنا واحدًا فلماذا يتفرّق بعضنا عن بعض؟

الله تعالى يقول: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَنَفْسُلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]. لا تتفرّقوا ولا تختلفوا، النبي ﷺ يقول: «لا تختلفوا؛ فإنّ من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»^(١). لا نريد أن نهلك كما هلكت الأمم.

نريد أن نجتمع، ونريد أن نزيل كل العقبات، ونعمل ما نستطيع، وإذا صدقت النيات فإنّ الله تبارك وتعالى سيصلح الأعمال، وأنا واثق أنّ الله تعالى سينصرنا لأننا أصحاب الحقّ، وأصحاب الحق لا بدّ أن ينتصروا على الباطل، نحن ننادي بالعدل، ولا بدّ للعدل أن ينتصر على الظلم، نحن ضد الطغاة، ولا بدّ للشعوب أن تنتصر على الطغاة، سينتصر الشعب الفلسطيني على الطغاة المعتدين في فلسطين.

سينتصر الشعب السوري:

وسينتصر الشعب السوري على الطغاة الظالمين في سوريا الذين ركبوا رؤوسهم واستكبروا على هذا الشعب، سيأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر، هؤلاء المستكبرون في الأرض، بشار الأسد وأتباعه وكل من يؤيّد بالمال أو بالسلاح أو بالرجال من أيّ بلد سيأخذهم الله، أنا واثق أنّ الله سينصر الشعب السوري، هذا الشعب المظلوم سيؤيّد الله تعالى

(١) رواه البخاري في الخصومات (٢٤١٠)، عن ابن مسعود.

بروح من عنده، وسيؤيد الشعب الفلسطيني أيضاً، كل الشعوب المقهورة سينصرها الله تعالى على عدوها.

أنصحكم أيُّها الإخوة أن تكونوا هكذا دائماً: واثقين بنصر الله عزَّ وجلَّ، ولن يخذلكم الله تعالى أبداً، هو معكم ولن يترككم أعمالكم، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]، الَّذِينَ اتَّقَوْا اللَّهَ، وَالَّذِينَ أَحْسَنُوا إِلَى الْخَلْقِ، هُوَ مَعَ هَؤُلَاءِ وَمَعَ هَؤُلَاءِ، سَيَنْصُرُكُمْ اللَّهُ تَعَالَى، وَسَيَنْصُرُ إِخْوَانَكُمْ فِي مِصْرَ، وَإِخْوَانَكُمْ فِي سُورِيَا، وَإِخْوَانَكُمْ فِي تُونِسَ، وَإِخْوَانَكُمْ فِي لِيْبِيَا، وَإِخْوَانَكُمْ فِي الْمَغْرِبِ، وَإِخْوَانَكُمْ فِي الْيَمَنِ، وَإِخْوَانَكُمْ فِي الصُّومَالِ، وَإِخْوَانَكُمْ فِي بَاكِسْتَانِ، وَإِخْوَانَكُمْ فِي بَنْجَلَا دِيشَ، وَإِخْوَانَكُمْ فِي «مِيَانْمَار»، وَإِخْوَانَكُمْ الْمَجَاهِدِينَ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ فِي كُلِّ مَكَانٍ، سَيَنْصُرُهُمُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ، وَهُوَ أَهْلٌ لِلنَّصْرِ، مَنْ نَصَرَهُ اللَّهُ فَلَنْ يُغْلَبَ، وَمَنْ خَذَلَهُ اللَّهُ فَلَنْ يَنْتَصِرَ أَبَدًا، ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

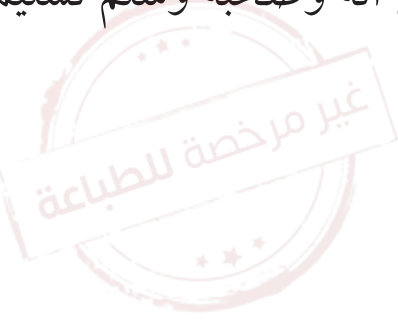
اللهم اجمع كلمتنا على الهدى، وقلوبنا على التقى، ونفوسنا على المحبة، وعزائمتنا على عمل الخير وخير العمل، اللهم خذ بأيدي إخواننا في غزة، اللهم انصرهم على أعدائهم.

اللهم اخذل أعداءهم الظالمين، المتجبرين في الأرض، المستكبرين على الله وعلى خلقه، اللهم خذهم أخذ عزيز مقتدر، اللهم أنزل عليهم بأسك الذي لا يرد عن القوم المجرمين، اللهم انصر إخواننا المجاهدين في سبيلك في فلسطين وفي سوريا وفي كل مكان على أعدائهم، اللهم رد كيد أعدائهم في نحورهم، وأعد سهامهم المسمومة إلى صدورهم.



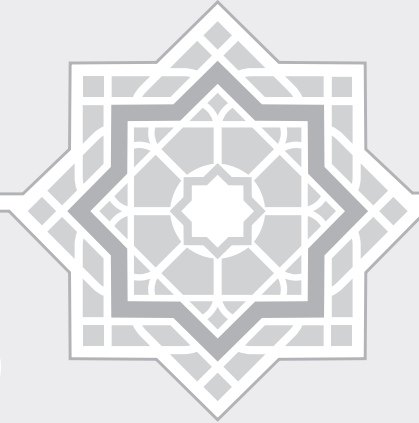
اللهم أيد كل مَنْ أيد المجاهدين في سبيلك، في قطر، وفي مصر،
وفي السعودية، وفي كل بلد من بلاد العرب والإسلام، أيد كل مَنْ أيدهم
بروح من عندك، وبجند من جندك، واحرسهم بعينك التي لا تنام،
واكلأهم في كنفك الذي لا يُضام.

ربنا عليك توكلنا، وإليك أنبنا، وإليك المصير، ربنا لا تجعلنا فتنة
للذين كفروا، واغفر لنا ربنا إِنَّكَ أَنْتَ العزيز الحكيم، ربنا اغفر لنا
ذنوبنا، وإسرافنا في أمرنا، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين،
وصل اللهم على عبدك ورسولك مُحَمَّد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا
كثيرًا، اللهم آمين.





مَوْسُوعَةُ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الْإِمَامِ
يُوسُفَ الْقَرَضَاوِيِّ



الفهارس العامة



- فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
- فهرس الموضوعات.







فهرس الآيات القرآنية الكريمة



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفاتحة		
﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾	١	٢٨٣ ، ٧٤ ، ٧٣
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	٢	٢٧٤ ، ١٣٦ ، ٧٤ ٢٨٣
﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾	٣	٧٤
﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾	٥	٦٧ ، ١٥
﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾	٦	٢٩٧ ، ٢٩٦
﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾	٧	٢٩٧ ، ٢٩٦
سورة البقرة		
﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾	٣	٩٧ ، ٨٢
﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾	٤	٩٧
﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾	٣٠	٢٧٩ ، ٨٨
﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ * ﴿قَالُوا سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا﴾	٣١ - ٣٣	٣٨
﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ﴾	٣٤	١٨٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾	٣٥	٢٠٧
﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾	٧٤	٢٤٦
﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكُذِبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾	٧٩	٩٨
﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾	١١١	٤٥
﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾	١٣٦	٩٧
﴿لِنَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾	١٤٣	٢٩٨، ٢٩٧، ٢٩٥
﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ ءَايَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾	١٥١	٢٨٢
﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾	١٥٢	٢٨٢
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ﴾	١٥٥ - ١٥٧	٢٦٨
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا﴾	١٧٠	٤٣
﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾	١٨٦	١٩
﴿رَبَّنَا ءَانِسَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾	٢٠١	٣١٤، ١٧٩
﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾	٢١٣	١٠٨، ٩٦، ٤٧
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾	٢٢٢	٢٥٢، ٢٥١
﴿كَمْ مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾	٢٤٩	٣٠
﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾	٢٥٥	١٧٦، ٨٧
﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمَرْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾	٢٥٦	٣٦
﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾	٢٥٨	٨
﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ﴾	٢٨٥	١١٧، ٩٧، ٨٠، ٤٩



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة آل عمران		
﴿عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾	٤	٧٥
﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ﴾	٣٠	١٧٢
﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾	٦٤	١٣٧ ، ١٥
﴿فَاتُّوا بِالتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	٩٣	١٢٧
﴿وَمَنْ يَعْصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	١٠١	٢١
﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾	١٠٣	٣٢٥ ، ٢٠٢
﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾	١٠٤	٣٠٠
﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾	١٠٥	٣٢٥
﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾	١١٠	٣٠١ ، ٢٩٥ ، ٦٢
﴿وَإِنْ تَصِيرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾	١٢٠	٢٦٦
﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾	١٢٣	١٢١
﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾	١٤٤	٣٢
﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾	١٤٥	٢٨٧
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾	١٤٧	٦١ ، ٢٣
﴿فَقَالَتْ لَهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾	١٤٨	٣١٤
﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذَلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمُ﴾	١٦٠	٣٢٦
﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ﴾	١٧٣	٢٣٢
﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ﴾	١٧٤	٢٣٢

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾	١٨٢	١٩٦
﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾	١٨٥	٢٢٩
﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾	١٨٦	٢٦٦
﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ﴾	١٩١	٧٣
سورة النساء		
﴿الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾	٦٩	٢٩٧
﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾	١٣٤	٧٠
﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾	١٣٦	٨٠
﴿وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾	١٤١	٥٥
﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾	١٦٥	٦٣، ٤٧
﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾	١٧٢	٨٦
﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾	١٧٤	١٠٣
سورة المائدة		
﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾	٣	٢٩٨، ٢٨٢، ١٤٣
﴿فِيمَا نَقَضِهِمْ مِيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسِيَّةً﴾	١٣	٢٤٦
﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾	١٥	١٠٣
﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ﴾	١٦	١٠٣
﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنِ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا﴾	٢٧	٢١٠
﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَى يَدِكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾	٢٨	٢١٠
﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٣٠	٢١١، ٢١٠



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِى سَوَاءَ أَخِيهِ﴾	٣١	٢١٠
﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا﴾	٤٤	٩٨
سورة الأنعام		
﴿قُلْ أَعِزَّ اللَّهُ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾	١٤	٦٧
﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾	١٨	٧٤ ، ٢٦
﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ﴾	٢٩	١٥٧
﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ﴾	٦١	٨٣
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ﴾	٨٩	٣٢٢ ، ٥٦
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَهُ﴾	٩٠	٣٢٢ ، ١٢٩
﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ﴾	٩٣	٨٤
﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُنَا مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾	٩٤	١٦٩
﴿ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقُ كُلَّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾	١٠٢	٦٦
﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾	١١٤	٦٧
﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَاتِي﴾	١٣٠	٨٨
﴿نَتَّبِعُ نَبِيَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	١٤٣	٤٥
﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾	١٤٨	٤٥
﴿قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾	١٦٢	٢٥٣
﴿لَا شَرِيكَ لَهُ، وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾	١٦٣	٢٥٣
﴿قُلْ أَعِزَّ اللَّهُ أَبْنَى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾	١٦٤	٦٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الأعراف		
﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	٨	١٧٤
﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾	٩	١٧٤
﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾	١٢	١٨٧
﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ فَدَلَّهُمَا بِغُرُورٍ ﴿	٢١، ٢٢	٢٠٧
﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٢٣	٢٠٠، ٢٣٠، ٢٤٩، ٢٣١
﴿إِنَّهُ يَرَبُّكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾	٢٧	٨٨
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾	٤٣	٢٧٤
﴿وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ، بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾	٥٨	١٢٨
﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾	٥٩	١٢، ١٥٧
﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَاهُمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾	٩٦	١٩٣
﴿عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾	١٥٦	٧٤
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ﴾	١٥٧	١٢٦
﴿قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	١٣٥
﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾	١٥٩	٥٦
﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾	١٦٧	١٩٦
﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ﴾	١٧٥	٢١٦
﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾	١٧٦	٢١٦
﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾	١٧٩	٢١٨



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾	١٨١	٣٢٢
﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ ﴾	١٨٥	٤٤
﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾	١٨٨	١٤٦، ١٨
﴿ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ، وَلَهُ يَسْجُدُونَ ﴾	٢٠٦	٨٦
سورة الأنفال		
﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾	١	٣٠٤
﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ ﴾	٩	٨٤
﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾	١٢	٨٤
﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً ﴾	٢٥	٣٠٠
﴿ قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ ﴾	٣٨	٢٢٢
﴿ وَلَا تَتَزَعَوْا أَنْفُسَكُمْ فَنفَشِلُوا وَتَذْهَبَ رِجَالُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾	٤٦	٣٢٥، ٢٠٢
﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ ﴾	٥٠	٨٤
﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِلْعَبِيدِ ﴾	٥١	١٩٦، ٨٤
﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعَمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾	٥٣	١٩٥
﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾	٦٠	١٦٣
سورة التوبة		
﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ﴾	٣١	١٥
﴿ وَيَأْبَىٰ اللَّهُ إِلَّا أَن يَتِمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾	٣٢	١٣٣
﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾	٣٦	٢٩١
﴿ لَا تَحْزَنْ إِنَّا لَعَلَّاهُ مَعَنَا ﴾	٤٠	١٢٢، ٧٣



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا﴾	٤٣	١٠٥
﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا﴾	٥٥	٢٨٦
﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾	٧١	٣٠١
﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾	١٠٥	٣١٢
﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾	١١١	١٨٣
﴿التَّائِبِينَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُتَكِينُونَ الرَّكْعُونَ﴾	١١٢	٣٠١
﴿وَمَا كَانَتْ أَسْتَغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا﴾	١١٤	١٧٧
﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾	١١٨	٢٥١، ٢٤٩، ٢٢٣
سورة يونس		
﴿دَعُونَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾	١٠	٢٨٨، ٢٧٤
﴿هُوَ الَّذِي يُسِيرُكُمُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ﴾	٢٢	٩
﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾	٣٦	٤٥
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾	٤٤	١٩٦
﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾	٥٨	١٩١
﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١٠١	٤٤
﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾	١٠٦	٢٠
سورة هود		
﴿كَتَبْنَا أَحْكَمَتَآيْنَهُ ثُمَّ فَصَّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾	١	٩٩، ٢٨
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾	١٨	١٧٦
﴿إِنَّ أَبْنِيَّ مِنْ أَهْلِ وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَكَمِينَ﴾	٤٥	٢٤٧، ٢٣٠



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ قَالَ يَنْفُخُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾	٤٦	٢٣٠، ٢٤٧
﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ ﴾	٤٧	٢٣٠
﴿ سَيِّءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴾	٧٧	٨٩
﴿ قَالُوا يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوا إِلَيْكَ ﴾	٨١	٨٩
سورة يوسف		
﴿ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْنَلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهَ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ ﴾	١٠	٢١١
﴿ وَجَاءَ آبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴾ قَالُوا يَتَابَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ﴿	١٦ - ١٨	٢١١
﴿ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾	٢٣	٢٠٨، ٢٢٩
﴿ وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِيْ إِنْ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَجَمْتَنِيْ ﴾	٥٣	٢٠٦
﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِيْ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِيْ ﴾	١٠٨	٣٠٥
سورة الرعد		
﴿ إِنْ أَلَّفَ اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا يَقُومُ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾	١١	١١٨، ١٩٥، ٢٢٠
﴿ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾	١٦	٧٤
﴿ فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾	١٧	١٠٣
﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾	٢٨	٢١٣
﴿ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾	٤٣	١٢١، ١٢٦
سورة إبراهيم		
﴿ كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾	١	١٠٣
﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾	٥	٢٦٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾	٧	٢٨٦، ١٩٦
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾	٢٤ - ٢٦	١٢٨
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾	٣٢ - ٣٤	٢٢٤، ٢٧١، ٢٧٧، ٢٨٠، ٣١٩
﴿يَوْمَ يُبَدِّلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾	٤٨ - ٥١	١٧١
سورة الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾	٩	٢٩٨، ٩٩
﴿وَالْحَاكِمَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السُّمُورِ﴾	٢٧	٨٨
﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾	٢٩	٢١٦، ٤٦
﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ﴾ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ	٣٦ - ٣٨	٢٠
﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	٤٩	٧٥
﴿وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾	٥٠	٧٥
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	٩٢، ٩٣	١٧٤
سورة النحل		
﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ﴾	٢٥	١٩٢
﴿الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ﴾	٢٨	٨٤
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾	٣٦	١١٣، ٦٣، ١٣
﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٤٣	١٠٢
﴿وَمَا يَكُم مِّن نِّعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾	٥٣	٢١٨، ٢٢٤، ٢٧٢، ٢٨٣
﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَنَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾	٥٧	٨٦



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾	٦١	٢٤٥
﴿ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾	٧٧	٢٢٦
﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾	٨٤	١٧٥
﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾	٨٩	١٠٢، ١١٩، ١٤٣
﴿ وَلِتَسْتَلْزِمُوا عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾	٩٣	١٧٩
﴿ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ﴾	٩٦	٥٠
﴿ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾	١٠٦	٢١٣
﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا ﴾	١١٢	٢٨٧، ٢٧٦
﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾	١٢٠	٢٨٧
﴿ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ أَجَبْتُهُ وَهَدَيْتُهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾	١٢١	٢٨٧
﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴾	١٢٨	٣٢٦
سورة الإسراء		
﴿ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾	٣	٢٨٧
﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَلْعَهُ فِي عُنُقِهِ ﴾	١٣	١٧٢
﴿ أَقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾	١٤	١٧٢، ١٧٣
﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾	١٥	١١٤
﴿ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ ﴾	١٩	٥٠
﴿ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ ﴾	٢٥	٢٥٠
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾	٣٢	٢٠٨
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ﴾	٧٠	٢٧٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾	٨١	١٢٤
﴿قُلْ لِّينِ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾	٨٨	١٠٤
﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى﴾	٩٤	١٠٨ ، ٤
﴿قُلْ لَوْ كَانَتْ فِي الْأَرْضِ مَلَكٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ﴾	٩٥	١٠٨ ، ٤
﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيَائًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾	٩٧	١٧١
سورة الكهف		
﴿وَلَا تُطِيعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾	٢٨	٢١٤
﴿وَوَضِعَ الْكِتَابَ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾	٤٩	١٧٢ ، ٨٣
﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾	٩٨	٣٠١ ، ١٢١
﴿فَلَا نُفِئُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَزْنًا﴾	١٠٥	٤٢
سورة طه		
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾	٥	٦٩
﴿أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾ فَقُولَا لَهُ، قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴿	٤٣ - ٤٦	٧١
﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَى﴾	٤٦	٧٢
﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾	٥٠	١١٠
﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾	٧٠	٣٠
﴿ءَامَنَّا لَهُ، قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾	٧١	٣٠
﴿لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾	٧٢	٢٥٧ ، ٣٠
﴿إِنَّا ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطِئَنَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ وَبَقِي﴾	٧٣	٢٥٧ ، ٣٠
﴿إِنَّهُ، مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾	٧٤	٣٠



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ وَمَنْ يَأْتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى ﴾	٧٥	٣٠
﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴾	٨٢	٧٦
﴿ فَمَا خَطْبُكَ يَسْمِرِي ﴾	٩٥	٢١٢
﴿ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾	٩٦	٢١٢
﴿ قَالَ يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴾	١٢٠	٢٠٧
﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ﴿	١٢٢، ١٢١	٢٠٧
﴿ فَأَمَّا يَا نِصَّكَم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾	١٢٣ - ١٢٧	١٠٥
﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَى ﴾	١٢٤	١٩٣
﴿ وَالْعَاقِبَةُ لِلنَّقْوَى ﴾	١٣٢	١٢٥
سورة الأنبياء		
﴿ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴾	٢٠	٢١٥، ٨٦
﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبِّحَنَ اللَّهُ رَبَّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾	٢٢	٦٦
﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴾	٢٦	٩٤، ٨٦
﴿ لَا يَسْئَلُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴾	٢٧	٩٤، ٨٦
﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى ﴾	٢٨	١٧٦، ٨٧، ٨٦
﴿ وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ ﴾	٢٩	٨٦
﴿ وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ﴾	٤٧	١٧٤، ١٧٣، ٥
﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾	٩٢	٣٠٢
﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾	١٠٧	١٣٥

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحج		
﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾	١٨	١٩٤
﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾	٣٨	٣١٢، ٥٥
﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾	٤٠	٢٦٤
﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾	٧٨	٢٠٩
سورة المؤمنون		
﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾	١	٣٢٠
﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ﴾	١٨	٢٧٠
﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾	٥٢	٣٠٢
﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾	١٠١	١٧٧
﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنْمَّا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْتُمْ لَا تَرْجِعُونَ﴾	١١٥	١٥٦
﴿فَتَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ﴾	١١٦	١٥٦
سورة النور		
﴿وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾	١٥	١٩٠
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	١٩	١٩٢
﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	٢٤	١٧٤، ١٦٠، ٤
﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾	٢٥	١٧٤، ١٦٠، ٤
﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾	٣١	٢٤٤
سورة الفرقان		
﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾	١	١٣٥



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾	٢	٢٧٠
﴿الَّذِينَ يَحْشُرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾	٣٤	١٧١
﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾	٤٣	٢١٤
﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾	٤٤	٢١٤ ، ٨١
﴿فَسَلِّ بِهِ خَيْرًا﴾	٥٩	١٠٢
﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾	٦٣	٢٣٨
﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ﴾	٦٨ - ٧٠	٢٢٢
﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا﴾	٧٥	٢٦٦
سورة الشعراء		
﴿بِعِزَّةِ فَرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾	٤٤	٣٠
﴿إِنَّا لَمَذْكُورُونَ﴾	٦١	٧٢
﴿كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾	٦٢	٧٢
﴿أَنْ أَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾	٦٣	٧٢
﴿مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾	٨٩	٢٤٤
﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾	١٣٥	١٥٧
﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾	٢١٤	١٧٧
سورة النمل		
﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ﴾	٤٠	٢٨٧
سورة القصص		
﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾	٣٨	٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾	٥٠	٢٢١، ٢١٤
﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَلُكُمْ﴾	٥٥	٢٣٨
﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ، عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾	٧٨	٢٧٢
﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾	٨٨	٢٥٩
سورة العنكبوت		
﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا﴾	٤٠	١٩٦
﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾	٤٥	١٨٢، ١٥٣، ٦١، ٢٣
﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ، بِيَمِينِكَ إِذًا لِأَتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾	٤٨	١٣٣
﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾	٤٩	١٣٣
﴿يَعْبَادِي الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَسِعَةٌ فَإِنِّي فَاعْبُدُونِ﴾	٥٦	٢٤٢
﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾	٦٩	٢٢٠، ٢١٧
سورة الروم		
﴿وَعَدَ اللَّهُ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ، وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٦	٣٠١
﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَبُ عَلَيْهِ﴾	٢٧	١٦٧، ١٦٠، ٤
﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾	٤١	٢٣١
﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾	٤٧	١٢٢، ٥٥
سورة لقمان		
﴿يَبْنِي لَا تَشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾	١٣	٢٠
﴿أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَايَكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ﴾	١٤	٢٩٠

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿الْمَرْتَرُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	٢٠	٢٨٠
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾	٣١	٢٦٧
﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾	٣٣	٢٥٢، ١٦٩
سورة السجدة		
﴿قُلْ يَنفَعُكُمْ مَلِكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾	١١	٨٣
﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	١٧	١٧٩
سورة الأحزاب		
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾	٩	١٤٤
﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ﴾	١٠	١٢٣
﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾	١١	١٢٣
﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾	٢٢	٢٣٢، ١٢٣
﴿وَتُخْفَىٰ فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ﴾	٣٧	١٠٥
﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾	٣٩	٢٤٢، ٣٤
﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾	٤٠	١٣٨، ١١٩
﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ﴾	٥٦	١٨٢، ١٥٣، ٦١، ٢٣
﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَ﴾	٦٧	٤٣
سورة سبأ		
﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةٌ الْأَرْضِ﴾	١٤	٩١
﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾	١٥	٢٨٦

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ فَأَعْرِضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ﴾	١٦	٢٨٦
﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجْزِي إِلَّا الْكَافِرَ ﴾	١٧	٢٨٦
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾	١٩	٢٦٧
﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُكُمْ بِوَحْدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَ شَاخٍ ﴾	٤٦	٤٤، ٤٥
سورة فاطر		
﴿ وَلَا يَنْبُتُكَ مِثْلُ خَيْرٍ ﴾	١٤	١٠٢
﴿ يَتَأَيَّهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾	١٥ - ١٧	٣١٩
﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾	٢٤	٦٣
﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ﴾	٢٩	١٨٣
﴿ لِيُوفِّيَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴾	٣٠	١٨٣
﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴾	٣٤	٢٧٤
﴿ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾	٤٣	٣٠١
سورة يس		
﴿ وَءَايَةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيِّتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾	٣٣ - ٣٥	٢٧٣، ٣١٩
﴿ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ ﴾	٦٥	١٧٥
﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُمْ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَمًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴾	٧١ - ٧٣	٢٧٣
﴿ أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ﴾	٧٧ - ٨٣	١٥٩
سورة الصافات		
﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾	٢٤	١٧٩



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة ص		
﴿وَأَذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ ﴿	١٧ - ٢٠	١١٦
﴿يَدَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾	٢٦	٢٢١ ، ٢١٣
﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكُمْ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾	٢٧	١٥٦
﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾	٢٨	١٥٦
﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾	٣٥ - ٤٠	٩٠
﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾	٧٢	٢١٦
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾	٨٧	١٣٦
سورة الزمر		
﴿قُلْ يَاعِبَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾	١٠	٢٤٢
﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾	١٥	١٨٤
﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾	١٨	٥٣
﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَكِّسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾	٢٩	٢٥٨
﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَّيِّتُونَ﴾	٣٠	٢٢٥
﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾	٤٤	١٧٦
﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾	٥٣	١٩ ، ٧٥ ، ٢٢٢
سورة خافر		
﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطُّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ﴾	٣	٥٤
﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾	٧ - ٩	٧٤ ، ٨٥



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاع ﴾	١٨	١٧٦
﴿ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾	٣٥	٣١٢
﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهُدُ ﴾	٥١	١٨١ ، ١٢١
﴿ لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾	٥٧	١٦٠
سورة فصلت		
﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾	١٩ - ٢١	١٧٥
﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا نَتَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾	٣٠ - ٣٢	٨٤
﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾	٣٣	٣٠٥
﴿ وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ﴾	٣٩	١٦٠
﴿ لَا يَأْنِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾	٤٢	٩٩ ، ٦٤
﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾	٥٣	١١
سورة الشورى		
﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾	١١	٦٨ ، ٦٩
﴿ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ ﴾	١٥	٩٦
﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾	٣٠	٢٤٥ ، ٢٣١
﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾	٣٣	٢٦٧
﴿ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ ﴾	٤٥	١٨٤
سورة الزخرف		
﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ إِنشَاءً أَشْهَادًا خَلَقَهُمْ ﴾	١٩	٨٧ ، ٤٥
﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ ءَاثَرِهِمْ مُّقْتَدُونَ ﴾	٢٣	٤٣

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾	٧٧	٨٥
﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَذِبُونَ﴾	٧٨	٨٥
﴿أَمْ يَحْسِبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾	٨٠	٨٣، ١٧٣
سورة الدخان		
﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ﴾	٢٩	١٥٨
﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَإِعْيَةٍ﴾	٣٨ - ٤٠	١٥٧
﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزِقُهُ بِلسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	٥٨	١٠٣
سورة الجاثية		
﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمُ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا﴾	٢١	١٥٦
﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾	٢٢	١٥٦
﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ﴾	٢٣	٢١٤، ٢٢١
﴿نُمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾	٢٤	١٣
سورة الأحقاف		
﴿أَتُنَوِّي بَكْتَبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِّن عِلْمٍ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	٤	٤٦
﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَءَمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾	١٠	١٢٨
﴿إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾	٢١	١٥٧
سورة محمد		
﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن نَّصْرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُم وَيُخْلِفَنَّ أَقْدَامَكُمْ﴾	٧	٣٢٦
﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾	١٦	٢١٤

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الفتح		
﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾	٤	٢١٣
﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا	٢٩	١٣٠
سورة الحجرات		
﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ	٧	٢٨٢
﴿فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾	٨	٢٨٢
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾	١٠	٣٠٤
﴿وَمَنْ لَمْ يَنْبُ فَاُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾	١١	٢٤٤
﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا	١٣	٣٢١، ١٦
﴿يُؤْمِنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمْنُوا عَلَيَّ إِسْلَمَكُمْ﴾	١٧	٢٨٢
سورة ق		
﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾	١٨	١٧٣
﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾	٣٣	٢٤٤
﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾	٣٧	٢٣٠
سورة الذاريات		
﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُتَوَقِّينَ﴾ وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿	٢١، ٢٠	٤٤
﴿فَجَاءَ بِعِجْلِ سَمِينٍ﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴿	٢٦ - ٢٨	٨٩
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	١٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الطور		
﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴾	٣٥	٤٧، ٩، ٧
﴿ أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ﴾	٣٦	٤٧، ٩، ٨، ٧
سورة النجم		
﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى ﴾	٢٣	٢١٤
﴿ وَكَمِ مِنْ مَلَائِكَةٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُفْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا ﴾	٢٦	١٧٦
﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسْتَوُوا بِمَا عَمِلُوا ﴾	٣١	١٥٦
﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ﴾	٤٢	٢٢١
سورة القمر		
﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾	١٧	١٠٣
﴿ سَيَهْزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونَ الدُّبُرَ ﴾	٤٥	١٢١
﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾	٤٩	٢٧٠
سورة الرحمن		
﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾	١ - ٤	٢٧٨
﴿ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴾	٧ - ٩	٢٩٧، ١١٣
سورة الحديد		
﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ * وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	٣	٧٦، ٢٦
﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ﴾	٤	٧٦
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ ﴾	٢٥	٩٦، ٤٧



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المجادلة		
﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ﴾	١	٧٠
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	٧	٧٠
سورة الحشر		
﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ﴾	٨	٣٢٠
﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾	١٠	٢٣، ٦١ ١٥٣، ١٨٢
﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾	٢٣	٧٤
سورة الصف		
﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُيُوتٌ مَرْصُورٌ﴾	٤	٢٠٢، ٣٠٣
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُم عَلَى تَحَرِّقِ نَجِيحِكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾	١٠	١٨٣
﴿تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾	١١	١٨٣
﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٌ طَيِّبٌ﴾	١٢	١٨٤
﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِيرٌ الْمُؤْمِنِينَ﴾	١٣	١٨٤
سورة الجمعة		
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ﴾	٩	٣١١، ٣١٢، ٣١٣ ٣١٦، ٣١٨
﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾	١٠	٣١١، ٣١٨، ٣٢٠
سورة المنافقون		
﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾	٤	٤١



الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٨	١٨، ٥٥ ٣١٢، ١٩٤
﴿رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾	١٠	٢٢٥
﴿وَلَنْ يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	١١	٢٢٥
سورة التغابن		
﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	١١	٢٥
سورة الطلاق		
﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ﴾	٣	٢١
سورة التحريم		
﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبَنَّىٰ مَرْصَاتٍ أَرْوَجُكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	١	١٠٥
﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَوْا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾	٦	٨٦، ٩٤ ٢٢٩، ٢١٥
سورة الملك		
﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾	٣	١١
﴿وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	١٣	٧٠
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	١٤	٧٠
﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ﴾	١٥	٣١٨
سورة القلم		
﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾	١	٢٧٨
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾	٤	٥٢

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة الحاقة		
﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ * وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ﴾	٣٣، ٣٤	٧٨
﴿فَلَا أَقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ * وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾	٣٨، ٣٩	٨٢
سورة الجن		
﴿قُلْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾	١	٨٩
﴿يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾	٢	٨٩
﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾	٦	٩٠
﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَهَا مِلْئًا حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهْبًا﴾	٨ - ١٠	٩٠
﴿وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَن أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا﴾	١٤	٨٨
﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾	١٥	٨٨
﴿وَالْوِاسِقَتُمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَّاءً غَدَقًا﴾	١٦	١٩٣
سورة المدثر		
﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾	٣١	٨٧، ١٦٣، ٢١٥
سورة القيامة		
﴿لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ * وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾	١، ٢	٢١٢
سورة الإنسان		
﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾	١	٢٧٧
﴿وَجَرَنَهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾	١٢	٢٦٦
سورة المرسلات		
﴿أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ * فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ * إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾	٢٠ - ٢٣	٢٧٧

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النازعات		
﴿أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾	٢٤	٣١، ٨
﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى * يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى﴾	٣٤ - ٣٦	١٧٠
سورة عبس		
﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾	٢، ١	١٠٥
﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّيهِ وَأَبِيهِ﴾	٣٣ - ٣٦	١٧٠
﴿لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾	٣٧	١٦٩
سورة الانفطار		
﴿خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾	٨، ٧	٢٧٨
﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ * كِرَامًا كُنُوزًا * يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾	١٠ - ١٢	٨٣
﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ﴾	١٣ - ١٥	١٧٩، ٢٩
سورة الأعلى		
﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾	٣	١١٠
سورة الفجر		
﴿إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمِرْصَادِ﴾	١٤	٧١
﴿يَتْلُوهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾	٢٧، ٢٨	٢١٣
سورة الشمس		
﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾	٧ - ١٠	٢٠٤
سورة العلق		
﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾	٣ - ٥	٢٧٨

الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البينة		
﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ﴾	٥	٢٥٣
﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾	٧	٢١٦
سورة الزلزلة		
﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۖ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾	١ - ٥	١٧٥
﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾	٤	١٧٥
﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَلَهُمْ﴾	٦	١٧٢
سورة التكاثر		
﴿ثُمَّ لِنُسْأَلَنَ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾	٨	٢٨١، ١٧٩
سورة العصر		
﴿وَالْعَصْرِ ۖ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۖ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾	١ - ٣	٢٩٩، ٢٤
سورة الإخلاص		
﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	٤	٦٨
سورة الناس		
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۖ مَلِكِ النَّاسِ ۖ إِلَهِ النَّاسِ﴾	١ - ٣	١٣٦

* * *





فهرس الأحاديث النبوية الشريفة



رقم الصفحة	الحديث
	أ
١٧٥	أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم
٤٢	أنضحكون من دقة ساقيه؟ والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان عند الله
١١٦	أحب الصيام إلى الله صيام داود، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود
١٤٥	أخبر أن القسطنطينية ستفتح
٢٧٥	أخلق ويُعبد غيري، وأرزق ويُشكر سواي، خيري إلى العباد نازل
٦٧، ١٨	إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله
١٧٣	إذا كان يوم القيامة يحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك، وعقابك إياهم
٢٦٧	أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل
٧١	اعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك
١٧٩	أعددت لعبادي الصالحين في الجنة: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت
٢٢٠	ألا إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله
١٣١	ألا هل بلغت؟! اللهم فاشهد
٢٨٩	اللهم اجعلني لك شكَّارًا، واجعلني لك ذكَّارًا
٣١٤	اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي



رقم الصفحة	الحديث
٢٨٩	اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك
٦٦	اللهم أعودُ برضاك من سَخَطِكَ، وبمعافاتك من عقوبتِكَ
٩٢	اللهم ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض، وملء ما شئت من شيء بعد
١٧	اللهم ربنا ورب كل شيء ومليكه، أنا شهيد أنك الرب وحدك
١٤٦	اللهم علمه الكتاب
١٤٦	اللهم فقهه في الدين
١٧١	أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه
١٤٥	إن ابني هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين
٢٦٢	إنَّ الله طيبٌ لا يقبل إلا طيباً
٢٦١، ٢٦٠	إنَّ خرج يسعى على أبوين كبيرين؛ فهو في سبيل الله
١٦	إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب
١٩٣	إنَّ الرجل لِيُحرَمَ الرزق بالذنب يصيبه
٧٤	إنَّ رحمتي سبقت غضبي
١٤٨	إن كنت تريد مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً
٣٩	إنَّ لبدنك عليك حقاً
١٣٩، ١٣٨	إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله
١٣٩، ١١٩	أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، الذي يمحو بي الكفر
١٢٣	أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب
٥٢	إنَّما بُعثت لأتمم مكارم الأخلاق
٤٢	إنَّه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة
٢٨٨	إنِّي والجن والإنس في نبي عظيم: أخلق ويعبد غيري



رقم الصفحة	الحديث
١٤٧	أولئك قوم عَجَلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا
١٢٧	أي رجل فيكم عبد الله بن سلام. قالوا: أعلمنا، وابن أعلمنا، وأخيرنا
٨٠	الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر
ب	
١٤٠	بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله، إلى مسيلمة الكذاب
ت	
٢٥١	التائب من الذنب كمن لا ذنب له
٥	تُحْشَرُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُرْلًا. قالت عائشة: فقلت: يا رسول الله
١٤٥	تقتلك الفئة الباغية
ث	
١٩٠	ثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه
٢٥٤	الثلاثة أصحاب الغار الذين حدثنا النبي ﷺ، عنهم
ج	
٧٠	جاءت المرأة المجادلة تجادل النبي ﷺ في أمر زوجها
ح	
٣٤	حُبُّ الدُّنْيَا، وكراهية الموت
٢٤٨	الحج عرفة
١٨٩	الحلال بين والحرام بين
٢٨٤، ٢٧٤	الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور
٢٨٤	الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين

رقم الصفحة	الحديث
٢٨٤	الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام، ورزقني من غير حول مني ولا قوة
٢٨٤، ٢٧٤	الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات
٢٨٤	الحمد لله الذي جعله عذباً فراتاً برحمته، ولم يجعله ملحاً أجاباً بذنوبنا
٢٨٤	الحمد لله الذي كساني هذا الثوب ورزقني من غير حول مني، ولا قوة
٢٨٤، ٢٧٤	الحمد لله، سبحانه الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون
٢٨٤، ٢٧٤	الحمد لله على كل حال
خ	
٨٨	خُلِقَتِ الملائكة من نور، وُخِلِقَ الجن من مارِج من نار
٤٠	خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم
د	
١٤٧	دعا على الذين وضعوا سلا الجزور على ظهره وهو ساجد في الصلاة
١٤٧	دعا على قريش أن يشد الله وطأته عليهم، وأن يجعلها عليهم سنين كسني يوسف
١٤٦	دعا لأنس رضي الله عنه : أن يكثر الله ماله، ويكثر ولده
٢٩٩	الدين النصيحة. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله
ر	
١٧٩	روي أن أكثر ما كان يدعو به النبي ﷺ «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً...»
س	
٥٢	سَوُّوا صفوفكم؛ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ تَمَامِ الصَّلَاةِ
١٣٩	سيكون بعدي كذابون ثلاثون يدعون أنهم أنبياء، ولا نبي بعدي
ع	
٢٦٧، ٥٠	عجباً لأمر المؤمن! إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن



الحديث	رقم الصفحة
على مثل الشمس فاشهد	٨٧
عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه	١٧٤
ف	
فكان يخصف نعله بيده، ويرقع ثوبه بيده، ويحلب شاته	١٤٩
فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه	٢٠٧
في يوم الجمعة ساعة إجابة، لا يصادفها عبد مسلم يدعو الله بخير إلا استجاب له	١٥٢، ٢٢
ق	
القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإذا نجا منه كان أنجى فيما بعده	٢٢٧
قد تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك	١٤٣
ك	
كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة	١٤٦
كان يعمل في مهنة أهله ومساعدتهم في البيت	١٤٩
كل أمتي معافى إلا المجاهرين	١٩١
كلُّكم لآدم، وآدم من تراب	٣٢١
ل	
لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده	١٢٤
لا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا	٣٢٥
لا ترجعوا بعدي كفاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض	٣٠٣
لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين	٥٧، ٥٦
لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي	١٦٣
لا تكونوا إمعة، تقولون: إن أحسن الناس أحسناً، وإن ظلموا ظلمنا	٤٣



رقم الصفحة	الحديث
٢٩٦	لا صلاة لمنفرد خلف الصف
٤٠	لا نجمع عليك أن نصرعك ونغرمك خذ غنمك
١٨٧	لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر
٢٩٠	لا يشكر الله من لا يشكر الناس
٥٠	لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه
١٢١	لقد رمتكم العرب عن قوس واحدة
٣٣	لما خلق الله الأرض، جعلت تميد وتكفاً، فأرساها بالجبال فاستقرت
١٩٣	لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون
١٤٨	لم يشبع من خبز الشعير ثلاثة أيام متوالية
٢١١	ليس من نفس تقتل ظلماً؛ إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها
م	
٣٩	ما أنزل الله داء إلا جعل له شفاء، علمه من علمه، وجهله من جهله
١٤٣	ما تركت أمراً يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار؛ إلا أمرتكم به
٢٢٧	ما رأيت منظراً إلا والقبر أفضع منه
١٤٨	ما لي وللدنيا؟ ما مثلي ومثل الدنيا؛ إلا كراكب سار في يوم صائف
١٤٩	مات ودرعه مرهونة عند يهودي
٣٠٤	مثل المؤمنين في توادهم وتعارفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد
٢٠٩	المجاهد من جاهد نفسه في ذات الله
٢٠٩	المجاهد من جاهد نفسه في سبيل الله
٢٢١	المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله
١٥٨	مُستريح ومُستراح منه. قالوا: يا رسول الله، ما المستريح والمستراح منه؟



رقم الصفحة	الحديث
٢٢٢	من أقبل من عبادي إليّ تلقّيته من بعيد، ومن أعرض عني ناديته من قريب
٢٢٣	من تقرب إليّ شبرًا تقربت إليه ذراعًا، ومن تقرب إليّ ذراعًا تقربت إليه باعًا
٢٩٠	من صنع إليكم معروفًا فكافئوه، فإن لم تستطيعوا فقولوا: جزاك الله خيرًا
٥١	من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله
٣٠٤	المؤمن للمؤمن كالبنیان، يشد بعضه بعضا
١٩٠	المؤمن يرى ذنبه كالجبل يخاف أن يقع عليه
ن	
١٧٨	نار بني آدم التي توقدون جزءً من سبعين جزءًا من نار جهنم
٢٤٨	الندم توبة
٨٩	نزل جبريل في صورة أعرابي، وسأل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان
١٥٩	نعم، ويبعثك ويدخلك النار
هـ	
١٥٠	هوّن عليك، فلست بملك، إنما أنا ابن امرأة من قريش، كانت تأكل القديد بمكة
و	
١٨٨	والبغضاء هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين
٤٠	والمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف
١٥٠	وجهه ليس بوجه كذاب
١٤٧	ودعا على قوم أن يأخذهم الله: الذين وضعوا سلا الجزور على ظهره
١٤٦	وعلمه التأويل
٢٦١	وفي بضع أحدكم صدقة. البضع: أي الفرج. قالوا: يا رسول الله
٤٩	وما يزال عبيد يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته

الحديث	رقم الصفحة
يا أبا بكر، ما ظنك باثنين الله ثالثهما	١٢٢، ٧٣
يا سراقه، كيف بك إذا ألبسك الله سوارى كسرى؟	١٢٢
يا عباس بن عبد المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً!	١٧٧
يا عدي اطرح عنك هذا الوثن	١٦
يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهنّ، وأعوذ بالله أن تدركوهن	١٩٨، ١٩٧
يأتي على الناس زمانٌ، لا يبالي المرء ما أخذ: أمن حلال أم من حرام	٢٠٧
يُبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان دينه صلباً اشتدّ بلاؤه	٢٦٧
يُحسب ما خانوك وعصوك ويكذبونك وعقابك إياهم	٥
يحشر الناس حفاة عراة غرلاً. قالت عائشة: الرجال والنساء جميعاً	١٦٩
يقف الإنسان بين يدي ربه ولا حجاب ولا ترجمان	١٧٠
يكسر الأصنام بيده، ويضربها برمح؛ فتخرُّ مَحْطَمَةً	١٢٤
يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها	٢٦٤، ١٤٥

* * *



فهرس الموضوعات

- ٤..... • من الدستور الإلهي للبشرية
- ٥..... • من مشكاة النبوة الخاتمة
- ٧..... ١ - حقيقة وجود الله وتوحيده
- ٧..... لا فعل إلا بفاعل
- ٨..... الخالق هو الله
- ٩..... الفطرة تنطق بوجود الله عند الشدة
- ١٠..... دلالة العقل على وجود الله
- ١١..... العلم الحديث يدلنا على الله
- ١١..... من أسماء الله الظاهر
- ١٢..... الأنبياء لم يدعوا إلى وجود الله
- ١٣..... الملحدون على مدار التاريخ قلة
- ١٣..... اصطدام الكنيسة بالحياة
- ١٤..... انصراف الناس عن الدين بسبب الكنيسة
- ١٤..... إلحاد اليوم ليس إلحاد فكر؛ وإنما إلحاد منفعة
- ١٤..... أساس الإيمان هو توحيد الله ﷻ
- ١٥..... التوحيد إبطال لكل الربوبيات الزائفة

التوحيد أساس الحرية والمساواة..... ١٦

التوحيد هو أساس الإخاء..... ١٦

التوحيد أساس العزة..... ١٨

لا وساطة بين الله وبين خلقه..... ١٩

٢ - الإيمان قوّة..... ٢٤

الإيمان أساس التربية الصحيحة..... ٢٤

الإيمان مصدر كلّ خير..... ٢٥

الإيمان قوّة..... ٢٥

الإيمان بالله..... ٢٦

الإيمان بالآخرة..... ٢٦

الإيمان بالقدر..... ٢٦

الإيمان بالحقّ..... ٢٧

الاستعلاء على الدُّنيا وشهواتها..... ٢٨

الاستهانة بالجبابرة الطغاة..... ٣٠

سحرة فرعون..... ٣٠

عمر المختار..... ٣١

أبو بكر الصّدّيق..... ٣١

الإخلاص قوّة..... ٣٢

الإيمان قوّة ضدّ الخوف والحرص..... ٣٣

التربية على الإيمان الحقّ..... ٣٤

٣ - أهداف الإسلام..... ٣٧

تكوين شخصيّة المسلم المتكاملة..... ٣٧



- ٣٨.....عناية الإسلام بالجسم
- ٣٩.....الإسلام لا يتبرّم من الرياضة
- ٤٠.....الإسلام يريد أُمَّة قَوِيَّة
- ٤٢.....أساس تقويم الشخصية التي يريدّها الإسلام
- ٤٤.....الإسلام يُرَبِّي العقلية غير المُقلّدة
- ٤٥.....القرآن ينشئ العقلية العلمية
- ٤٦.....من سمات الشخصية المسلمة الرُّوح القويّة
- ٤٧.....العقل بدون هداية الوحي يضل الطريق
- ٤٨.....هدايات الله للإنسان
- ٥٠.....التكوين الرُّوحي أساس تماسك الأُمَّة
- ٥٣.....مجالات أخرى للتكامل
- ٥٤.....قضايا الأُمَّة ليست بيدها
- ٥٥.....حفظ الله للأُمَّة من الاستئصال
- ٥٦.....القائمون على الحق لا ينقطعون من الأُمَّة
- ٦٢.....٤ - تكوين الإنسان المسلم: معرفة الله
- ٦٢.....اعرف نفسك تعرف ربك
- ٦٣.....النبوة تأخذ بيد البشرية إلى الله
- ٦٤.....معرفة الله بآلائه لا ذاته
- ٦٦.....نصف الله بما وصف به نفسه
- ٦٧.....عناصر التوحيد الثلاثة
- ٦٧.....معرفة الله بأسماء الله وصفاته في القرآن والسُّنة

- ٦٨ ليس كمثله شيء
- ٦٩ استحضار صفات الله في القلوب والنفوس
- ٧١ حفظ أسماء الله ليس هو المهم
- ٧١ استحضار موسى ﷺ لمعية الله تعالى
- ٧٢ إِنَّ اللَّهَ معنا
- ٧٣ حفظ العقائد في النفوس قبل الألسنة
- ٧٣ الرحمة من صفاته والعذاب من أفعاله
- ٧٤ حَبَّبُوا اللَّهَ إِلَى عِبَادِهِ
- ٧٦ الرحمن يناديكم أيُّها العصاة
- ٧٧ دعم الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية
- ٧٧ أنت على ثغرة من ثغور الإسلام
- ٧٩ ٥ - تكوين الإنسان المسلم: الإيمان بالملائكة
- ٨١ إدراك الروح أعلى من الحواس
- ٨١ الإيمان بالغيب
- ٨٢ الملائكة جنود الله
- ٨٢ الوحي طريق الإيمان
- ٨٣ الملائكة الكتبة الحفظة
- ٨٣ ملائكة النصر
- ٨٤ ملائكة الموت
- ٨٥ حملة العرش
- ٨٥ خزانة الجنة والنار
- ٨٦ الملائكة عباد لله



- ٨٧..... ليسوا ذكوراً ولا إناثاً
- ٨٧..... مفطورون على الطاعة
- ٨٨..... عالم الجنّ
- ٨٨..... الجن خلق مكلفون
- ٨٩..... تشكّل الجنّ
- ٨٩..... الاعتقاد في الجن بين الإفراط والتفريط
- ٩٠..... استخدام الإنس للجن
- ٩١..... اعتقادات خاطئة
- ٩١..... لا إفراط ولا تفريط
- ٩٤..... ٦ - تكوين الإنسان المسلم: الإيمان بالكتب
- ٩٥..... حاجة البشر للهداية إلى الحق
- ٩٧..... تحريف الكتب السابقة
- ٩٩..... حفظ القرآن من كل تحريف وتبديل
- ١٠٠..... المحافظة على الرسم العثماني
- ١٠٢..... كتاب الهداية الكامل
- ١٠٢..... كتاب ميسر
- ١٠٣..... كتاب معجز
- ١٠٤..... وجوب الإيمان بجميع الكتب
- ١٠٧..... ٧ - تكوين الإنسان المسلم: الإيمان بالرُّسل
- ١٠٨..... من هم الرسل والأنبياء؟
- ١٠٩..... الرسل رجال

الرسل أفضل النَّاس وأزكا هم نفسا ١٠٩

أنواع الهدايا ١٠٩

هداية العقل ١١٠

هداية الوحي ١١٣

إرسال الرسل مبشرين ومنذرين ١١٤

أهميّة النموذج العملي ١١٥

عصمة الرسل ١١٥

٨ - تكوين الإنسان المسلم: الإيمان بخاتم الأنبياء ١١٨

ختم الرسالات بمُحَمَّد ﷺ ١١٨

رسالة العموم والخلود والشمول ١١٩

القرآن معجزة دائمة باقية ١٢٠

تأييد الله تعالى لنبيه ١٢١

تأييد الله له في بدر ١٢١

تأييد الله له في رحلة الهجرة ١٢٢

تأييد الله له في غزوة الخندق ١٢٣

تأييد الله له في غزوة حنين ١٢٣

تكذيب محمّد طعن في الألوهيّة ١٢٥

شهادة أهل الكتاب على صدق الرسول ١٢٦

البشارة بمُحَمَّد في التوراة والإنجيل موجودة رغم التحريف ١٢٧

ثمار الدعوة المحمّديّة الطيّبة ١٢٨

الاقتداء بالنبي في مختلف جوانب الحياة ١٢٩



- ١٣٠..... من دلائل نبوته: ما تركه من ثروة علمية هائلة
- ١٣٠..... من دلائل نبوته: الجيل الذي صنعه
- ١٣١..... الكذاب لا يصنع شيئاً
- ١٣٢..... ثمار النبوة لا تزال باقية
- ٩ - تكوين الإنسان المسلم: الإيمان بخاتم الأنبياء..... ١٣٤
- ١٣٤..... وجوب الإيمان برسالته ﷺ
- ١٣٥..... خصائص الرسالة المحمدية ومميزاتها
- ١٣٥..... أولاً: العالمية
- ١٣٥..... القرآن الكريم يعلن عالمية الرسالة
- ١٣٧..... رسائل النبي إلى ملوك العالم تؤكد عالمية الرسالة
- ١٣٨..... وجوب تبليغ الرسالة إلى العالم كله
- ١٣٨..... ثانياً: الخلود
- ١٣٩..... رسالة الإسلام تلبي حاجات البشرية وتطورها
- ١٤٠..... كذب من ادعى النبوة
- ١٤١..... أدعياء النبوة في العصر الحديث
- ١٤٢..... ثالثاً: الشمول
- ١٤٢..... رسالة الإسلام منهاج حياة
- ١٤٤..... كثرة الأدلة على نبوته ﷺ
- ١٤٤..... معجزة الإسراء والمعراج
- ١٤٥..... نبوءاته ﷺ
- ١٤٦..... استجابة الدعاء



- سيرته ﷺ دليل صدقه ١٤٧
- نظرته ﷺ للعالم ١٤٨
- سيرة نبي عظيم ١٥٠

١٠ - تكوين الإنسان المسلم: الإيمان باليوم الآخر ١٥٤

- الإيمان بالآخرة ركن ركين في كل الأديان ١٥٤
- الحياة بغير آخرة عبث ١٥٦
- لا بدّ من يوم الحساب ١٥٧
- الموت ليس نهاية المطاف ١٥٨
- يحييها الذي أنشأها أوّل مرّة ١٥٩
- نشأة حركة المقاومة الإسلامية ١٦٢
- تأييد المقاومين واجب ١٦٢
- الإيمان يصنع العجائب ١٦٣
- دين محمّد ﷺ لم يمت ١٦٤
- يجب أن نحیی القضية الفلسطينية ١٦٥
- المقاومة ثمرة الصحوّة الإسلاميّة ١٦٥

١١ - تكوين الإنسان المسلم: الإيمان باليوم الآخر ١٦٧

- كل الرسالات تدعو إلى اليوم الآخر ١٦٧
- خصائص اليوم الآخر في القرآن الكريم ١٦٨
- يوم الهول الأكبر ١٦٨
- كيف يُحشر الناس؟ ١٦٩
- دنو الشمس من الرؤوس يوم القيامة ١٧٠



يوم العدل المطلق..... ١٧٢

من تمام العدل وزن الأعمال..... ١٧٣

السؤال المباشر من الله..... ١٧٤

شهادة الجوارح..... ١٧٤

الشفاعة في هذا اليوم..... ١٧٦

لا أنساب تنفع يوم القيامة..... ١٧٦

يوم الحصاد والجزاء..... ١٧٧

يوم الجزاء..... ١٧٨

١٢ - خطر المعاصي وضرورة المحاسبة..... ١٨٣

التجارة مع الله..... ١٨٣

بين خسران الدنيا والآخرة..... ١٨٤

محاسبة النفس..... ١٨٤

معاصي الأبدان..... ١٨٦

معاصي القلوب..... ١٨٧

تعدد مجالات المعاصي..... ١٨٨

وضوح الحلال والحرام..... ١٨٩

الاستهانة بالمعاصي..... ١٨٩

الفرح بالمعاصي..... ١٩٠

المجاهرة بالمعاصي..... ١٩١

وقوع المعصية ممن يُقتدى بهم..... ١٩٢

خطر المعاصي..... ١٩٢



- ١٩٣.....خطر المعاصي على الأفراد
- ١٩٥.....خطر المعاصي على المجتمعات
- ١٩٦.....خطر المعاصي على الأمم
- ١٩٩.....خطر المعاصي على البشرية والكون
- ٢٠١.....قضايا الأمة مُعلّقة
- ٢٠١.....وحدة عامّة
- ١٣ - مجاهدة النفس.....٢٠٤
- ٢٠٤.....منهاج العابدين للغزالي
- ٢٠٦.....النفس الأمّارة بالسوء
- ٢٠٧.....مجاهدة النفس
- ٢٠٨.....حاجة النفس إلى المجاهدة
- ٢١٠.....تسويل النفس الأمّارة بالسوء
- ٢١٢.....النفس اللّوامة
- ٢١٢.....النفس المطمئنة
- ٢١٣.....مجاهدة أهواء النفس
- ٢١٥.....طبيعة خلق الإنسان
- ٢١٧.....إمكان التّرقّي
- ٢١٧.....خطر الغفلة
- ٢١٨.....خطر الغفلة عن الله والآخرة
- ١٤ - بواعث التّوبة.....٢١٩
- ٢١٩.....النّفس الإنسانيّة أساس الإصلاح



- ٢٢٠..... لله سُنة ثابتة في خلقه
- ٢٢١..... التَّوْبَةُ أَوَّلَ المَحَطَّاتِ
- ٢٢٢..... إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا
- ٢٢٣..... حَقِيقَةُ التَّوْبَةِ
- ٢٢٤..... أَوَّلُ بَوَاعِثِ التَّوْبَةِ: اعْرِفْ مَقَامَ رَبِّكَ
- ٢٢٤..... نِعَمَ اللهَ لَا تُحْصَى
- ٢٢٥..... الباعث الثاني: ذِكْرُ المَوْتِ والقَبْرِ
- ٢٢٧..... القبر أفضع منظر
- ٢٢٨..... الباعث الثالث: ذِكْرُ الآخِرَةِ والجَنَّةِ والنَّارِ
- ٢٢٩..... الباعث الرابع: معرفة آثار المعاصي في الدُّنْيَا والآخِرَةِ
- ٢٣١..... معنى التَّوْبَةِ
- ٢٣٢..... محنتان
- ٢٣٢..... اللوبي الصهيوني وراء هذه المحنة
- ٢٣٣..... سبب المحنة: أَنَّنِي أدفع المقاومة
- ٢٣٤..... موقف عمدة لندن
- ٢٣٤..... حاخامات يعارضون إسرائيل
- ٢٣٥..... المحنة الثانية
- ٢٣٥..... سبب هذه المحنة
- ٢٣٦..... من هو المدني؟ ومن هو العسكري؟
- ٢٣٦..... لمن توجَّه هذه الضربة؟
- ٢٣٧..... يأكلون من كلامي ويطلبون محاكمتي



- الفرق بين الوجود الأمريكي في العراق وفي قطر..... ٢٣٨
- لست مدّاحًا لأحد..... ٢٣٩
- أتمنّى أن تُختم حياتي بالشهادة..... ٢٤٠
- صوتي كان أعلى الأصوات..... ٢٤٠
- خطيب مهووس..... ٢٤١
- ١٥ - أركان التوبة النصوح..... ٢٤٤
- حقيقة التوبة..... ٢٤٥
- الركن الأوّل الندم..... ٢٤٥
- أثر الذنوب في قسوة القلوب وظلمتها..... ٢٤٥
- الركن الثاني الإقلاع عن الذنوب..... ٢٤٩
- الركن الثالث العزم على عدم العودة إلى المعصية..... ٢٥٠
- شروط التوبة..... ٢٥٢
- ١٦ - إخلاص النية..... ٢٥٣
- أهميّة الإخلاص..... ٢٥٤
- من ثمرات الإخلاص..... ٢٥٤
- الإخلاص يمنح صاحبه القوّة..... ٢٥٦
- الإخلاص يمنح صاحبه السكينة..... ٢٥٧
- الإخلاص يجعل العمل مستمرًا..... ٢٥٩
- تأثير النية في الأعمال..... ٢٥٩
- النية تحول العادة إلى عبادة..... ٢٦٠
- النية لا تؤثر في المحرمات..... ٢٦١



١٧ - شكر الله ٢٦٦

الجمع بين الصبر والشكر ٢٦٧

إحاطة النعم بالإنسان ٢٦٨

تسخير الكون للإنسان ٢٧٠

كيفية شكر النعم ٢٧٢

١٨ - خلق الشكر ٢٧٧

في أحسن تقويم ٢٧٧

العقل والبيان ٢٧٨

الخلافة في الأرض ٢٧٨

سخر لكم ما في السماوات وما في الأرض ٢٧٩

هل تُقدّر نعم الله عليك؟ ٢٨١

نعمة الهداية للإسلام ٢٨٢

شكر القلب ٢٨٢

شكر اللسان ٢٨٣

شكر الجوارح ٢٨٥

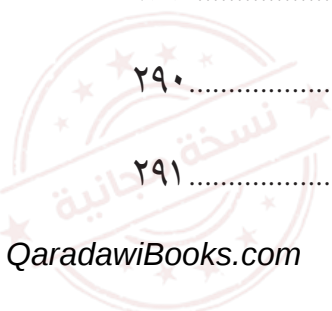
التحذير من كفر النعمة ٢٨٦

تجديد الشكر ٢٨٧

لا تقابلوا الإحسان بالإساءة ٢٨٨

شكر من أحسن إليك ٢٩٠

فضائل شهر رجب ٢٩١



- ١٩ - خصائص الأمة الإسلامية..... ٢٩٣
- الإنسان الصالح..... ٢٩٣
- الأمة الصالحة..... ٢٩٤
- خصائص أمة الإسلام..... ٢٩٤
- ثورة تونس..... ٣٠٦
- ثورة مصر..... ٣٠٦
- ثورة ليبيا..... ٣٠٧
- ثورة اليمن..... ٣٠٨
- ثورة سوريا..... ٣٠٨
- تفجير الكنائس في نيجيريا..... ٣٠٩
- ٢٠ - تأملات قرآنية في صلاة الجمعة..... ٣١١
- الأصل في صلاة الجمعة..... ٣١٣
- ترك الدنيا للكفار..... ٣١٤
- الدعائم الأربعة للإسلام..... ٣١٧
- خلق الكون لخدمة الإنسان..... ٣١٩
- زيارة غزة أمنية تحققت..... ٣٢٢
- غزة على قلب رجل واحد..... ٣٢٣
- فهرس الآيات القرآنية الكريمة..... ٣٣١
- فهرس الأحاديث النبوية الشريفة..... ٣٥٩
- فهرس الموضوعات..... ٣٦٧

